المرأة في ظل الإسلام

Books.Rafed.net

books.rafed.net

books.rafed.net

نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة

rafed.net rafednetwork rafedculturalnetwork ar.rafednetwork rafednetwork rafednetwork

books.rafed.net

السيدة
مريم نور الدين فضل الله

المرأة في ظل الإسلام

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت
ص.ب ٩٢٧٠

Books.Rafed.net
books.rafed.net

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

الطبعة الأولى

١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ

الطبعة الثانية

١٩٨١ م - ١٤٠١ هـ

Books.Rafed.net

books.rafed.net

بِسم الله الرحمٰن الرحيمْ

المقدمة

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله اشرف الخلق اجمعين .

سنوات عديدة مضت من حياتي ، وانا اترقب الفرص لكي اكتب في موضوع « المرأة » خدمة لبنات جنسي الحائرات .

لا اغالي ان قلت ان فكرة هذا الكتاب ، كانت تلمع في صدري التماع البرق في طيات السحاب ، وتغلي في ذهني غليان الغيرة في رؤوس الشباب ، وقد جهدت في تأليفه وتعبت في تصنيفه ، وما أرجو من عملي إلا الإصلاح ما استطعت اليه سبيلا ، سائلة المولى سبحانه أن يوفقني إلى كتابة معتدلة صادقة وان يظفر كتابي هذا بالقراء المنصفين .

فالمرأة هي شريكة الرجل في هذا العالم ، المؤلف من ذكر وانثى ، فهل يمكن ان ننكر هذا النصف ونغالط الواقع في أهمية المرأة وما لها من دور فعال في اتصال التناسل وبناء المجتمع ، فهي أم الرجل . . . وزوجته . . . واخته . . . وابنته . . . ورفيقته في جميع مراحل حياته . وبما أنها تكوِّن نسبة معادلة للرجل بل تفوقه عدداً ، فهي جديرة بالدرس والتحقيق ، على ضوء العلم الحديث وهدى الإسلام .

books.rafed.net

وعندما نتناول هذا الموضوع كبحث يجب ان نعالجه معالجة وافية سواء بدراسته في الازمنة القديمة ، أو في العصور الوسطى أو في العصر الحديث .

وإنني حريصة على ان تكون هذه المعالجة كاملة التفاصيل ، إلى حد ما بقدر ما يسمح به المجال .

إن أي كاتب أو باحث يقف حائراً ، حينما يريد ان يتناول هذا الموضوع فالدراسات عن المرأة مفتقرة إلى المصادر التاريخية .

ان المؤرخين سواء في البلاد العربية أو الإسلامية ، أو الشرقية أو الغربية ، لم يدونوا سوى تراجم الكتاب والرجال العظماء ، وسير الشعراء والأدباء ، ولم يعطوا العناية الكافية إلا لسرد حوادث الملوك والسلاطين والأبطال والأمراء . فتاريخنا الموجود بين أيدينا تاريخ أفراد لا تاريخ مجتمعات ، ولم يتعرضوا للمجتمعات حولهم ، اقتصادياً أو اجتماعياً أو فكرياً سعة وضيقاً ، إلا فيما يمس حياة هؤلاء الأفراد .

ولما لم تمثل المرأة إلا البعض من هؤلاء الأفراد ، ظلت منحصرة ضمن هذه المجتمعات التي أهمل الباحثون دراسة أحوالها ، وأهملت المرأة تبعاً لهذا الإهمال عبر العصور ، وكانت نسياً منسياً .

ذلك ان المجتمع في العصور القديمة وما يزال ، رغم تطور الحياة الفكرية لدى البشر ، لا ينظر اليها كعنصر فعال له اهميته في دفع عجلة التاريخ وله احترامه ، ومكانته ، بل ينظر اليها كانثى لها رقتها وجاذبيتها .

واني بذلت الجهد ، وحاولت ان أقدم إلى القراء الاعزاء لمحة موجزة عن تطور حياة المرأة في الزمن القديم ، والحديث ، ومدى تقدمها في ميدان الثقافة والفكر في ظل الإسلام وذلك بقدر ما يسمح به مجال هذه الصفحات المحدودة .

books.rafed.net

واني وأنـــا المســـلمة ، اعـــترف بـــان المـــرأة في عصـــرنا الحاضـــر تواجـــه أعنـــف المشاكل ، وأكثرها صعوبة وتعقيداً .

فمـــا زلنـــا نســـمع الأراجيـــف والأســـئلة ، وكلهـــا تخرصـــات وافـــتراء علـــى الإســـلام وتشـــريعه ، بانـــه ظلـــم المـــرأة ، وبخســـها حقهـــا ، وامـــتهن كرامتهـــا ، وجعلهـــا عبـــارة عن خادمة للرجل تؤدي حاجته ، وتلبي رغبته ، وتلد له الأطفال .

وإذا مال به الهوى سئمها . . . ونبذها نبذ النواة .

هـــذه أصـــوات الاســـتنكار تتعـــالى ، وخصوصـــاً مـــن الـــذين يـــدعون إلى الحريـــة ، ويتشـــــدقون بالمدينـــــة . . . يصـــــرخون قـــــائلين . . . حـــــرروا المـــــرأة . . . اكســـــروا قيودهـــا . . . اطلقـــوا هـــذا المـــارد الجبـــار مـــن عقالـــه . . . ايقظـــوا المـــرأة مـــن ســـباتها العميـــق . . . انفضـــوا عـــن وجههـــا غبـــار الســـنين . . . دعوهـــا تفجـــر طاقاتهـــا لتلحـــق باخواتهـــا في الشـــرق والغـــرب مـــن المتمـــدنين . . . دعوهـــا تنـــزع اسمـــال التـــأخر والانحطـــاط لتـــنهض وتتكامـــل فتواكـــب ركـــب الحضـــارة والمدنيـــة . . . دعوهـــا تـــؤدي دورهـــا في دفـــع عربـــة الانســـانية الى الامـــام ، جنبـــاً الى جنـــب مـــع الرجـــل ، قسيمها ورفيقها في هذه الدنيا . . .

انزعـــوا حجـــاب المـــرأة . . . دعوهـــا تظهـــر ســـافرة حـــرة . . . دعوهـــا تبـــدى زينتهـــا . . . اطلقـــوا لهـــا الحريـــة . . . اجعلوهـــا اختـــا للرجـــل في جميـــع أعمالـــه . . . اخرجوها من قوقعتها . . . ارحموها الخ . . .

صـــرخات . . . وهتافـــات . . . نســـمعها تـــترد في كـــل حـــين ، مـــن هنـــا . . . وهنـــاك ، تطلقهـــا حنـــاجر تـــزعم انهـــا تريـــد الخـــير للمـــرأة . . . تريـــد لهـــا العـــزة والكرامـــة . . . تريد رفع مستواها . . . وتتمنى للأمة التقدم والازدهار .

ان أصـــحاب القلـــوب الطيبـــة ، تـــركض لاهثـــة ، وراء هـــذه الصـــرخات والهتافـــات وهـــي تظـــن انهـــا تريـــد الخـــير للمـــرأة ، وان الغايـــة شـــريفة . وهـــي ويـــا للاســـف قـــد

books.rafed.net

استغلتها نفوس أثيمة غيرت مسيرتها الرائعة ، وزينت لها طريقاً مدلهما في ظلام دامس .

لقد ظنت هذه القلوب بطيبتها انه الطريق الصحيح ، الذي يوصلها الى الأهداف السامية . فأخذت تطالب بحقوقها ، فاندفعت بكل قواها من غير وعي أو تروءدة ، أو تفكير ، غير عالمة بما ستؤول اليه حالتها ، وسارت شوطاً بعيداً ضمن هذا الخط الذي رسموه لها ، ولكن الى أين وصلت ؟ ؟ وأين حطت رحلها ؟ ؟ وماذا جنت ؟ ؟

وصلت الى متاهات . . . وضياع . . . فوقفت لا تدري أين هي البقعة الصلبة التي يمكنها أن تضع عليها قدمها ، لئلا تنزلق فتصل الى مهاو لا تحمد عقباها .

ضياع . . . ومتاهات . . . وحيرة . . . وارتباك . . . ومحنة أليمة ، تتقاذف المرأة فتجعلها في دوامة .

ومن قلب هذا الضياع الذي نعيشه ، تطلعت فوجدت ان الوقت قد حان لتناول هذا الموضوع الجليل (المرأة في ظل الاسلام) ولأني رأيته حافلا ، جديراً بالبحث والدرس والتحقيق ، وتجربة نادرة فذة ، ليس من السهل أن انصرف عنها بعد أن اتجهت اليها .

واني اذ أكتب في هذا الموضوع ، أو اعطه اهتماماً من التأمل والتنقيب ، قدر الامكان ، ذلك لأني رأيت أن أغلب الذين كتبوا قبلي عن المرأة ، مال بهم الهوى عن الحق ، فمنهم من تنكب الطريق فجعلها شيطانا مريداً ، ومنهم من زين له ايمانه فنزهها وجعلها ملاكا رحيما .

ولكن ماذا أقول : وقد أصبحنا في زمن طغت فيه المادة على الروح واجتاحت التيارات الالحادية التعاليم السماوية .

books.rafed.net

ألا ليت شعري ما يتخرص المتخرصون ! ؟ ويتقول أهل الالحاد على قدسية الاسلام ، من نفث سمومهم في أذهان الناس وافترائهم على النظم الاسلامية ، بالكذب . والزور . والبهتان .

فمن قائل ان الاسلام ظلم المرأة . . . ومن متبجح . لقد أجحفت القوانين الاسلامية بحق المرأة وغالت بحرمانها .

وكم من مرة التقيت بكثيرات من اللواتي يركضن وراء المدنية الزائفة ، وكلهن بلسان واحد وعلى وتيرة واحدة .

لماذا تظلم المرأة المسلمة دون غيرها من النساء ؟

لماذا انقصها الشرع ميراثها ؟

لماذا فرض عليها الحجاب ؟

لماذا جعلها في سجن أبدي وجعل مفتاح السجن بيد الرجل ؟

لماذا لا تذهب إلى الحرب وتدافع عن وطنها لماذا . . . لماذا . . . لماذا . . . الخ تمهّلن رويداً أيها المسلمات ، هل عرفتن عن الإسلام إلا إسمه ؟ . . . أو ما شوهت وجهه الاكاذيب ، وتناقلته الألسن .

فمهلاً . . . مهلاً . . . يا أخواتي لا تنظرن إلى الإسلام من غير وعي لمبادئه البناءة ، وأهدافه الخيرة .

ويا اخواتي المسلمات لنقف من منعطف التاريخ ، ونلقي نظرة عبر القرون الغابرة ، والأجيال السالفة ، ونسأل بلا تذمر أو تأفف أو شكوى ، ثم نعود القهقرى حتى نرى . هل ان المرأة في الحضارات القديمة كانت أحسن من المسلمة ؟

وهل ان المرأة في تلك الحقبة من الزمن كانت ترتع بحرية زائدة . . . حتى

books.rafed.net

جاء الإسلام وحرمها هذه الحرية . ؟

هل ان الإسلام ضيق على المرأة الخناق وحبسها في سجن . . . وهل . . . وهل . . . الخ .

ولا بد لنا من استطلاع صفحات التاريخ ليحدثنا عما كانت عليه المرأة قبل الإسلام ، وكيف كانت تعامل عند الامم السابقة المتحضرة في العصور القديمة . والوسطى ، وكيف كانت حالتها ومدى ما اعطيت من الحقوق . والمنزلة . والكرامة ونجعل من التاريخ حكماً نسد به أفواه المتشدقين .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب وهو حسبي ونعم الوكيل .

مريم نور الدين فضل الله

books.rafed.net

تمهيد

الإنسان عالم في حد ذاته ، ففي تركيب جسمه وقواه ومواهبه ، ورغباته وحاجاته كذلك عواطفه ومشاعره ، وعلاقته بكل ما يحيط به من ألوف الأشياء ، وتاثره فيها ، وتأثيرها عليه ، كل هذه الأشياء تحتضن عالماً بنفسه لا يدرك كنهه .

وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

لقد حاول الإنسان بما اوتي من تدبير وتفكير ، ان يجد قانوناً شاملاً ، وحلاً عادلاً ، يتماشى مع جميع متطلبات أفراد البشر .

ولكن أكثر هذه المحاولات كانت تأتي بنتائج معكوسة ؛ فيصبح الحيف ، والظلم ، على الإنسان الضعيف ، وهو المرأة .

إن لرغبات النفس ونوازعها وعواطفها وميولها ، التأثير البالغ في تفكير الإنسان ، تصرفه عن الحقائق ، وتضله عن جادة الصواب . لو راجعنا بطون التاريخ واستنطقنا صفحاته لرأينا سلسلة من الاضطهاد والحرمان ، جارية في جميع أدواره وبين الأمم والشعوب القديمة من دون استثناء ، عند أهل الحضارة والرقي أو أهل البداوة والجاهلية أو أهل الشرائع والأنظمة المدنية ، وكلها جائرة في حق المرأة .

ففي البلدان المتحضرة والشعوب المتمدنة ، ظهرت شريعة حمورابي في بابل

books.rafed.net

وقـــوانين رومـــا واليونـــان القـــدماء ومقـــررات مصـــر والصـــين وفـــارس القديمـــة وجميعهـــا تحمـــل بـــين طياتهـــا الانظمـــة والقـــوانين الكثـــيرة علـــى اختلافهـــا وتشـــعب اتجاهاتهـــا وكلهـــا تنظـــر للمـــرأة علـــى أنهـــا انســـان ضـــعيف لا تســـتطيع ان تتحمـــل أعبـــاء الحيـــاة ، لا يمكنها ادارة شؤونها بنفسها .

ان البحـــث التـــاريخي الـــذي ســـأورده في هـــذه الصـــفحات ، يؤكـــد ان المـــرأة كانـــت تتقلـــب في ديـــاجير مظلمـــة مـــن العســـف والجـــور تبـــاع وتشـــترى كانهـــا ســـلعة ، محرومـــة مـــن جميـــع حقـــوق الإرث والملكيـــة ، معدومـــة الشخصـــية وهـــي مجموعـــة من الذل والاثم والعار .

books.rafed.net

المرأة قبل الاسلام

المرأة عند العرب في الجاهلية :

لنلقي نظرة خاطفة على حالة المرأة العربية في الجاهلية قبل الإسلام ، وكيف كانت تعامل في ذلك العهد ، وما هي مكانتها الاجتماعية .

كانت المرأة العربية في الجاهلية ، أحط من أي سلعة فهي لا ترث وليس لها حق المطالبة ، لأنها لا تذود عن الحمى في الحرب ، وزواجها يرجع إلى أمر وليها ، وليس لها حق الاعتراض ولا المشورة حتى أن الولد يمنع أرملة أبيه من الزواج حتى تعطيه جميع ما أخذت من ميراث أبيه ، هذا إذ لم يضع ثوبه عليها قائلاً : ورثتها كما ورثت مال أبي .

فإذا أراد أن يتزوجها . تزوجها هو بغير مهر ، أو زوجها لغيره وتسلم هو مهرها [1] .

ومن جملة قولهم للعروس عند زفافها [2] اذهبي فإنك تلدين الأعداء وتدنين البعداء .

والعرب مثل غيرهم من الشعوب القديمة ، كانوا يفرحون إذا ولد لهم ولد

---

(١) الاخلاق الاسلامية . السيد علي فضل الله الحسني .

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . الدكتور جواد علي . ج . ٤ . ص ٦٤٧ .

books.rafed.net

ذكر ، ويغتمون إذا ولدت لهم انثى ، وكان الرجل العربي الجاهلي يصاب بضيق صدر ، وهمّ بالغ ، إذا قيل له إن زوجته وضعت انثى وقد أشار الباري سبحانه وتعالى بقوله إلى هذا : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) [1] .

كان العدل والحق في زمن الجاهلية ، هو بجانب صاحب القوة (كما في زماننا الحاضر) وصار القوي المنيع هو صاحب الحق في الغالب .

ولما كان الرجل بتركيب جسمه الطبيعي وفطرته أقوى من المرأة منح نفسه حق سن الأحكام عندها صار الحق في الجاهلية في جانبه ورفع نفسه عنها في أكثر الأحكام وحرمها ميراثها وقايضها بديونه .

يقول الدكتور جواد علي [2] : وفي زواج البدل ، وفي منع المرأة من الزواج إلا من قريبها لوجود حق الدم عليها ، وفي منع زواج زوجات الآباء إلا برضى ابناء الأب وذوي قرابته ، لأنهم أحق بالزواج منها . وغير ذلك من سنن الجاهلية التي كانت توحي إليهم أن المرأة دون الرجل في الحقوق ، لأنها خلقت دون الرجل في القوة ، ولم يكن أمامها بالطبع إلا الاستسلام .

ولما جاء الإسلام حرَّم كثيراً من هذه السنن ، التي لم يكن أهل الجاهلية يرونها تنافي العدالة . وقد ورد أنَّ (كبشة بنت معن بن عاصم) امرأة (أبي قيس بن الأسلت) انطلقت إلى الرسول فقالت : « إن أبا قيس قد هلك ، وإنَّ ابنه من خيار الحمى قد خطبني . » فسكت الرسول (ص) ثم نزلت الآية (وَلَا

---

(١) سورة النحل . آية . ٥٨ وعن مجمع البيان للطبرسي (ظل وجهه مسوداً) أي صار لون وجهه متغيراً الى السواد لما يظهر فيه من أثر الحزن والكراهة .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام . الدكتور جواد علي . ٥ . صفحة ٤٨٥ .

books.rafed.net

تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ) [1] فهي أول امرأة حرمت على ابن زوجها [2] .

روي عن ابن عباس أنه قال : (إذا مات الرجل وترك جارية ، القى عليها حميمه ثوبه ، فيمنعها من الناس ، فإن كانت جميلة تزوجها . وإن كانت قبيحة حبسها حتى تموت) وظل هذا شأنهم إلى أن نزل الوحي بتحريم ذلك (وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ . . . إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) [3] .

هذا الظلم الفادح الذي كان ينزل بالمرأة بسبب ضعفها ، وبسبب عرف الجاهلية في حقها ، وأبشع العادات وأفظعها ، عادة وأد البنات التي تميَّز بها عرب الجاهلية ، وعدُّوها من المكرمات قال الشاعر :

القبر أخفى سترة للبنات ودفنها يروى من المكرمات

وأد البنات :

إن في الدين الإسلامي حيوية ومرونة ومسايرة ، لكل عصر وزمان . ففي النظم الإسلامية من الحلول ما يكفي لجميع المشكلات التي تعترض حياة الإنسان ، فالإسلام قد حرَّم وأد البنات ، وحفظ بل أبقى على هذا المخلوق البريء حياته قال عز من قائل : (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ) [4] .

---

(١) سورة النساء آية ٢٢ .

(٢) تاريخ العرب في الجاهلية قبل الاسلام . الدكتور جواد علي .

(٣) تفسير الطبري . ج ٤ . ص . ٢٠٧ .

(٤) سورة التكوير . آية . ٨ . ٩ .

books.rafed.net

إن مسألة الوأد جديرة بأن نوليها الاهتمام ، فهي نقطة هامة في الحياة الاجتماعية .

هذه العادة القبيحة ، اللاإنسانية ، كانت واسعة الانتشار في أيام الجاهلية ، في الجزيرة العربية عند أهل البادية في الصحراء وفي المدن المتحضرة .

يقول الدكتور جواد علي : وقد اختلف في هذا القول ، فقال لين پول . Laine Poole . انها كانت عادة سيئة ، ولكنها كانت نادرة الحدوث في الصحراء . ولكن الميداني يقول : إن عادة وأد البنات ، كانت متبعة عند قبائل العرب قاطبة ، وظلت هذه العادة جارية ومتبعة عند جميع قبائل العربية حتى جاء الإسلام فأبطلها وحرَّمها .

ولقد اختلفت مذاهب القبائل العربية في مسألة الوأد ، والنظر اليها ، فمنهم من كان يئد البنات ، غيرة على العرض ، ومخافة من لحوق العار لأنهم أهل سطو وغزو ، وكانت تساق الذراري مع الغنائم ، ويؤخذ السبي فتكون بناتهم عند الأعداء ، وهذا منتهى الذل والعار ، وكانت بنو تميم . وكندة من أشهر القبائل ، التي تئد بناتها خوفاً لمزيد الغيرة .

ولعل السبب في ذلك راجع إلى تلك القصة ، التي يرويها التاريخ ، وهي أن بني تميم ، منعوا الملك النعمان ضريبة الأتاوة التي كانت عليهم ، فجرد عليهم النعمان أخاه الريان مع (دوسرا) إحدى كتائبه وكان أكثر رجالها من بني بكر بن وائل ، فاستاق النعمان سبي ذراريهم . فوفدت وفود بني تميم على النعمان بن المنذر ، وكلموه في الذراري ، فحكم النعمان بأن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء ، فأية امرأة اختارت زوجها ردت إليه ، فشكروا له هذا الصنيع .

وكانت من بين النساء بنت قيس بن عاصم فاختارت سابيها على زوجها

books.rafed.net

فغضب قيس بن عاصم ، ونذر أن يدس كل بنت تولد في التراب ، فوأد بضع عشرة بنتاً [1] .

وقد ظلت هذه العادة السيئة جارية ، وكأنها قانون لا يمكن إزالته ، حتى ظهر الاسلام فحرمها وعاقب عليها .

وفي بعض الروايات ، أن أول قبيلة وأدت من العرب هي قبيلة ربيعة وذلك على ما يروى ، أن قوماً من الأعراب أغاروا على قبيلة ربيعة وسبوا بنتا لأميرٍ لهم فاستردها بعد الصلح وبعد أن خيروها بين أن ترجع إلى أبيها ، أو تبقى عند من هي عنده من الأعداء ، فاختارت سابيها وآثرته على أبيها ، عند ذلك غضب وسن لقومه قانون الوأد ، ففعلوا غيرة منهم ، وخوفاً من تكرار هذه الحادثة [2] .

ومن القبائل من كانت تئد البنات ، لا لغيرة أو خوف من عار ، بل إذا كانت مشوهة أو بها عاهة مثلاً : إذا كانت زرقاء . . . أو سوداء . . . أو برشاء . . . أو كسحاء . . . ويمسكون من البنات من كانت على غير تلك الصفات لكن مع ذل وعلى كره منهم .

وذكر بعض المؤرخين [3] أن سنين شديدة كانت تنزل بالناس تكون قاسية على أكثرهم ولا سيما على الفقراء ، فيأكلون (العلهز) وهو الوبر بالدم ، وذلك من شدة الجوع ، وبهذا الفقر وهذه الفاقة وذلك الاملاق ، كل هذا حملهم على وأد البنات حذر الوقوع في الغواية . وذلك قوله تعالى : (**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**) [4] .

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . الدكتور جواد علي .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام . الدكتور جواد علي . ص . ٨٧ المجلد الخامس .

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام . الدكتور جواد علي . ص . ٨٨ المجلد الخامس .

(٤) سورة الانعام . آية . ١٥١ .

books.rafed.net

وقال تعالى : (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) [1] .

وقال تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) [2] .

روى أهل السير : أن العرب كانوا يحفرون حفرة ، فإذا ولدت الحامل بنتاً ولم يشأ أهلها الاحتفاظ بها رموها في تلك الحفرة ، أو أنهم كانوا يقولون للأم بأن تهيء ابنتها للوأد وذلك بتطييبها وتزيينها فإذا زينت وطيبت اخذها أبوها الى حفرة يكون قد احتفرها فيدفعها فيها ويهيل عليها التراب حتى تستوي الحفرة في الأرض [3] .

وذُكر أيضاً أن الرجل منهم كان إذا ولدت له بنتاً فأراد أن يستحييها [4] ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية [5] فيقول لامها طيبيها [6] وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها ، وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض .

---

(١) سورة الانعام . آية . ١٤٠ .

(٢) سورة الاسراء . آية . ٣١ .

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام . الدكتور جواد علي . ج . ٤ . ص ١٨٨ .

(٤) أي أبقاها على قيد الحياة .

(٥) أي يتركها حتى يصبح عمرها ست سنوات .

(٦) كان العرب يزينون البنت ويطيبونها قبل أن يئدوها ، وكانوا في بلاد النيل يزينون الفتاة بأجمل زينة ثم يلقونها في مياه النيل حتى يفيض عليهم بخيراته . وكان الهنود يزينون المرأة قبل أن يحرقوها . وأغلب الظن ان هذه العادات هي من بقايا الوثنية والتقاليد الدينية يقدمون القرابين والضحايا بأجمل زينة .

books.rafed.net

قصة رجل وأد ابنته وقد أظهر ندمه عند النبي (ص) :

روي أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لك تكون محزوناً ؟ فقال يا رسول الله إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت فقال له : أخبرني عن ذنبك ؟ فقال : يا رسول الله ، إني كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فولدت لي بنت فتشفعت إلي امرأتي أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت ، وصارت من أجمل النساء فخطبوها ، فدخلتني الحمية ، ولم يتحمل قلبي أن أزوجها ، أو أتركها في البيت بغير زواج ، فقلت للمرأة إني أريد أن أذهب الى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فأبعثيها معي ، فسرَّت بذلك ، وزينتها بالثياب والحلي ، وأخذت عليَّ المواثيق بألا أخونها ، فذهبت الى رأس بئر فنظرت في البئر ، ففطنت الجارية أني اريد ان ألقيها في البئر فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول : يا أبت إيش تريد أن تفعل بي [1] ؟ فرحمتها ، ثم نظرت في البئر فدخلت عليَّ الحمية ، ثم التزمتني وجعلت تقول : يا أبت لا تضيع أمانة أمي ! فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها ، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة ، وهي تنادي في البئر : يا أبتِ قتلتني ؟ ! ومكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت .

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقال : لو أُمرت أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك [2] .

ومهما كانت كيفية الوأد ، واختلاف المسببات ، فلقد حاربه الاسلام ،

---

(١) ايش : تريد ان تفعل بي . كذا وردت في الأصل .

(٢) العرب قبل الاسلام . الدكتور جواد علي . ج . ٥ .

books.rafed.net

ونـــدد بـــه ، وعاقـــب عليـــه وجعلـــه مـــن الكبـــائر ، حـــتى محـــى أثـــره مـــن الوجـــود ، وأصبح قصة يرويها الرواة ، من جملة ما يروونه من أخبار الماضي .

ولم يكتـــف الاســـلام بـــذلك ، بـــل رفـــع مـــن شـــأن المـــرأة ، وســـاوى بينهـــا وبـــين الرجـــل في كثـــير مـــن شـــؤون الحيـــاة . وفي الحـــديث « إن أحســـن النـــاس عنـــد الله مـــن أحسن صحبة أزواجه وبناته » .

وقـــد أكثـــر الشـــعراء العـــرب في وصـــف حـــالهم وحـــال المـــرأة في ذلـــك العهـــد وعجزهـــا عـــن العمـــل والمقاومـــة ، في حـــين أن البنـــين أقـــوى مـــنهن ، ويتـــاح لهـــم مـــا لا يتاح للبنت . قال بعض الشعراء :

وزادني رغبـــــــــة في العـــــــــيش معـــــــــرفتي

ذل اليتيمـــــــــة يجفوهـــــــــا ذوو الـــــــــرحم

أخشـــــــى فظاظـــــــة عـــــــمٍ أو جفـــــــاء أخ

وكنـــــت أبكـــــي عليهـــــا مـــــن اذى الكلـــــم

تهـــــوى حيـــــاتي وأهـــــوى موتهـــــا شـــــفقاً

والمـــــوت أكـــــرم نـــــزال علـــــى الحـــــرم

إذا تـــــذكرت بنـــــتي حـــــين تنـــــدبني

فاضـــــت لعـــــبرة بنـــــتي عـــــبرتي بـــــدم

ووصف سروره واستقراره بعد أن تخلص من ابنته حيث يقول :

فـــــالآن تمـــــت فـــــلا هـــــمٌّ يـــــؤرقني

بعـــــد الهـــــدوء بـــــلا وجـــــدٍ ولا حلـــــم

books.rafed.net

المرأة في بلاد الفرس

أما في بلاد الفرس وهم الذين قبضوا على ناصية الحكم في كثير من البلاد وسنوا القوانين والأنظمة ، لم يكن وضع المرأة عندهم أحسن مما كانت عليه في بلاد النيل والبلاد الصينية ، يقول الدكتور محمود نجم ابادي في كتاب (الإسلام وتنظيم الأسرة) : نلاحظ أن قوانين زراردشت ،كانت جائرة وظالمة بحق المرأة ، فإنها كانت تعاقبها أشد العقوبة إذا صدر عنها أقل خطأ ، او هفوة ، بعكس الرجل فإنها قد أطلقت له جميع الصلاحيات يسرح ، ويمرح ، وليس من رقيب عليه .

فهو له مطلق الحرية لأنه رجل ولكن الحساب والعقاب لا يكون إلا على المرأة !

ويقول ايضاً : كان أتباع زرادشت يمقتون النساء ، وحالما كانت تتجمع لدى الرجل براهين على عدم إخلاص الزوجة ، كان لا مفر لها من الانتحار . وقد ظل هذا القانون سارياً حتى عهد الاكاديين ، وفي عهد الساسانيين خفَّف هذا القانون ، بحيث صارت المرأة تُسجن جزاء عدم إخلاصها أول مرة ، حتى إذا كررت عملها ، صار لا مفر لها من الانتحار ويقول ايضاً : بينما كان يحق للرجل من أتباع زرادشت أن يتزوج من امرأة غير زرداشتية فإنه لم يكن يحق للمرأة أن تتزوج من رجل غير زرادشتي وهذا القانون على المرأة كما أسلفنا فقط ، ناهيك عن الاضطهاد والحرمان وأما الرجل فله الحرية في التصرف على هواه وهو المالك لأنه رجل .

books.rafed.net

المرأة في البلاد الصينية

لم تكن المرأة في البلاد الصينية أحسن حالاً من اختها في بلاد الفرس ، ويؤخذ من مادة في موسوعة الدين والأخلاق ، أن المجتمع الصيني على العموم كان الناس يعيشون في فوضوية ، فهم أقرب الى الوحوش منهم الى البشر ، كانوا يعرفون امهاتهم ، ولا يعرفون آباءهم ، وكانوا يتزاوجون بلا حشمة ولا حياء ، حتى قام رجل منهم وكان من الحكماء الأقوياء اسمه (فوه . سي) (Fuh . Hsi) وذلك سنة (٢٧٣٦ . ٢٨٥٢) قبل الميلاد قام هذا الحكيم ووضع لهم القوانين ، وسنَّ لهم الأنظمة ، ولكن المرأة وا حسرتاه . . . لم تنل من السلطة أو الكرامة أي نصيب ، بل كان نصيبها أن تتلقى الاوامر ، وتنفذها بدون أي اعتراض . فإذا كانت لا تزال بنتاً لم تتزوج ، فواجب عليها إطاعة أبيها ، فإذا تزوجت فالطاعة لزوجها ، وإذا مات عنها زوجها أطاعت ابنها الكبير .

وفي المجتمع الصيني القديم ايضاً صاحب الحضارة العريقة ، أن يسير الأب على ما جرى عليه العرف العام ، فالعادة بالميراث أن البنات لا يرثن ، وحصة الابن الأكبر من الميراث تكون هي الكبرى ، وليس للبنت أن تطلب من مال أبيها شيئاً لأن البنت لا ترث لأنها ليست بولد .

المرأة في البلاد المصرية

كانت بلاد النيل مهد الحضارات القديمة ، وكان المجتمع المصري القديم يتميز

books.rafed.net

بطـــابع التمـــدن والرقـــي في تلـــك العصـــور ، ولكـــن المـــرأة المصـــرية كانـــت بغايـــة الاضـــطهاد والهـــوان ، وكانـــت تعامـــل معاملـــة ازدراء واحتقـــار كالخـــدم ، وهـــي لا تصلح إلا لتدبير شؤون البيت ، وتربية الأطفال .

كـــان المصـــري القـــديم ، يتـــزوج في مرحلـــة مبكـــرة ، وكـــان يتـــزوج مـــن اختـــه وذلـــك خشـــية أن تنتقـــل أمـــلاك الاســـرة الى الأغـــراب ، وقـــد عـــرف المصـــريون القـــدماء تعـــدد الزوجـــات ، وعرفـــوا التســـري ، وكانـــت الزوجـــة تحمـــل التمـــائم خـــلال أشـــهر الحمـــل ، لتقـــي حملهـــا مـــن الأرواح الشـــريرة ، وكـــان الرجـــل المصـــري يفـــرح إذا بُشـــر بـــالمولود الـــذكر ، ويكفهـــر وجهـــه حزنـــاً إذا علـــم أن زوجتـــه وضـــعت أنثـــى ، ومـــن الطريـــف أن المصـــريين القـــدماء قـــاموا بتجـــارب لمعرفـــة الجنـــين قبـــل ولادتـــه خوفـــاً مـــن أن يكون أنثى .

ويقـــول الـــدكتور ميخائيـــل ابـــراهيم : لقـــد حـــرص المصـــري علـــى زوجتـــه أشـــد الحـــرص ، فـــلا تخـــرج مـــن بيتهـــا أبـــداً إلا لخدمـــة الآلهـــة ، أو الخدمـــة في القصـــور ، وكانت على جانب عظيم من الذلة والمهانة .

المرأة في بلاد ما بين النهرين

المرأة السومرية :

وأمـــا في العهـــد الســـومري ، فقـــد كـــانوا يعـــاملون المـــرأة معاملـــة فظـــة غليظـــة ، كمـــا كانـــت تعامـــل عنـــد جميـــع الشـــعوب في تلـــك الأزمنـــة . فمـــا كانـــت مكانتهـــا أحســـن مـــن أخواتهـــا في الـــبلاد المجـــاورة ، وذلـــك علـــى الصـــعيد الاجتمـــاعي ، ومـــن حيـــث الحريـــة والكرامة .

books.rafed.net

وأمـــا المـــرأة عنـــد البـــابليين فكـــانوا ينظـــرون إليهـــا نظـــرة احتقـــار فهـــي لم تخلـــق إلا لإسعاد الرجل .

المرأة الاشورية :

كـــان المجتمـــع الأشـــوري لا يختلـــف في شـــكله العـــام عـــن تركيـــب المجتمـــع البـــابلي مـــن حيـــث عـــدد الطبقـــات ، والتشـــابه في البيـــوت والأثـــاث واللبـــاس . وبـــالنظر الى الاهميـــة الـــتي تعطـــى عـــادة للرجـــال في مجتمـــع تســـوده الـــروح العســـكرية ، أصـــبح الرجـــل الاشـــوري أكـــبر قـــوة وتســـلطا في حـــين انخفـــض مركـــز المـــرأة الاجتمـــاعي ، وفقـــدت بعض الحقوق التي كانت تتمتع بها في الحضارتين : السومرية والبابلية .

فقـــد أصـــبحت المـــرأة الأشـــورية تعتـــبر ملكـــا للرجـــل ولـــه الحـــق في أن يحرمهـــا مـــا تملـــك ، ويطلقهـــا مـــتى أراد ، ولا فـــرق بينهـــا وبـــين الحيـــوان الأعجـــم . الرجـــل يـــأمر وهـــي تتلقـــى الأوامـــر ، وتنفـــذها صـــاغرة ، ولـــيس لهـــا حـــق الاعتراض [٢] .

المرأة عند اليونان :

اليونـــان مـــن أرقـــى الامـــم القديمـــة حضـــارة ، وأزهرهـــا وأكثرهـــا تمـــدناً في التـــاريخ في عصـــرهم البـــدائي كانـــت المـــرأة في غايـــة مـــن الانحطـــاط وســـوء الحـــال ، مـــن حيـــث الأخـــلاق والحقـــوق القانونيـــة والســـلوك الاجتمـــاعي جميعـــاً فلـــم تكـــن لهـــا في مجـــتمعهم منزلـــة . أو مقـــام كـــريم ، وكانـــت الأســـاطير (Mythology) اليونانيـــة قـــد اتخـــذت امـــرأة خياليـــة تســـمى (بانـــدورا) (Pinndora) ينبـــوع جميـــع آلام الانســـان

---

(١) حضارات العالم في العصور القديمة . والوسطى . الطبعة الثانية .

books.rafed.net

ومصـــائبه . لقـــد كـــان تـــأثير الاســـطورة اليونانيـــة عـــن (بانـــدورا) في عقـــولهم وأذهـــانهم ، فلـــم تكـــن المـــرأة عنـــدهم إلا خلقـــاً مـــن الـــدرك الأســـفل ، في غايـــة المهانـــة والـــذل ، في كـــل جانـــب مـــن جوانـــب الحيـــاة الاجتماعيـــة وأمـــا منـــازل العـــز والكرامـــة في المجتمـــع ، فكانت كلها مختصة بالرجل [1] .

فـــالمرأة الأثينيـــة تقضـــي معظـــم وقتهـــا في المنـــزل ، تغـــزل وتنســـج ، وتخـــيط ثيابهـــا وثيـــاب زوجهـــا ، ونجـــد انهـــا ضـــئيلة الحـــظ مـــن الثقافـــة ، وان بنـــات أثينـــا يلـــزمن البيـــت في حـــين يـــذهب أبناؤهـــا يوميـــاً الى المدرســـة ، حيـــث يتعلمـــون القـــراءة والكتابـــة والحســـاب ، ويحفظـــون شـــعر هـــوميروس ويعزفـــون علـــى القيثـــارة ويقومـــون بالتمـــارين الرياضـــية ، ولم تكـــن المـــرأة اللاتينيـــة ، تجلـــس الى المائـــدة ، إذا كـــان عنـــدهم ضـــيوف غرباء لأنها بمنزلة العبيد والخدم .

المرأة عند الرومان :

الـــذين تســـنموا ذروة المجـــد والرقـــي في العـــالم لمـــدة طويلـــة مـــن الـــزمن هـــم الرومـــان وفي هـــذه الامـــة ايضـــا ، نـــرى أن القـــوانين والأنظمـــة ،كانـــت تميـــل الى الظلـــم والحرمـــان والاضطهاد تجاه المرأة .

فالرجـــل رب الاســـرة في مجـــتمعهم ، لـــه حقـــوق الملـــك كاملـــة ، علـــى أهلـــه وأولاده والقـــانون الرومـــاني كـــان قـــد أعطـــى الرجـــل حـــق التصـــرف بزوجتـــه علـــى هـــواه ، حـــتى بلـــغ مـــن تعســـف الرجـــل وتســـلطه في هـــذا الشـــأن ، انـــه يجـــوز لـــه حـــتى قتـــل زوجتـــه في بعض الأحيان .

ولمـــا تقـــدم الرومـــان ، خطـــوات في ســـبيل الحضـــارة ، وأخـــذوا يرتقـــون ســـلم

---

(١) كتاب الحجاب . ابو الاعلى المودودي .

books.rafed.net

المدنيـــة ، خفـــت القســـوة في تلـــك الســـلطة ، مـــن قتـــل وتعـــذيب وأخـــذت تميـــل الكفـــة إلى الاعتدال شيئاً فشيئاً .

لكـــن بقـــي نظـــام الاســـرة القـــديم ، ثابـــت علـــى حالـــه ، بـــل قيـــدوا النســـاء بقيـــود مثقلة ، مما زادهنَّ ذلة ومهانة .

كـــان الرومـــان يتســـابقون في ميـــدان التقـــدم والرقـــي ، ولكـــن احتقـــارهم لنســـائهم يعـــاملوهنَّ معاملـــة الخـــدم والإمـــاء ، وينظـــرون إلـــيهن نظـــرة الازدراء ممـــا جعـــل المـــرأة تنجـــرف في تيـــار الاســـتهتار ، عنـــدما رأت نفســـها ، في مثـــل هـــذا الانحطـــاط والانهيـــار ، ولأنهـــا لا تصـــلح إلا لإرضـــاء الرجـــل ، وتلبيـــة رغباتـــه ، عنـــدها تفجـــر بركان من الفحشاء والفجور .

وعـــن المـــودودي (ولمـــا تراخـــت عـــرى الاخـــلاق وصـــيانة الآداب في المجتمـــع الرومـــاني الى هـــذا الحـــد ، انـــدفع تيـــار مـــن العـــرى والفـــواحش ، وجمـــوح الشـــهوات ، فأصـــبحت المســـارح مظـــاهر للخلاعـــة والتـــبرج الممقـــوت ، وزُينـــت البيـــوت بصـــور ورسوم كلها دعوة سافرة الى الفجور ، والدعارة والفحشاء) .

ومـــن جـــراء هـــذا كلـــه ، راجـــت مهنـــة المومســـات والـــداعرات . الى أن يقـــول : ونالـــت مســـرحية فلـــورا (Flora) حظـــوة عظيمـــة ، لـــدى الـــروم ، لكونهـــا تحتـــوي على سباق النساء العاريات .

وكـــذلك انتشـــر اســـتحمام النســـاء والرجـــال في مكـــان واحـــد بمـــرأى مـــن النـــاس ومشـــهد . أمـــا ســـرد المقـــالات الخليعـــة ، والقصـــص الماجنـــة العاريـــة ، فكـــان شـــغلاً مرضـــياً مقبـــولاً ، لا يتحـــرج منـــه أحـــد ، بـــل الأدب الـــذي كـــان يتلقـــاه النـــاس بـــالقبول والرضـــى ، هـــو الـــذي يعـــبر عنـــه اليـــوم بـــالأدب المكشـــوف ، وهـــو الـــذي تبـــيَّن فيـــه أحـــوال الحـــب ، والعنـــاق والتقبيـــل ســـافرة غـــير مقنعـــة ، بحجـــب مـــن المجـــاز والكنايات . انتهى [1] .

---

(١) الحجاب . ابو الاعلى المودودي .

books.rafed.net

أقــول : وفي القلــب حســرة . . . لقــد أصــبحنا في زماننــا هــذا ، وفســاد الأخــلاق آخــذ بناصــية جميــع المســالك الحياتيــة تقريبــاً ، وفي معظــم الــبلاد العربيــة والاســلامية وإذا اســتنكر مســتنكر علــى أمــواج الفوضــى العارمــة ، وتيــار الفســاد الطــاغي علــى النفــوس . أو أمــر آمــر بــالمعروف ، او نحــى عــن المنكــر نــاهٍ وجــد نفســه ، بــلا ناصــر ولا معين ، بل اتهم بالرجعية والتخلف وكما قيل :

وإذا تــــــــراءى مصــــــــلح يلفــــــــى بــــــــلا أعــــــــوان

ســــــــاد الفســــــــاد وســــــــاد أهــــــــل الجــــــــور في البلــــــــدان

والــــــــدين أصــــــــبح شــــــــاكياً متــــــــداعي الأركــــــــان

لم يبــــــــق بــــــــين بنيــــــــه غــــــــير الحقــــــــد والشــــــــنآن [1]

المرأة في بلاد الهند

بــلاد الهنــد ذات حضــارة عريقــة راســخة ، تتميــز بطــابع العلــم والتمــدن ، والثقافــة ، منــذ أقــدم العصــور . ولكننــا إذا أمعنــا النظــر نــرى أهــل بــلاد الهنــد كبقيــة الامــم والشــعوب ، الــتي كانــت في الــزمن الغــابر تعامــل المــرأة عنــدهم ، بمنتهــى القساوة ، وينظر اليها نظرة الاحتقار .

تتخــذ المــرأة مملوكــة ، وينــزل الرجــل منهــا منزلــة المالــك . او المعبــود ، وهــي محتوم عليها ، أن تظل مملوكة لأبيها بكراً ، ولبعلها زوجة ، ولأولادها ايِّماً .

ثم بعــد هــذا الهــوان ، والــذل ، يقــدمونها ضــحية علــى نــيران زوجهــا المتــوفي . أي إذا مات عنها زوجها ، يحرقونها معه بالنار وهي حية .

---

(١) من قصيدة طويلة في رثاء الحسين عليه السلام . للسيد علي فضل الله الحسني .

books.rafed.net

لقد كان الهندوك يحرقون موتاهم ويحرقون زوجة الميت معه وهي حية . كانوا يلبسونها أفخر ثيابها وحليّها ، ويأتون بها وكأنها عروس في ليلة الزفاف ، ثم يلقونها فوق الجثة المحترقة لتأكلها النيران وبقيت هذه العادة البشعة ، يتوارثها الأبناء عن الآباء حتى جاء الإسلام ، بنور تعاليمه ، واستنقذ المرأة من المصير الأسود ، فأبطل هذه العادة البشعة وحرم العمل بها وعاقب عليها .

وكان الهنود يحرمون المرأة من جميع الحقوق الملكية ، ومن الأرث ايضاً وعليها ان ترضى بقوانين الزواج ، المتبعة عندهم ، فهم يسلمونها الى أي رجل من الرجال ، بغير رضاها او استشارتها ، وهي ملزمة ان تخضع له ، فهو المالك ولا يجوز لها ان تتخلص من حيازته الى آخر انفاس حياتها .

وكان الشعب الهندي ، يعتقد ، ان المرأة هي مادة الاثم وعنوان الانحطاط الخلقي ، والروحي ، ولا يسلم لها حتى بوجود الشخصية المستقلة كإنسان كامل .

المرأة في نظر بعض الفلاسفة

لقد عاشت المرأة مضطهدة ، ليس لها مجال في هذه الحياة ، إلا تربية الأطفال ، وإرضاء الرجال ، بل هي مخلوق أحط من الرجل والدليل على هذا قول بعض الفلاسفة وأهل الفكر .

قال : (بردون) الفيلسوف الاشتراكي في كتابه (ابتكار النظام) إن وجدان المرأة أضعف من وجداننا ، بقدر ضعف عقلها عن عقلنا .

وقال الفيلسوف (روسُّو) إن المرأة ، لم تُخلق للعلم ولا للحكمة ولا للتفكير ولا للفن ولا للسياسة ، وإنما خلقت لتكون اماً تغذي أطفالها بلبنها ، وتتعهد

books.rafed.net

ضعفهم بحسن عنايتها ، وتسلمهم بعد ذلك للأب ، أو للمربي يعتني بهم على نحو ما توحي به الطبيعة ، وترجع هي للقيام بوظيفة الامومة فتحمل ، وتضع ، وتُرضع ، وتتعهد لتعود ايضاً لتحمل ، وتُرضع وتتعهد من جديد . وهي وأطفالها دائماً في عنق الرجل [1] . قالت دائرة المعارف الافرنسية عن المرأة : إن تركيبها الجسماني يقرب من تركيب الطفل ، ولذلك تراها مثله ذات حساسية حادة جداً تتأثر بغاية السهولة ، بالاحساسات المختلفة كالفرح . والألم . والخوف .

وبما أن هذه المؤثرات ، تؤثر في تصورها ، بدون أن تكون مصحوبة بتعقل ، فلذلك نراها لا تستمر لديها إلا قليلا ؛ ومن هنا صارت المرأة معرضة لعدم الثبات .

هذه الأمة الفرنسية تلك الدولة المتمدنة ، ظل قانونها المدني ، الى امد قريب ، ينص على ولاية الرجل على المرأة ، ويمنعها حرية التصرف بما لها إلا بإذن زوجها .

وقد نقل عن الكاتبة الفرنسية « أرماندين لوسيل اورور » فانها لم تتمكن من نشر مؤلفاتها حتى اتخذت لنفسها اسم رجل هو جورج صاند (١٨١٤ . ١٨٧٦) الكاتبة والمؤلفة الفرنسية التي حملت اسم الرجال حتى تجد أعمالها طريقها الى النور ، بعد أن فشلت تماماً في إقناع أصحاب الصحف ودور النشر ، أن المرأة ايضاً تستطيع أن تكتب وأن لها عقل المفكر . يفكر . ويستوعب مثل الرجل [2] .

---

(١) كتاب تاريخ التربية . الاستاذ عبد الله المشنوق .

(٢) عن المجلة العربي . عدد : ٢٢٠ . صفحة ١١٦ .

books.rafed.net

مقارنة وتحليل

لقد ذكرت بايجاز حالة المرأة في القرون الغابرة ، وشرحت شرحاً ضئيلاً للتطورات التاريخية ، التي مرت بها لمدة تتراوح الثلاثة آلاف من السنين . وقد مرت على هذه الأرض امم شتى ، وتعاقبت عليها شعوب كثيرة ، مختلفة الأجناس والأديان ، والألوان ، ذوو قوة وبأس شديد ، وكانت لهم حضارات عظيمة ، من التقدم والرقي .

لقد حاول الإنسان بحدود تفكيره ومعرفته ، ان يخط للمرأة طريقاً تسير على هداه ، وتتبع منهاجه ، ولكن كما أسلفنا الميول والعواطف لها تأثير بالغ على العقل والفكر ، تصرفهما عن الحقائق العادلة .

وهكذا مما جعل المرأة حائرة ضائعة ، لا تدري ما تفعل ، ولا تجد أمامها ، إلا دروباً محاطة بالقيد والظلم والتعسف .

لقد ذكرت سابقاً ما حدثنا به التاريخ ، من أن المرأة كانت على جانب كبير من الاضطهاد والذل والمهانة عند جميع الأمم والشعوب ، وخلاصة القول : انها كانت : عند العرب في الجاهلية سلعة تباع وتشترى ، ليس لها أي اعتراض على حياة الذل .

وعند الفرس : ينظر اليها نظرة كلها احتقار وازدراء .

وفي الصين : المرأة شيء تافه بالنسبة للرجل ، تتلقى الأوامر وتنفذها .

books.rafed.net

وعند المصريين : بغاية الانحطاط والذل .

وعند اليونان : انها رجس من عمل الشيطان .

وعند الرومان : على جانب عظيم من الذل والاحتقار .

وعند الاشوريين : مادة الاثم . وعنوان الانحطاط .

كذلك كانت المرأة السومرية . والبابلية . والاكادية . والساسانية وغيرهم من الشعوب التي كانت لها حضارات .

وظلت المرأة تتخبط في الظلام حتى ظهر الإسلام .

فالاسلام هو الخطة الوحيدة المستقيمة ، والطريق الناجح . . . والإسلام بجميع نظمه وقوانينه هو الحل الوحيد ، الذي رسم للمرأة طريقاً محدوداً ، وانهجها منهاجاً صحيحاً ، وخط لها درباً واضحاً ، وأبان لها دورها في الحياة ومدى مسؤولياتها في المجتمع ، واظهر قيمتها منزلتها مع الآخرين ، وسن لها في القوانين حقوقاً وواجبات ، وأعطاها ما لم يعطه من قبله ولا من بعده أحد من الامم والشعوب .

جاء الإسلام هادياً للبشرية منقذاً لها من الضلال والشرك مصدقاً للعلم والعقل حاثاً على اكتشاف اسرار الكون والسيطرة عليه لذلك سمي دين الفطرة ودين العقل .

جاء الاسلام ، حاملاً دستور الحق والعدل والانصاف ناشراً لواء المحبة والأخوة والمساواة ، ناصراً للضعيف المظلوم على القوي الظالم .

ففي آداب الاسلام واخلاقياته ومعنوياته ، ما يقوم بأعظم دستور للحياة ، في أروع صور الحياة واسماها ، وللحضارة في أرقى ما تصل اليه الحضارة ، يصوغ المعاملات ، والعلاقات الحياتية على العدل والإنصاف (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

books.rafed.net

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) . [1] . ويحث على السلوك الإنساني والعمل بالحق ، وعلى طريق الخير والديمقراطية ، ومحاربة الاستبداد والدكتاتورية ، ولا يضع قيوداً على عقل الإنسان أو يحول دون تقدم الفكر . ولا يكبل الإنسان بالزهد والتقشف . قال تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) [2] ولا يرضى أن يسلم الإنسان نفسه للترف والمتع ، قال تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [3] .

والمبادئ الإسلامية تقوم على المحبة ، وهي الاخوة والتضامن قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [4] . وتقوم أيضاً على الرحمة والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، والعمل الصالح في سبيل الله قال تعالى : (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [5] . وكذلك تحث على التعاطف والتعاون قال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [6] وكذلك تحث على الإلتزام بالمكارم والتسابق للفضائل والتجنب للرذائل ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [7] .

---

(١) سورة النحل . آية : ٩٠ .

(٢) سورة الاعراف . آية ٣٢ .

(٣) سورة الاعراف . اية ٣١ .

(٤) سورة الحجرات . اية ١٠ .

(٥) سورة البقرة . اية ١٩٥ .

(٦) سورة المائدة . اية ٢ .

(٧) سورة الحجرات . اية ١٣ .

books.rafed.net

ولم تقتصر التعاليم الإسلامية على فئة معينة من البشر ، بل تعدتها إلى جميع الامم والشعوب .

فالاسلام أعز المرأة ، وانتشلها من حضيض الذل ومرارة الحرمان ، وجعل لها المكانة العليا في المجتمع ، ثم بعد هذا ، ساوى بين الرجل والمرأة في أكثر المجالات .

ان الشريعة الإسلامية هي الوحيدة التي منحت المرأة الكثير من الحقوق والواجبات ، وحباها الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم بفيض من الرعاية والعناية واللطف ، ووضعها في المكان اللائق بحالها .

قال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » (١) .

وقال تعالى : « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (٢) .

وقال تعالى : « وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (٣) .

---

(١) سورة الأحزاب . آية . ٣٥ .

(٢) سورة التوبة . آية . ٧١ .

(٣) سورة التوبة . آية . ٧٢ .

books.rafed.net

ثم ان الاسلام أمدّ المرأة المسلمة بالشعور بالشخصية المستقلة ، المزودة بمكارم الأخلاق ، والطموح الى العزة والكرامة ، حيث أخذ النبي ﷺ البيعة منها مستقلة كالرجل ، قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » [1] .

وفي الحث على التضامن مع رفع مستوى المرأة قال تعالى : « فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ » [2] .

هذا من الناحية الاجتماعية ، وأما من حيث الارث والعمل في اكتساب المال والرزق الحلال ، فقد فرض لها الاسلام فرضاً معلوماً من الارث ولم يحرمها .

قال تعالى : « لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا » [3] .

ثم أعطاها الاسلام حرية التصرف بما لديها من أموال ، والتكسب به عن طريق الحلال ، قال تعالى : « لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » [4] .

---

(١) سورة الممتحنة . آية . ١٢ .

(٢) سورة آل عمران آية . ١٩٥ .

(٣) سورة النساء . آية . ٧ .

(٤) سورة النساء . آية . ٣٢ .

books.rafed.net

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الصريحة التي تحفظ منزلة المرأة ، وتزيد من كرامتها وحفظ معنوياتها ولقد احتوى القرآن الكريم على آيات كثيرة توضح ما للمرأة من حقوق وواجبات ، على أفضل واهدى وأقوم وأصلح ما يكون لكل زمان ومكان .

هذه بعض المبادىء الإسلامية والتعاليم السماوية ، التي فتحت القلوب المغلقة ، وأنارت البصائر عند ذوي الألباب ، فلم تمض بضع سنوات على بعث دعوة محمد ﷺ وظهور الشريعة الآلهية السمحاء التي تفيض بالعدل والانصاف ، حتى أصبح الإسلام عقيدة الملايين من البشر .

ولم يمض قرن من الزمان حتى ارتفعت راية الإسلام خفاقة في ارجاء العالم ، واستولى أبناء البادية الاعراب على امبراطورية كسرى وقيصر .

books.rafed.net

حول حرية المرأة في الاسلام

جمعتنا الصدف في بيت إحدى الصديقات ، وكان عندها جمع غفير ، ضم عدداً غير قليل من ذوات الفهم والعلم والأدب والثقافة العالية .

دار النقاش ، حول تاريخ نهضة المرأة المسلمة وما لاقت في حياتها من عقبات ومتاعب .

علا الضجيج وزادت الجلبة والضوضاء كل يبدي رأيه في حال المرأة ، وتطوراتها في ظل التشريع الإسلامي . وتفرقوا شيعاً بين مادح لوضعها . . . وناع عليها .

وانبرت إحدى الحاضرات ، وهي من المسلمات ، المثقفات ثقافة عالية لكنها ويا للأسف . . . من جملة النساء المخدوعات بتزويق كلام يرقشه جماعة من الملحدين والمستهترين .

راحت تلك الاخت المثقفة تهاجم الشريعة الإسلامية بحماس زائد ، مدعية أن الإسلام بتشريعاته القاسية ، وقوانينه الصارمة ، قد ظلم المرأة ، وأن علماء المسلمين قد أجحفوا بحقها .

حبسوها . . . قيدوها . . . ضيقوا عليها . . . حرموها الحرية والنور . . . جعلوها منبوذة في المجتمع . . . خاملة الذكر . . . متحجبة . . . حبيسة الجدران . . . مخدرة . . . مستعبدة . إلى آخر ما هنالك ، من نعوت وأوصاف .

books.rafed.net

أجبتها بكل هدوء : خففي من غلوائك اختاه ، ولا تجعلي للشيطان عليك سبيلا .

لا داعي للتحدي أو المهاجمة ، فإنني على استعداد تام ، لكي أشرح مبينة لك ، ولغيرك وضع المرأة المسلمة ، نصف الهيئة الاجتماعية .

ولا أستسلم للعواطف التي طالما حملت الكثير من الناس على ذكر الحسنات دون السيئات متى تحدثوا عن أقوامهم .

(وليس في التشريع الإسلامي سيئات) .

وإني أبذل جهدي ، لشرح وتوضيح كل فقرة أو كلمة مما تقولين وتنكرين ليتضح ما خفي عليك وعلى أمثالك من المخدوعات والمخدوعين لا تأخذني في الله لومة لائم (قل الحق ولو على نفسك) .

كما وأرجو من أخواتي الحاضرات أن ينظرن بمنظار الحق واعتبارهن امة وسطاً تحكم بالعدل .

وإن الغاية من موقفي هذا هو كشف النقاب ، عن وجه تطور المرأة المسلمة من النواحي الأخلاقية والثقافية والاجتماعية . . . وغيرها .

وذلك في غضون تعاقب العرب . . . والفرس . . . والترك . . . وغيرهم ، على الحكم في الامبراطورية الاسلامية .

وكذلك في ظروف تداول السلطة بين العرب . . . والبربر . . . في المغرب والأندلس حتى نصل إلى تبيان التطور الذي أصاب الأمة الإسلامية في تلك المراحل .

وللانسجام مع الواقع ، والمحافظة على الوجه الاسلامي الصحيح من أن تشوهه الأضاليل ، أبذل الجهد في تحليل ما يقتضيه الواقع ، من بحث وتدقيق وتنقيب وتمحيص ، للوصول إلى الغاية المرجوة بكتابي هذا .

books.rafed.net

وإنـــني الآن أتنـــاول ، أولاً موضـــوع حريـــة المـــرأة ، شـــارحة لأي مجـــال أعطاهـــا الاسلام من الحرية والانطلاق .

وإني إذ أكتـــب أرى أنـــه لـــيس مـــن الضـــروري ، أن تكـــون عبـــاراتي مســـجعة ، منمقة في غاية البلاغة وتنعدم معها إمكانيات العطاء الذاتي كما يفعل البعض .

وإنمـــا حرصـــت علـــى أن تكـــون هـــذه العبـــارات ســـهلة سلســـلة يستســـيغها القـــراء ، مع حسن التنسيق وسلامة التعبير .

الحرية . . . والمساواة :

السؤال الذي يتردد على لسان حاملي لواء المطالبة بحقوق المرأة المسلمة ،

شـــعارهم : نحـــن نطالـــب بالحريـــة . . . والمســـاواة ، لنمضـــي في ركـــب الحضـــارة والمدنية ، شأن النساء الاوروبيات .

وكانـــت صـــيحة محمومـــة ، ومطالبـــة صـــارخة ، إن هنـــاك مـــن الحقـــوق المغبونـــة ، والظلـــم الواقـــع علـــى رأس المـــرأة المســـلمة ، لأن الإســـلام لم ينصـــف المـــرأة ، عنـــدما جعلها دون الرجل ، وسلَّطه عليها .

والحـــق يقـــال : إن جميـــع مـــا يتشـــدق بـــه دعـــاة المدنيـــة ، مـــا هـــو ســـوى بعـــد عـــن الحقـــائق ، وتقليـــد أعمـــى ، درجـــت عليـــه المـــرأة الشـــرقية ، وارتضـــته المســـلمة لنفســـها ، بالاضـــافة إلى مـــا ارتضـــته مـــن نقـــائص وســـخافات مســـتوردة مـــن الـــبلاد الأجنبيـــة ، وقلدتها راضية مرضية .

إذا كانـــت المـــرأة الأجنبيـــة ، تطالـــب بحقوقهـــا ، فهـــذا أمـــر راجـــع لاعتبـــارات كثـــيرة ، اقتصـــادية . . . واجتماعيـــة . . . وتربويـــة ، الـــتي كانـــت تعـــاني منهـــا عنـــدما كانـــت ترسف بالقيود ، وتتخبط في الظلمات .

books.rafed.net

وما شأن المرأة المسلمة بهذه المطالب ؟ ؟ مع العلم أن الإسلام أنصفها وأرضاها ، وأعطاها حقوقها كاملة غير منقوصة .

لا يخفى أن المرأة في البلدان الأجنبية ، من شرقية أو غربية قد مرَّت بأشواط قاسية .

ففي العصور المظلمة التي تخبطت بها المرأة ، كثر الجدل حول حقيقتها انها بشر . . . ؟ أم شيطان . . . وهل تحتوي نفسها على الخير كالرجل ؟ أم انها بشر ؟ فضلاً عن أن الرجل كان يقودها ويبيعها في السوق ، وهي راضخة ، قانعة بوضعها مكتفية بإنفاق الرجل عليها .

وبعد قيام الثورة الصناعية في جميع البلدان ، وإنشاء المصانع والمعامل والشركات تبدلت الأوضاع . . . وتفاوتت الاعتبارات .

لقد أسدت الثورة الصناعية ، خدمات كثيرة إلى بني الإنسان ، ولكنها من جهة ثانية ، أساءت إلى المجتمع الأخلاقي ، الذي أخذ بالتفكك والانحلال تدريجياً . حيث أصبح الفرد لا يهتم إلا بنفسه ، ثم إشباع ذاته وحاجته وانغماسه في الملذات . لأن الثورة الصناعية أدَّت إلى نشوء طبقتين الطبقة الاولى : أرباب العمل وهم الأغنياء الذين أفسد الترف أخلاقهم ، والطبقة الثانية : العمال وهم الفقراء الذين ألجأهم الحرمان للهث وراء المال لسد حاجتهم ، ويكون المثل الأعلى يومئذٍ للرجل الناجح هو الرجل الغني .

صرف المرء حينئذٍ نفسه وتفكيره وطاقاته وجهوده عن كل شيء إلا الحصول على المال ، بأي وسيلة ، ومن أي طريق .

كان من الطبيعي أن تدخل المرأة في ميدان العمل ، لإعالة نفسها ، ولكنها الجانب الضعيف الذي ينحني عادة للأقوى ، في كل زمان ومكان إذا لم يكن هناك رادع ديني . . . أو أخلاقي .

books.rafed.net

نزلت المرأة الى ميدان العمل ، وعملت مع الرجل وقامت بنفس الجهد أو أكثر ، ولكن بأجر أقل من الرجل ، جهد كثير ، وأجر قليل وكرامة غير محفوظة .

وأخيراً تهاوت تحت وطأة الحاجة والعوز بنفسها وشرفها .

هذا واقع أكثر النساء الأجنبيات اللواتي تريد تقليدهن والاقتداء بهن ، المرأة المسلمة ، والزمرة التي تطالب بحرية المرأة ومساواتها بالرجل .

هذا واقع النساء المتحررات الاوروبيات او الأجنبيات . وهذا ما دعاهن إلى شق عصا الطاعة ، والتنفيس عما يعانينه من جور وحرمان واضطهاد .

قامت النساء ، يطلبن حريتهن وحقوقهن المهضومة ورفعت الأصوات . . . وزادت المطالبة بالحرية والمساواة . . .

وتمَّ للمرأة ما أرادت ، ولكن هل حلَّت المساواة والحرية مشكلتها ؟

وهل حققت لها السعادة ؟ ؟

هل رفعتها في نظر الرجل ؟ ؟

هل صانت نفسها . . . وشرفها ؟ ؟

لا . . . وألف لا . . . هذه صحفهم كلها تشهد وتقول : صحيح ان قانون المساواة حقق للمرأة الكسب المادي ، ولكنه سبب زيادة في الطلاق وأدى الى تفكك الروابط العائلية ، بسبب غيابها عن البيت ، وابتعادها عن أطفالها وعدم رعايتهم ، والاعتماد على دور الحضانة .

وماذا يجدي الكسب المادي ؟ إذا كان الأمن بعيداً عن البيت ؟ ؟

والاطمئنان مفقوداً ؟ !

« اطمئنان الزوج . . . الأم . . . الأطفال . . . » .

books.rafed.net

جاء في مجلة (شجرة الدر) في الجزء السادس من السنة الاولى نقلاً عن جريدة (الاسترن ميل) بقلم الانكليزية الشهيرة (آني رورد) [1] « إذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم او كالخوادم ، فذلك خير وأخف بلاء ، من اشتغالهن بالمعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تُذهب برونق حياتها الى الا بد .

ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين ، حيث الحشمة والعفاف . . . والطهارة رداء الخادم . . . والخادمة اللذين يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان معاملة رب البيت ، ولا يمس عرضهما بسوء . .

نعم ، إنه عار على بلاد الانكليز أن تجعل بناتها ، مثلاً للرذائل ، لكثرة مخالطة الرجال ، فما لنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية ، من ملازمة البيت ، وترك أعمال الرجال للرجال ، سلامة لشرفها ! ! » انتهى .

إن عقلاء الامم الغربية ينفرون من هذه الحال التي ضربت فيهم بجرانها ، وفينا نفر ، أضلهم الله على علم . . . يريدون أن يفسدوا المرأة باسم إصلاحها ، ويهدموا حياتها وطبيعتها ، بسوء هذا الصنيع . فهم يحملون الناس ، بتزاويق الكلام ، على أن ينهجوا منهج الغربيين سالكين طريقتهم ، مقلدين في كل شيء ، حتى الضار من الاخلاق . . . والعادات . . . والتقاليد . . . ورحم الله القائل :

فلا يفسد التقليد طيب ارثكم ففي دسم الغرب اختفى ناقع السّم
ولا تقربوا منهم سوى العلم وحده وعضوا على أخلاق آبائنا الشم

ولكنني أتساءل . . . . هل يجب علينا نحن المسلمات ، ان نحمل نفس الشعارات . . . . ونهتف . . . وننادى بها ؟ ! .

---

(١) عن كتاب نظرات في السفور والحجاب . الشيخ مصطفى الغلاييني .

books.rafed.net

هـل يجـب علينـا تقليـد الاجانـب مـن الافـرنج وغـيرهم ؟ التقليـد الاعمـى الـذي يؤدي بنا إلى الهاوية ؟

كلنـا يعلـم أن الإسـلام أعطانـا الكثـير . . ولكـن نحـن ظالمـات ، جاحـدات لـنعم الله سبحانه .

مـا ظلـم الإسـلام المـرأة . . . ولا أجحـف بحقهـا ، ولا أنقـص مـن كرامتهـا . ولكنـه رسـم لهـا جانبـاً ايجابيـاً عظيمـاً في هـذه الحيـاة . والله سـبحانه وتعـالى سـاوى بين الرجل والمرأة بالإنسانية والجزاء . . . متساويين في الخلق : قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ . . . .) [1] .

إنكما متساويان أمام الله في الأعمال . الثواب . العقاب . . .

(أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ . . .) [2] .

ولكـن البـاري سـبحانه وتعـالى فـرق بـين الرجـل والمـرأة في المواضـع الـتي تقتضيها الفطرة . . . والطبيعة .

فيـا اختـي المسـلمة . . . عـودي الى الـدين . . . والى الحيـاء . . . وصـوني كرامتـك وشرفك ، فليس غير الإسلام يصون نفسك ويحفظها .

تحـرري مـن هـذه النظريـات والسـموم ، فـوالله إن المسـتعمر يريـد اسـتعبادنا واسـتثمارنا ، بعـد أن يضـعف ديننـا ، ويصـرفنا عنـه بشـتى الأسـاليب والحيـل والخـداع واتقي الله واستعيني به .

مـن اسـتعان بغـير الله في طلـب

فـإن ناصـره عجـز وخـذلان

---

(١) سورة الحجرات . آية . ١٣ .

(٢) سورة ال عمران . آية . ١٩٥ .

books.rafed.net

المساواة في العبادات :

طالب الإسلام الإنسان رجلاً كان أم امرأة ، بانشاء نفس راقية ، وتصفيتها من نوازع النفس البشرية ، ومن أدران المادة الدنيئة ، وبالابتعاد عن صفات الروح الحيوانية . ودله على السبيل إلى ذلك . فسن له سننا ووجهه إلى طرق اسماها العبادات كقوله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [1] .

طلب منه الصلاة ، بان يذكر ربه اناء الليل وأطراف النهار ، ويتهجد له بكرة وعشيا .

يقف بين يديه متوجهاً اليه بجنانه ، سامياً عن الدنيا بنفسه ، محلقاً في ملكوت ربه بروحه . فيخشع قلبه لما تنقشع الغشاوة عن بصيرته ، فيرى بوجدانه عظمة الباري وقدرة الخالق ، ويكون مشدوداً اليه في كل حركاته وسكناته ، في قيامه ، وركوعه ، وسجوده .

هي الصلاة « سراج كل مؤمن » كما ورد في الحديث : « هي السلم الذي يرتقي به المؤمن متعالياً عن المفاسد الدنيا . . . وهي أيضاً قربان كل تقي » .

بالصلاة يتقرب العبد إلى ربه ، ويشف اهابه ، وتسمو نفسه وتتهاوى سدود انانيته .

ولقد قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً » . وقال أيضاً : « لا صلاة لمن لم يطع الصلاة . . . » وطاعة الصلاة ان ينتهي المصلي عن المعصية وفعل المنكرات . وقال الإمام جعفر الصادق (ع) « من احب ان يعلم أقبلت صلاته أم لم تقبل فلينظر هل منعته عن الفحشاء والمنكر ؟ فبقدر ما منعته قبلت منه » .

---

(١) سورة الذاريات . اية . ٥٦ .

books.rafed.net

ان الإنسان لو عبد الله حقاً ، ومشى على طبق التعاليم الإسلامية وانتهج الصراط المستقيم . وعمل الخير وأمر بالمعروف وانتهى عن المنكر كان من الصالحين . . . وإلا فقد حكم على نفسه بأنه دجال منافق وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذا المعنى « فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ [1] الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ [2] »

وقال الشاعر :

ما قال ربك ويل للأولى سكروا بل قال ربك ويل للمصلينا

وفرض على الإنسان الصوم ، يصارع غرائزه الحيوانية لكي يتمكن من مصارعة أهوائه الشخصية ، ورغباته الذاتية التي يعصي بها ربه إن اطاعها ، لانها تصطدم مع أهواء إخوته من بني البشر .

فكل منهم يرغب في امتلاك العالم وما فيه ، وتكمن في نفسه شهوة السيطرة وحب الذات . وتفيض نفسه كرهاً وحقداً لكل ما يقف في طريق تحقيق مرادها .

ومن الناس من يسلك للحصول على المال طرقاً ملتوية لا تقرها الشرائع والاخلاق ، ولا يكتفي بالحلال ، ولا يبالي بالحرام . فهو جائع لا يشبع طامع لا يقنع . استعبدته شهوة المال ، وحرمته لذة الرضا والقناعة .

ولما تتضارب مصالح الإنسان مع مصالح أخيه ، يضطر من أجل ارضائها ان يظلم اخاه ليرمي بانسانيته عرض الحائط . وكما قال الشاعر :

الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

فالصيام يفرض عليه مصارعة غرائزه الحيوانية من أكل وشرب وجنس

---

(١) سورة . الماعون . اية . ٤ .

(٢) سورة . الماعون . اية . ٥ .

books.rafed.net

وغير ذلك ، فإن استطاع اعانه ذلك على السيطرة على نوازع النفس وشهواتها ، فيسلك طريقاً مستقيماً مطيعاً لله ، متجنباً معاصيه . وإلى ذلك يشير الحديث « الصوم جنة من النار » .

طلب الاسلام من الجناحين . . . الرجل والمرأة ، على السواء ، تنقية النفس وتطهير الذات ، لسمو روحي عال وترفع عن دنس دنيء .

وعلى حد سواء طلب منهما الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهي عمود الدين وقد ورد في الحديث الشريف : « الصلاة معراج المؤمن يعرج بها إلى ملكوت ربه بنفسه وروحه وقلبه » .

وجميع العبادات من صوم وصلاة . . . وحج وزكاة وجهاد في سبيل الله ، هي دروس للإنسان كيف ينشيء نفساً قوية وشخصية فذة ، وكيف يسيطر على هواه ورغباته . . . ويبدأ بجهاد نفسه . وكيف يوجهها في سبيل خير المجتمع وسعادته .

فإذا اخلص لله عمله ، رغب في كل ما يتقرب اليه ، تراه بهمة عالية يقطع الفيافي والقفار والمسافات البعيدة ليتمثل ما أمره الله تعالى به : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » [1] .

فيطوف حول البيت ويسعى بين الصفا والمروة يدعو الله بقلبه ولسانه بجوارحه ان يخلصه من الشرور والآثام .

وتراهم رجالاً ونساء في هذا المؤتمر العظيم يهتفون ويلبون بصوت واحد : « لبيك اللهم لبيك » .

ممتثلين لدعوة ربهم لما ندبهم في قوله عز من قائل : « وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ

---

(١) سورة ال عمران . اية . ٩٧ . .

books.rafed.net

يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ » [1] .

وذكر الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن : يأتوك رجالاً . أي مشاة على أرجلهم (وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ) أي ركبانا . . (لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) قيل يعني بالمنافع التجارات . عن ابن عباس وسعيد بن جبير .

وقيل التجارة في الدنيا والاجر والثواب في الآخرة عن مجاهد وقيل : هي منافع الآخرة ، وهي العفو والمغفرة . عن سعيد بن المسيب وعطية العوفي وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) . . .

وخلاصة القول : لم يحرم الله سبحانه المرأة من هذا الثواب العظيم والاجر الجزيل ، وهذه التجارة الرابحة .

وفسح لها المجال للمشاركة في هذا المؤتمر العظيم الذي يجتمع فيه الناس من كل حدب وصوب ، ومن كل لسان وجنس ولون . . . من أصقاع المعمورة .

لا بل أوجبه عليها كما أوجبه على الرجل ان تمت شرائط الوجوب . وهي القدرة . . . والاستطاعة وذلك لاطلاق قوله تعالى : « وَأَذِّن فِي النَّاسِ . . . » ولم يقيده بالرجال أو النساء بل قال : (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . .) .

انها العدالة الاجتماعية ، والمساواة الإسلامية ، والحكمة الآلهيه « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

---

(١) سورة الحج . ٢٧ . ٢٨ . ٢٩ .

books.rafed.net

فـــالتقى هـــو ميـــزان الكرامـــة ، والقـــرب مـــن الله . لا الـــذكورة . . ولا الانوثـــة . فمـــن اخلـــص لله عملـــه ورغـــب في كـــل مـــا يقربـــه الى الله ، وســـار علـــى هـــدي التعـــاليم السماوية في خدمة المجتمع العام متقرباً إلى خالقه . . . نال السعادة الابدية .

« احبكم إلى الله انفعكم لعياله » .

وبـــروح ســـامية يضـــرب بهـــواه في حـــب المـــال عـــرض الحـــائط « **الْمَـــالُ وَالْبَنُـــونَ زِينَـــةُ الْحَيَـــاةِ الـــدُّنْيَا** » فيخـــرج خمـــس أرباحـــه وزكـــاة أموالـــه « ان الله شـــارك الفقـــراء في أمـــوال الاغنيـــاء » متقربـــا بـــذلك إلى الله لا يبغـــي منهـــا إلا وجهـــه . ولا يريـــد إلا رضاه .

هكـــذا طلـــب الإســـلام مـــن المـــرأة والرجـــل . التعـــاون مـــن اجـــل انشـــاء الحيـــاة الســـعيدة المطمئنـــة الهادئـــة . والمـــرأة ان اســـتطاعت تصـــفية نفســـها وتنقيـــة ذاتهـــا وتطهـــير قلبهـــا كانـــت هادئـــة مطمئنـــة تـــؤثر تـــأثيراً مباشـــراً بجيلهـــا الصـــاعد . . . باطفالهـــا وأولادها وتبعث فيهم النفس الصالحة .

books.rafed.net

في محيط المرأة . باب المساواة

يقول محمد العشماوي [1] لقد قرأت كلاماً القي في شعبة هيئة الامم جاء منه :

« أن المرأة الشرقية ما تزال محجوراً عليها ، وان هناك فوارق وفواصل بينها وبين الرجال ، وإن مردَّ ذلك الى الدين الإسلامي ، ووقوفه عقبة في سبيل نهوض المرأة ومساواتها بالرجل . . . . الخ » .

حقاً لقد مرَّت بالأمة الإسلامية فترات من الظلام ، أصاب المرأة فيها جانب من الحيف والإخضاع ، ولكن ذلك شذوذ اجتماعي وحيف من قبل القادة والحكام ، يعرض لكثير من الامم في بعض عصورها لعوامل طارئة ولا يلبث أن يزول .

فمن الحق عليَّ أن أجهر بأن الإسلام أول من مكّن المرأة في المجتمع الإنساني ، فليس بمجهول أن المرأة حين بزوغ نور الإسلام كانت في حضيض الذلة والانحطاط . ينكر عليها حق التوريث ، ويؤبى عليها أن تشترك في أي نظام من نظم المجتمع .

فأعلن الإسلام مساواتها بالرجل ، إذ رسم لها فروضاً واحدة في العبادات والمعاملات ، وجعلها بمنزلة واحدة في الحقوق والواجبات .

نرى القرآن يخاطب المرأة والرجل على حدٍ سواء ، في شؤون العاجلة

---

(١) عن مجلة الأزهر . الجزء الخامس . المجلد التاسع عشر . ص . ٤٢٨ . ٤٢٩ .

books.rafed.net

والآجلة ، قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ » وقال تعالى : « الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . . الخ » ونراه يبيِّن أننا نشأنا جميعاً من نفس واحدة وأننا افترقنا جنسين لكي نؤلف شطري المجتمع البشري .

ونراه يعتز بالاسرة ويعبِّر عن الزواج بأنه الميثاق الغليظ . ونراه يدعو الى المساواة بقوله : « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ » .

وان في حياة الرسول صلوات الله عليه ما يدلُّنا على أنه لا فرق بين امرأة ورجل في حق أو واجب . فقد بايعه النساء كما بايعه الرِّجال ، وقد استفتينه في شؤونهن كما استفتاه الرجال ، وفي عهد عمر كان الرجال والنساء جميعاً يدعون الى الاجتماعات العامة .

وما أن شُقَّ طريق الجهاد ، حتى انفتح للمرأة المسلمة باب وقفت فيه موقفاً إنسانياً يتعطر به ذكر التاريخ .

وما أن تحلقت حلقات العلم وطلبت رواية الحديث ، حتى اشترك النساء بالسهم الوافر ، فرويت عنهن الأحاديث ونقل عنهن الشرع ولم يخف أثرهن في سياسة أو اجتماع . . . انتهى .

أطلق الإسلام حرية المرأة في جميع نواحي الحياة ، ولو وازنت أيها القارىء الكريم بين شرائع الغرب والشرق وشريعة الاسلام لتجلَّى لك أن الإسلام أبر بالمرأة وأكفل لحقوقها وأكثر افساحاً لحريتها من جميع الشرائع .

ومما لا ريب فيه أننا نحيا في ظل التشريع الإسلامي العظيم الذي حفظ للمرأة ما تطمح اليه من الحقوق .

وإذا كانت المرأة قد لقيت في بعض العصور اعناتاً وإجحافاً ، فليس الذنب ذنب التشريع الإسلامي . وإنما هو ذنب الذين حرموا المرأة حقوقها المكتسبة .

المرأة في ظل الإسلام (٤)

books.rafed.net

لـــذلك يجـــب علينـــا أن نســـتقي الحقـــوق والفـــرائض مـــن منابعهـــا الأصـــيلة الصـــافية . قبل أن تكدرها عهود العنت والشذوذ الاجتماعي .

« يقول محمد العشماوي [1] : بماذا تطالب المرأة ؟ .

بالثقافة ؟ : لقد فرض عليها الإسلام أن تتعلَّم .

بـــالميراث ؟ ، لقـــد أعطيـــت نصـــف حـــظ الرجـــل ، ولـــيس هـــذا فيـــه تمييـــز للرجـــال ، وأكاد أقول : ان فيه محاباة للمرأة . فعلى الرجل تقع أعباء النفقات .

فـــإن كـــان ثمـــة غـــنم يقابلـــه كبـــير غـــرم . وكيـــف لا وقـــد رفعـــت عـــن المـــرأة أثقـــال الانفاق على نفسها وعلى ذوي قرابتها . ! ؟

ومـــن الإنصـــاف إذا أردنـــا الحكـــم علـــى شـــيء أن نحكـــم عليـــه مجتمعـــاً متصـــلاً بمقدماتـــه ونتائجه .

بقي للمرأة مطالبتها بالحقوق السياسية ، فهل حرمها الإسلام تلك الحقوق ؟

كلا بل أباح لها أن تباشر مختلف الاعمال . ويقول العشماوي أيضاً :

« وحســـبنا دلـــيلاً علـــى حـــق المســـاواة وانـــه طبيعـــي لا ريـــب فيـــه أن الريـــف المصـــري يضـــم ١٥ مليـــون يعمـــل نصـــفهم مـــن النســـاء عمـــل الرجـــال بجانـــب عملهـــن الخـــاص . ولـــيس بعـــد هـــذا برهـــان علـــى اســـتطاعة المـــرأة العمـــل في الميـــدانين : الخاص والعام .

ولكـــن الريفيـــة لم تتثقـــف ولم تـــتعلَّم ، ولـــذلك تعـــاني ضـــعفاً في القيـــام بمهمتهـــا الـــتي تبذل فيها جهدها كله . »

مـــن العـــدل تكليـــف كـــل عنصـــر حســـب قدراتـــه وحاجاتـــه ، لأن العـــدل هـــو وضـــع كل شيء موضعه .

---

(١) مجلة الأزهر . الجزء الخامس . ص . ٤٣٠ .

books.rafed.net

فالقانون العادل والمشرِّع الحكيم ، هو الذي يعطي المرأة حسب تركيبها النفسي والجسدي ، لا يزيد على ذلك حتى لا يكون هضماً لحقوق الآخر ، وتكليفها بما لا تطيق ، أو إنقاصها من حقوقها فيكون هضماً لها وإجحافاً بحقها .

فالهرمونات التي تفرزها الغدد الصمَّاء لدى الرَّجل تؤثر في تكوينه الفزيولوجي وتعطيه قدرات جسمانية وقوة جسدية تؤهله لممارسة أعمال شاقة مرهقة .

وهذه الهرمونات لا تملكها المرأة ، مما أدَّى بها إلى بنية ضعيفة وإلى عدم تمكنها من مباشرة أعمال الرجل ، نظراً إلى نقصان قوتها الجسدية عنه .

وبالمقابل حباها الباري عز وجل بحنان فياض وقلب رقيق ، يخفق لكل من يستحق العطف والشفقة ، وهذا أكثر بكثير من عطف الرجل . مما جعلها مؤهلة لأن تقوم بدور المربي للجيل الصاعد . وتكون مربية لأبنائها تعطيهم من الحنان والعطف ما لو فقدوه لأنتج المجتمع اناساً مجرمين .

هذا الدور الذي لو فقده الاولاد من قبل الام ، لا يتمكن الرجل من القيام به ولو قصد ، وذلك لفقدان المؤهلات .

فالمرأة قد حباها الله رسالة جليلة هي إنشاء الجيل وتوجيهه فيجب أن نعدَّها لتأدية تلك الرسالة على خير الوجوه .

ولكي ندرك قيمة إعدادنا لها ، يجب أن نتمثل أن أبناءنا إذا نشأوا في بيئة جاهلة ، رضعوا الجهالة والخمول فلا تزداد بهم الامة إلا ضعفاً على ضعف ، والأمم لا تقاس مكانتها بعدد أبنائها وإنما تقاس بما لهم من كفاءات ومزايا وقوى في معترك الحياة .

books.rafed.net

ومـــا دمنـــا لا نعـــني بإعـــداد المـــرأة وتعليمهـــا وتهـــذيبها وتهيأتهـــا لإخـــراج الجيـــل الصـــالح ، القـــوي بإخلاقـــه ، الســـليم في عقلـــه وجســـمه ، فإنـــه لا رجـــاء في نهوضـــه . وســـنبقى نعـــيش في فوضـــى ، ونســـير بشـــق مائـــل نتعثـــر في خطانـــا ، ونســـتهدف للتداعي والسقوط .

فلتتعـــاون المـــرأة والرجـــل فإنـــه لا خـــير في مجتمـــعٍ لا يتعـــاون فيـــه الجنســـان معـــاً ، وليكن العمل صالحاً كل واحدٍ بحسب فطرته وطبيعته .

books.rafed.net

نزول المرأة الى ميدان العمل

لقد اهتم الاسلام بالمرأة ، وأعطاها حقوقها كاملة غير منقوصة ، ورفعها إلى مصاف الرجال ، فهي مع الرجل في جميع ميادين الحياة .

لم يرد في النصوص الشرعية المعتبرة ، والتي يعتمد عليها ، ما يحرم على المرأة أن تعمل وتكتسب ، ولا ما ينفي وجودها في ميادين العمل .

ليس من التعاليم الإسلامية ولا من قوانين الشريعة السمحاء ، ابتعاد المرأة عن الحياة العملية ، وإنما هو من تضليل المضللين وإسدالهم الستار على الاحكام الشرعية الواضحة في حين لوثت العادات والتقاليد المستوحاة من المجتمعات غير الإسلامية نقاءها وصفاءها ، وأسدلت عليها نقاباً من التشويش والتشويه والتضليل .

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : « **لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** » [1] .

وقال سبحانه وتعالى : « **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** » [2] .

ولكن إذا أمعنا النظر ، وتصفحنا التاريخ ، نرى أنه عندما غمر بلاد

---

(١) سورة النساء . اية . ٣٢ .

(٢) سورة الملك . اية . ١٥ .

books.rafed.net

المسلمين (الامبراطورية الاسلامية) طوفان الجواري والاماء ، واستخدمت هذه الجواري للهو . . . والمتعة . و . و . و

في ذلك الوقت اضطر المسلمون الأحرار إلى تمييز المرأة الجليلة الحرة بوضع اجتماعي خاص ، عزلها تدريجياً عن الحياة العملية ووضعها ضمن نطاق خاص بها ايضاً .

أما الواقع التاريخي الذي يثبت مشاركة النساء للرجل في العمل ، فهو واضح ثابت ، من سيرة المسلمين في صدر الاسلام وبدء الدعوة وذلك حين كان المسلمون يلتزمون في حياتهم الاسس والتعاليم الاسلامية ، بشكل صحيح وغير مريب ، فكان أمامهن مجال العمل واسعاً وفسيحاً ومحاطاً بتعاليم الرسول الكريم . . . وضمن نطاق الحشمة والعفة والأدب والدين .

المرأة وتقدمها في العصر الحاضر :

جاء العصر الحاضر ومن حوالي قرن أو أكثر ، أخذت أبواق الدسّاسين والمستهترين والاستعماريين والالحاديين تدق داعية المجتمعات الشرقية وخاصة العربية على المطالبة بحقوق المرأة وبدورها في المجتمعات للفوائد المزعومة .

وكان لتلك الأبواق الأثر الفعّال على الواجهة الاجتماعية ، فتبدلت الحياة وانقلبت الامور رأساً على عقب . وإذا بالمرأة التي كانت تدير مملكتها الخاصة بها أو دائرتها ، تظهر اليوم الى المجتمع تناهض الرجل ، وتسلب منه الأعمال والأشغال .

ونتج من جرَّاء ذلك أن توزَّعت الاعمال ، فإذا بالرجل الذي كان يدير الشؤون التي تخصه لم يجد عملاً يشغل به فراغه ، لأن الجنس اللطيف قد استلب منه شؤون عمله الخاصة به وزاحمه عليها .

books.rafed.net

وهكـــذا اخـــتلط الحابـــل بالنابـــل ، وشـــاعت الفوضـــى ، ولم يعـــد للمـــرأة العمـــل بشؤونها الخاصة ولا للرجل العمل بشؤونه الخاصة .

وكـــان للمـــرأة التقـــدم علـــى الرجـــل في ميـــادين لـــيس لهـــا أي صـــلة بهـــا . فتبـــدلت الامور وتغيَّرت المقاييس الاخلاقية .

لكـــن لكـــل فعـــل رد ، فقـــد أحـــدثت ســـيطرة المـــرأة علـــى الكثـــير مـــن المقـــدرات رد فعل قوي جدّاً ، في جميع الأوساط العالمية .

وكـــان مـــن جـــرّاء ذلـــك أن تنبـــه الكثـــير مـــن المفكـــرين بهـــذا الخطـــر المحـــدق ، مـــن زجِّ المـــرأة في بعـــض نـــواحي الحيـــاة الاجتماعيـــة . وراحـــوا ينـــذرون بـــني قـــومهم مـــن ســـوء العاقبـــة الـــتي ســـترافق المـــرأة مـــن تركهـــا بيتهـــا والتحاقهـــا في معـــترك حيـــاة لـــيس للمرأة بها أي فائدة سوى ما ينجم عنها من مضار تورث الندم والخسران .

لا اغـــالي عنـــدما أقـــول لبنـــات جنســـي مـــن أن المـــرأة مـــن حيـــث تركيبهـــا الجســـماني لا تقوى على كأداء العيش ووعثاء الأعمال ومشاق الأشغال .

لـــذلك نراهـــا تتجـــه دائمـــاً نحـــو الاعمـــال الـــتي تـــتمكن مـــن القيـــام بهـــا مثـــل دوائـــر الصـــحة والتمـــريض والتربيـــة والتعلـــيم وأمثالهـــا مـــن الخـــدمات الانســـانية كمـــا قالـــت تلك الفتاة اليابانية :

أنـــــا إن لم احســـــن الرمـــــي ولم ... تســـتطع كفـــاي تقليـــب الظـــبى [1]

أخـــدم الجرحـــى وأقضـــي حقهـــم ... وأُواســـي في الـــوغى مـــن نكبـــا

هـــذه هـــي الحقيقـــة ومـــن يقـــول غـــير ذلـــك فهـــو مكـــابر ، مضـــافاً إلى أن المـــرأة بخروجها الى معترك الحياة الشاقة يترتب عليها مضار لا يمكن لأحد انكارها .

---

(١) الظبى جمع ظبة : حد السيف او السنان ونحوهما . المنجد في اللغد .

books.rafed.net

أولاً : تكون قد تركت اولادها عرضة للضياع والمتاهات الاخلاقية .

ثانياً : تكون قد اهملت شؤون بيتها وإدارة مملكتها وجلبت الى نفسها متاعب هي في غنى عنها .

ثالثاً : زاحمت الرجل في أعماله ، وعند ذلك لا يجد سبيلاً من الركون إلى البطالة ، فتعم الفوضى التي نشاهدها في كثير من البلدان ، ونسمعها من كثيرٍ من الاذاعات .

وأعود فأناشد المرأة المعاصرة وأقول : هل عملها في مشاركة الرجل بالاعمال التي لا تتلائم مع طبيعتها مصلحة لها أو لوطنها أو لأولادها ؟

وأقول لها : هل ان الرجل ندبها أو دعاها لمشاركته في الأشغال اليدوية الشاقة ؟

أو دعاها إلى مساعدته في الأعمال الحربية مثلاً ؟ لأنه عاجز عن القيام بالعمل الذي يخصه ورأى المرأة أقوى منه فاستجار بها ؟

كلا . . . إنها أبواق الدسّاسين ، وسموم المستعمرين . . .

فيا اختي المسلمة المعاصرة اناشدك بالضمير والوجدان أن تتفهمي الواقع وتسيري في هذه الحياة على الوجه الصحيح ، ولا تقومي بشيءٍ من الأعمال إلا ما يوافق طبيعتك وفطرتك .

. . . مع الاحتفاظ بشرفك ودينك وكرامتك . . .

books.rafed.net

متى تنزل المرأة إلى ميدان العمل وكيف ؟

ان الفتاة لها ان تعمل وتكسب ، والمرأة المتزوجة أيضاً ، ولكن المتزوجة يجب عليها ان تحافظ على مهمتها الأساسية ، وهي بناء المجتمع الصالح والمحافظة على بيتها وأطفالها .

ومن اجل ان تتفرغ لعملها الأساسي ، فقد أوجب الله سبحانه وتعالى النفقة لها على الزوج حتى لا تضطر إلى ترك بيتها ، وتعريض أطفالها إلى الحرمان العاطفي ، والجفاف النفسي الذي لا يتوفر إلا بحنان الأم .

« ما بقاء الكون إلا بحنان الابوين »

لا تستطيع دور الحضانة أو المربيات أو الخادمات ، ان تعوض على الطفل حنان امه وعطفها .

إن دور الحضانة قد تربي أطفالا أصحاء جسدياً ، ولكن الأطفال ربما يعاني أكثرهم ، من اضطرابات نفسية نتيجة فقدان رعاية الام الكافية .

أما إذا اضطرت المرأة للعمل ، وذلك لإعالة نفسها ، أو اعانة زوجها أو مساعدة أولادها ، فلا حرج عليها من أن تخرج إلى العمل الشريف مع اعتبار رضى الزوج واذنه إذا كانت متزوجة .

لم يحرم التشريع الإسلامي المرأة من ثمرة أتعابها ، فإن المال الذي تجنيه من عملها هو ملك لها وليس لزوجها أو ابيها أو أحد من الناس . فالمال الذي جنته من أتعابها بالوجه الشرعي هو لها ، تتصرف به كيف تشاء .

books.rafed.net

« الناس مسلطون على أموالهم » .

إن كثيراً من الناس من يستثمر جهود المرأة وثمرة أتعابها كأبيها أو زوجها أو أخيها ، فهذا الاستثمار لا يقره الضمير والوجدان ، وحتى الدين إذا كان بغير رضى منها ، إلا إذا سمحت بالعطاء .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (عندما جاءت اليه الصحابية السيدة ريطة بنت عبد الله بن معاوية الثقفية . وكانت ريطة امرأة ذات صنعة تبيع منها ، وليس لها ولا لزوجها ولا لولدها شيء من حطام الدنيا .

فسألت النبي عليه السلام : عن النفقة عليهم فقال : « لكِ في ذلك أجر ما انفقتِ عليهم » .

مدى صلاحيات المرأة في تحمل المسؤولية :

إذا أمعنا النظر نرى ان المغرضين والدساسين ، وضعوا كثيراً من الاحاديث ، كل على حسب ميله وهواه .

ليت شعري . . . اين ذوي العقل والروية ؟ من كتاب الله وسنة رسوله ، بعد ان قررا ان المرأة مخلوق سوى ، لها الأهلية لأن تتحمل كل تكليف ، سواء كان من جهة الإيمان أو الاجتماع أو التعبد لله ، أو الجهاد أو الأخلاق [1] .

فهي كالرجل في مسيرة الحياة ، وعليها تبعات كل النتائج للأعمال التي تقوم بها من جهة الثواب والعقاب ، والسمعة في الدنيا والآخرة .

كيف يمكن القول . . انه لا يصح ان تتحمل المرأة مسؤولية الجزاء وهي ناقصة العقل والإدراك . . . فالإسلام أرفع وأجل .

لقد قرر لها الإسلام الحق المطلق في التصرف في كل ما يدخل في يدها من مال ، مهما كان عظيم المقدار ، دون أي تدخل أو اشراف أو اذن من الرجل مهما كانت صلته بها ، إلا على سبيل المشورة ، أو المشاركة في الرأي أو النصيحة .

والمرأة في الاسلام لها ان تبيع وتشتري ، وتستملك العقارات وتحوز الأموال من الكسب الشريف ، ولها أيضاً أن تزرع وتحصد وتستدين وتدين وتهب وتقبل الهدية ، وتوصي وتأخذ الوصية « تكون وصية على القاصرين » وتؤجر وتستأجر . . . الخ .

---

(١) حسب ما يقره الشرع وتقتضيه الحكمة .

books.rafed.net

وجعل الإسلام امرها بيدها ، في مسألة زواجها ان لم تكن قاصرة .

وكانت النساء تجادل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . . . ومعناها انها يجوز بل يحق لها المراجعة والدفاع عن حقها .

أوجب الإسلام على المرأة ، كل ما أوجب على الرجل من التفكير والتدبير ، في الأمور الدينية والزمنية ، وخاصة العلم والتعليم ، فهي كالرجل على قدم المساوات « ان المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولى ببعض » .

واعترافاً بشخصيتها في السياسة ، في أخذ النبي البيعة من النساء مستقلة عن الرجال ، ولا يصح كل هذا الفعل إلا مع فرض الأهلية التامة للمرأة .

books.rafed.net

الحجاب (*)

الحجاب هو حكم شرعي ، فرضته الشريعة الإسلامية على المرأة ، وأوجبت عليها اتباعه والالتزام به ، على الوجه الأكمل ، حسب النصوص الشرعية المستقاة من الرسالة السماوية ، (القرآن الكريم) والأحاديث النبوية الشريفة ، والأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار .

لقد فرض الإسلام الحجاب على المرأة ، ليقيها الفتنة والإغراء ، وتصون نفسها وشرفها وتتحرز من كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، الفسقة الذين لا يردعهم شرف ولا دين . وقد نص القرآن الكريم على حجاب المرأة ، وسترها بقوله سبحانه :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن

(*) الحجاب في اللغة : هو الستر . وفي كتاب تاج العروس للزبيدي : باب حجب . . . حجبه . . . يحجبه (حجبا وحجابا) ستره ، وأمرأة محجوبة ، ومحجبة (للمبالغة) قد سترت بستر . .

وضرب الله الحجاب على النساء ، وذكر الزبيدي في حديث الصلاة : حتى توارت بالحجاب والمراد بالحجاب ، هنا الافق . . . أي حين غابت الشمس وراء الافق .

والحجاب كل ما حال بين شيئين : قال الشاعر :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دما

books.rafed.net

جَلَابِيبِهِنَّ [1] ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » [2] .

وقال سبحانه وتعالى :

« وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ [3] عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » [4] .

وخلاصة معنى الآيتين الكريمتين ، أن الله سبحانه وتعالى أمر المرأة المسلمة بلبس الخمار والحجاب ، فسترها بما أمرها الله بستره عن نظر الرجال الأجانب ، وإن كانوا من عشيرتها أو أقاربها إلا ما نص عليه التنزيل ، ما هو إلا صيانة لعفتها وشرفها .

فالله سبحانه وتعالى ، أمر المرأة بأوامر ترجع لمصلحتها الدنيوية فضلاً عن الأخروية ، لتعيش في سعادة وهناء .

(❁) عن مجمع البحرين . للطريحي : الجلابيب جمع جلباب وهو الثوب الواسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها . وتبقي منه ما ترسله على صدرها وقيل الجلباب هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء او غيره ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن : أي يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن . أي اكتافهن .

(٢) سورة الأحزاب . اية . ٥٩ .

(٣) عن كتاب مجمع البحرين للطريحي : قوله : فليضربن بخمرهن . أي مقانعهن . جمع خمار وهي المقنعة ، واختمرت المرأة أي لبست خمارها وغطت رأسها .

(٤) سورة النور . اية ٣١ .

books.rafed.net

إن الـــدين الإســـلامي حـــافظ علـــى القـــيم الاخلاقيـــة ، بجميـــع صـــفاتها ، فلـــم يـــدع مزية حسنة ، إلا حرَّض الإنسان عليها وحثه على اتباعها .

بعض الأخبار الواردة في الحجاب :

إن الأخبـــار الـــواردة في الحجـــاب ، عـــن النـــبي صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم والأئمـــة الأطهار متواترة وكثيرة لا يمكن استيعابها في هذا الفصل القصير .

لكـــن لا بـــد لنـــا ونحـــن نكتـــب مـــن ذكـــر بعضـــها ، علـــى ســـبيل المثـــال ، او الشـــاهد ليتضـــح مـــدى اهتمـــام الشـــريعة الاســـلامية الســـمحاء بالحجـــاب للمحافظـــة علـــى القـــيم الأخلاقية السامية .

في كتـــاب الوســـائل [1] عـــن جـــابر بـــن عبـــد الله الانصـــاري ، قـــال : خـــرج رســـول الله صـــلى الله عليـــه وآلـــه يريـــد فاطمـــة ، وأنـــا معـــه . فلمـــا انتهينـــا إلى البـــاب وضـــع يـــده عليـــه ، فدفعـــه ، ثم قـــال : الســـلام علـــيكم ، فقالـــت فاطمـــة عليهـــا الســـلام : وعليـــك الســـلام يـــا رســـول الله ، قـــال : أأدخـــل ؟ قالـــت : لـــيس علـــيَّ قنـــاع . . . فقـــال : يـــا فاطمـــة خذي فضل ملحفتك ، فقنعي به رأسك . . . ففعلت .

وفي كتـــاب مستمســـك العـــروة الـــوثقى [2] عـــن جماعـــة ، مســـتندين في ذلـــك الى صـــحيح الفضـــيل قـــال : ســـألت أبـــا عبـــد الله عليـــه الســـلام عـــن الـــذراعين مـــن المـــرأة . هل هما من الزينة التي قال الله تعالى : « وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ » ؟ .

قال : نعم ، وما دون الخمار من الزينة ، وما دون السوارين .

---

(١) وسائل الشيعة . للحر العاملي . ج . ٧ ص . ١٥٨ .

(٢) مستمسك العروة الوثقى . السيد محسن الطباطبائي الحكيم . ج . ١٢ ص . ٢١ .

books.rafed.net

وظاهر أن ما ستره الخمار هو الرأس والرقبة ، والوجه خارج عنه ، وان الكف فوق السوار لا دونه ، فيكونا خارجين عن الزينة . . . الخ .

وفي كتاب العروة الوثقى :

« لا يجوز النظر الى الأجنبية . . . ولا للمرأة النظر الى الأجنبي من غير ضرورة . . . واستثنى جماعة الوجه والكفين ، فقالوا : في الجواز فيهما مع عدم الريبة والتلذذ .

وفي كتاب الوسائل للحر العاملي : [1] عن الفضيل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الذراعين من المرأة ، هما من الزينة التي قال الله تعالى : « وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ » قال : نعم ؛ وما دون الخمار من الزينة . وهما دون السوارين .

وفي صفحة ١٤٦ . عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الوجه . والكفان والقدمان .

وعن مسعدة بن زياد قال : سمعت جعفراً قال : وسئل عما تظهره المرأة من زينتها ، قال : الوجه والكفين .

وفي منهاج الصالحين : يجب على المرأة ستر ما زاد على الوجه والكفين ، عن غير الزوج والمحارم ، بل يجب عليها ستر الوجه والكفين عن غير الزوج حتى المحارم مع تلذذ . . . بل عن غير المحارم مطلقاً على الاحوط [2] .

---

(١) وسائل الشيعة . للحر العاملي . ج . ٧ . ص . ١٤٥ .

(٢) منهاج الصالحين . السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي .

books.rafed.net

وجاء في كتاب الترغيب والترهيب : « عن عائشة (رض) أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض ، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا . . . وهذا . . . وأشار الى وجهه وكفيه » [1] .

وجاء في الوسائل ايضاً [2] .

رواية عن أبي جعفر قال :

« استقبل رجل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة ، وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن ، فنظر إليها وهي مقبلة ، فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سمّاه بني فلان فجعل ينظر خلفها ، واعترض وجهه عظم في الحائط . . . او زجاجة ، فشق وجهه .

فلما مضت المرأة ، نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره فقال :

والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولأخبرنه . . . فأتاه . . .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : ما هذا ؟ ! فأخبره . .

فهبط جبريل عليه السلام بهذه الآية :

« قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » [3] .

---

(١) الترغيب والترهيب . للمنذري . ج . ٤ . ص . ١٦٤ .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي . ج . ٧ . ص . ١٣٨ .

(٣) سورة النور . آية . ٣٠ .

books.rafed.net

وعن عائشة (رض) قالت : دخلت عليَّ ابنة أخي لامي ، عبد الله بن الطفيل ، مزيَّنة ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعرض ، فقالت عائشة : يا رسول الله ابنة اخي وهي جارية . فقال : « إذا عركت المرأة . أي حاضت . لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها وإلا ما دون هذا . وقبض على ذراع نفسه ، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى » [1] .

دعاة السفور وأثرهم السيء على الأخلاق :

لا يخلو زمان من الأزمان ، من اناس فاسدين ، ضالين مضلين يزرعون بذور الفساد في النفوس البريئة .

وها هم اليوم يتقولون : إن الإسلام ضرب الحجاب على المرأة لتكون رهينة البيت ، وضمن نطاق الجدران لا تصلح إلا للخدمة ، إذ لا يمكنها وهي محجبة الانسجام مع الأجيال المتطورة والمدنية الحديثة .

وقبل كل شيء لا بد لنا من طرح بعض الأسئلة على محبذي السفور ، والخلاعة ، الذين يرونهما من أهم أسباب الحضارة والمدنية ، التي تمكن المرأة من أن تماشي التطور في عصرنا الحاضر .

ليت شعري . . . هل التطور هو أن تخرج المرأة الى الملاهي والمراقص ودور الخلاعة ؟ على شكل مناف للغيرة والحمية ، لا حياء يردعها ، ولا حجاب يسترها ؟

ولكن أين هي المرأة المسلمة الآن من الإسلام ؟ وقد استعبدتها شياطين الانس والجان . . . وهذه المدنية الزائفة التي أعمتها وأعمت بصيرتها وأوحت لها

---

(١) تفسير الطبري . ج . ١٨ . ص . ٩٣ .

books.rafed.net

ان التقـــدم والرقـــي ، هـــو تـــرك مـــا كـــان عليـــه الأجـــداد مـــن الـــدين . . . والحيـــاء . . . والخلق الكريم .

فتحـــررت مـــن تراثهـــا العظـــيم حـــتى لا تتصـــف بالرجعيـــة وانحطـــت ، وانحـــدرت إلى أسفل درك بفضل الاستهتار والخلاعة والتبرج السافر .

لـــو كانـــت الفتـــاة المســـلمة قـــد راعـــت الاحتشـــام في ملبســـها وتصـــرفاتها وحركاتهـــا ، لـــو أنهـــا اخفـــت زينتهـــا ولم تعـــرض النهـــود والأرداف والأذرع والســـيقان لكـــان اولى بهـــا وأعـــف وأتقـــى ، وكانـــت في حصـــن حصـــين مـــن ان تقـــع في مزالـــق الفوضـــى ، مخدوعة ببريق كلام المفسدين دعاة السفور العابثين . وما أحسن ما قيل :

أفـــــوق الـــــركبتين تشـــــمرينا ... بربـــــك أي نهـــــر تعبرينـــــا
ومـــا الخلخـــال حـــين الســـاق صـــارت ... تطوقهـــــا عيـــــون الناظرينـــــا
عيـــون المعجبـــين لـــديك جمـــر ... ستشـــعل إن أردت هـــوى دفينـــا
فتـــاة الجيـــل مثلـــك لا يجـــاري ... ســـفيهات يـــبعن تقـــى ودينـــا
فبالتقصـــير طالتنـــا الأعـــادي ... وباللـــذات ضـــيعنا العرينـــا
أبنـــت (خديجـــة) كـــوني حيـــاء ... كأمـــك تنجـــبي جـــيلاً رزينـــا
خـــذيها قـــدوة نـــنهض جميعـــاً ... وتبـــق ديارنـــا حصـــناً حصـــينا
ولا يشـــغلك قشـــر عـــن لبـــاب ... ولا تضـــلك (صـــوفياهم ولينـــا) [1]

ولـــو أن الفتـــاة المســـلمة لم تتفـــنن في تجميـــل وجههـــا بالاصـــباغ والمســـاحيق وقضـــاء وقت طويل في تصفيف شعرها عند المزين (الكوافير) لهان الخطب .

ألم يكن الأولى بها أن ترتدي ثوب العفة والحياء ؟

---

(١) عن مجلة الوعي الاسلامي الكويت . العدد . ٥١ .

books.rafed.net

وكما قيل :

سيري لمجدك تحت ظل عفاف وتجملي بمطارف الألطاف

ما الدر وهو مجرد عن حرزه بمقدر كالدر في الأصداف

لا أجافي الصدق ، ولا اجانب الحق إن قلت ، ان النساء في عصرنا الحاضر ، ضائعات في متاهات ، لا يدرين اي طريق سلكن وقد تقاذفتهن التيارات ، واختلطت عليهن سبل الحياة .

نحن في القرن العشرين عصر العلم والأدب . . . عصر النور والثقافة . . . عصر الذرة . . . عصر الصعود الى القمر والمريخ ، واكتشاف المغيبات واختراق الحجب والأجواء .

وأيضاً عصر المستهترين الضالين ، الذين لا يعون ما يفعلون ، ولا يرعوون (وهم دعاة السفور والخلاعة) الذين يدعون المرأة المسلمة الى التحرر من سجنها المزعوم والانطلاق من عشها المظلم وهم يهتفون بأصوات عالية ونداءات جريئة وألفاظ براقة خلابة .

يدعونها الى خلع الحجاب عن رأسها والاسفار عن مفاتن جسمها بدعواهم ان الحجاب من مخلفات العصور المتخلفة ومن خرافات السنين الغابرة والعهود المظلمة ومن بقايا الأديان والطقوس البائدة .

مساكين هؤلاء الذين ينادون بسفور المرأة . . . ويدعونها الى ترك حجابها قد ضيعوا انفسهم . . . وضيعوها ، وخدعوا انفسهم . . . وخدعوها وأساؤا الفهم والتصرف ، وما دروا أي ذنب اقترفوا ؟ ! وفي أي هاوية أوقعوا المرأة ، وفي أي بلاء رموها ، وأي عز لها هدموا ؟ !

لقد زينوا لها السفور حتى أخرجوها من خدرها ، وعزها ، ودلالها وحشمتها ووقارها وبيتها الذي هو حصنها الحصين .

books.rafed.net

أخرجوها الى الشارع سافرة تفتن الناظرين بجمالها ، لتسحر الناس بانوثتها ، وهم لا يبالون ولا يردعهم رادع من ضمير او دين .

الحرية المزعومة :

إن طبيعة الإنسان ، والنفس البشرية ، منذ ان فطرها الله سبحانه وتعالى واحدة لا تتغير ، أمّارة بالسوء ، داعية الى المنكر ، تهفوا الى الشهوات اذا انطلقت من عقالها ، وحصلت على الحرية المطلقة ، بدون اي قيد من القيود الانسانية ، والدينية والخلقية .

نريد أن ينظر المجتمع الى المرأة ، كإنسان لها كرامتها ، لأنه كلما سطعت إنسانية المرأة صانت نفسها .

منذ أقدم العصور والمرأة الفاضلة العاقلة ، تستطيع أن ترغم المجتمع على احترامها ، إذ ظهرت على مسرح الحياة ، كإنسان لها كرامتها واحترامها ، لا كأنثى لها جاذبيتها . . . ونعومتها . .

وباسم الحرية . . . المزعومة انجرَّت المرأة المسكينة الى الويلات والمزالق حتى صارت تستخدم للدعاية والإعلام وترويج البضائع وتكثير الارباح واستجلاب الزبائن في المكاتب والمحلات والنوادي على اختلاف انواعها واتجاهاتها .

وبالحرية المزعومة استخدموها ، لتكون جسراً لمطامعهم وزيادة أرباحهم لا لمنحها مكرمة او فضيلة .

وإني أتمنى على كل امرأة ، أن تتجلبب بالحياء والعفاف حتى تصون نفسها من ذئاب المجتمع الفاسد . . . وما أحسن قول الشاعر :

books.rafed.net

صـــــــوني جمالـــــــك بالحيـــــــا ء إذا تجنبـــــــــتِ الحجابـــــــــا

ليقيـــــك مـــــن نـــــزق الشـــــبا ب كمـــــا يقـــــي الـــــدر النقابـــــا

هـــــــل انـــــــت إلا خمـــــــرة تغـــــــري بنشـــــــوتها الشـــــــبابا

أخشـــــــى عليـــــــك فـــــــان في وادي الهـــــــوى أجمـــــــاً وغابـــــــا

ليـــت شـــعري : هـــل الحضـــارة والمدنيـــة أن تـــراقص المـــرأة الرجـــل الأجنـــبي وتقضـــي الســـهرات العـــامرة المجونيـــة خـــارج بيتهـــا حـــتى الصـــباح ؟ ؟ كمـــا يقـــول دعـــاة الحرية والسفور ! !

وإن كانـــت ذات أطفـــال ، مـــا يكـــون حـــال هـــؤلاء الأطفـــال وهـــم ينشـــؤون علـــى أخلاق الخدم ؟ إن كان هناك خدم وإلا على أخلاق « الشارع » .

وهـــل يرجـــى مـــن الأبنـــاء خـــير إذا نشـــؤوا بحضـــن الجـــاهلات

أجـل : وممـا لا شـك فيـه ، سـوف يترعرعـن علـى سـيرة امهـن فيمشـين علـى منوالهـا إن كـن اناثـاً . . . وتمـوت الغـيرة ، والحميـة مـن أنفسـهم ، إن كـانوا ذكـوراً ، وتكـون العاقبة وخيمة تؤثر على المستوى الاخلاقي في الجيل الجديد .

ولكـن ويـا للأسـف ، إن كثـيراً ممـن يزعمـون أنهـم أنصـار المـرأة لا يـروقهم الحجـاب ، ولا يعجـبهم إلا أن تكـون المـرأة غرضـاً لسـهامهم ، وصـيداً لحبـائلهم وأن تكـون تابعـة لأهـوائهم ، نازلـة علـى حكـم ميـولهم ، ترتـع في مـراتعهم وتـنغمس معهم ، ثم لا يبالون بعد ذلك ما تقع فيه من سبة ، لهم غنمها ، وعليها غرمها .

مـا رأيـت أضـعف حجـة ، مـن هـؤلاء النـاس ، الـذين ينـادون بتحريـر المـرأة المسـلمة مـن قيـود الحجـاب . . . لأن الحجـاب يسـبب حرمانهـا مـن الانطـلاق والترقـي والتعليم . . . و و و .

ما هذه المغالطات ، وما هذه الافتراءات ؟ !

books.rafed.net

المصافحة . . . او السلام بالكف :

لا بد من القول ، أن العقل هو الميزان ، الذي يجب أن يعرض عليه ، كل ما صلح ، وما فسد من الامور ، في كافة مناهج الحياة . فإذا كان العقل سليماً كان حكمه سليماً . . . وصحيحاً يطابق الحقيقة والوجدان .

وبما أن المسلمين قد حباهم الباري سبحانه ، بدستور سماوي عظيم « القرآن الكريم » فهو المنهج الصحيح ، والطريق الواضح . فلا حاجة لهم من إدخال مناهج الغير ، واتباع ما ينافي المبادئ الإسلامية ، والتعاليم النبوية .

ولا حاجة ايضاً في اقتباس عادات غير اسلامية ، وإدخالها في حظيرة الإسلام ، والتمسك بها ، وكأنها تراث حضاري .

ومن هنا يجب على كل ذي عقل وإدراك ، التمعن والتفكر ، بتعاليم الإسلام القيمة ، وسيرة الرسول العظيمة ، ويجعل منهما مقياساً ، ونبراساً لسلوك جادة الحق والصواب .

إن من جملة البدع التي دخلت على الإسلام ، وتفشت بكل سهولة وبدون احتشام ، ولاقت رواجاً وقبولاً من الذين يدعون التجدد والانطلاق . . . وهي عادة المصافحة (السلام بالكف) التي يستعملها رجال العصر الحاضر ونسائه وكأنها عنوان التقدم والرقي .

نرى البعض يحتج ويقول : إن القرآن لم يذكر حرمة السلام بالكف صريحاً بحيث أنه لا يجوز للمرأة أن تصافح الرجل من غير المحارم .

إن كل من يقول بعدم حرمة المصافحة بالكف ، من الرجل للمرأة ، او المرأة للرجل ، وإن الإسلام لم ينه عن استعمالها ، هو متعنت جاهل او مغالط يتجاهل الحقيقة .

books.rafed.net

إن كتب الفقه والتاريخ والسير فيها الكثير من الروايات الدالة على حرمة السلام بالكف من الرجل الأجنبي للمرأة الأجنبية . او بالعكس عدا المحارم .

منها ما جاء في كتاب الوسائل : عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : هل يصافح الرجل المرأة ليست بذات محرم !

فقال لا . . . إلا من وراء الثوب .

وعن سماعة بن مهران قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام ، عن مصافحة الرجل المرأة قال : لا يحل للرجل أن يصافح المرأة ، إلا امرأة يحرم عليه ان يتزوجها . . . اخت او بنت ، او عمة ، او خالة ، او بنت اخت ، او بنت اخ ، او نحوها .

وأما المرأة التي يحل له ان يتزوجها فلا يصافحها إلا من وراء الثوب . . . ولا يغمز بكفها [1] .

مبايعة النساء للنبي (ص) يوم فتح مكة :

ذكرت الأخبار والروايات كيفية مبايعة النساء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة وجوه .

عن كتاب الوسائل : عن المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف ماسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النساء حين بايعهن ؟ فقال : دعا بمركنه الذي كان يتوضأ فيه ، فصب فيه ماء ثم غمس فيه يده اليمنى

---

(١) وسائل الشيعة . للحر العاملي مجلد ١٤ . ج . ٧ . ص . ١٥١ .

books.rafed.net

فكلما بايع واحدة منهن قال : اغمسي يدكِ فتغمس كما غمس رسول الله صلى الله عليه وآله . فكان هذا مماسحته إياهن .

وعن سعد ان بن مسلم قال : قال ابو عبد الله [1] عليه السلام : أتدري كيف بايع رسول الله صلى الله عليه وآله النساء ؟ قلت : « الله أعلم وابن رسوله أعلم » قال : « جمعهنَّ حوله ثم دعا (بتوربرام) فصب فيه نضوحاً ثم غمس يده . . . » إلى أن قال : « اغمسْنَ أيديكن ففعلن . فكانت يد رسول الله (ص) الطاهرة أطيب من أن يمس بها كف أنثى ليست له بمحرم » [2] .

وفي السيرة الحلبية : « أن بعض النساء قالت : هلم نبايعك يا رسول الله . قال : لا . لا أصافح النساء وإنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة » .

وعن عائشة (رض) : لم يصافح رسول الله (ص) امرأة قط ، وإنما كان يبايعهن بالكلام .

وعن الشعبي بايع رسول الله (ص) النساء وعلى يده ثوب . وقيل أنه غمس يده في إناء وأمرهن فغمسن أيديهن فيه فكانت هذه البيعة [3] .

ذكر الطبري في تاريخه أن بيعة النساء قد كانت على نحوين :

كان يوضع بين يدي رسول الله (ص) إناء فيه ماء فإذا أخذ عليهن ، وأعطينه ، غمس يده في الإناء ثم أخرجها فغمس النساء أيديهن فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهن ، فإذا أعطينه ما شرط عليهن قال : « اذهبن فقد بايعتكن » ، لا يزيد على ذلك [4] .

بالإضافة إلى أنه إذا كان النظر محرماً فاللمس يحرم من باب الأولى .

---

(١) المراد بأبي عبد الله عليه السلام هو الإمام جعفر الصادق الإمام السادس .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي . مجلد ١٤ . ج . ٧ . ص ١٥٤ .

(٣) السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي .

(٤) تاريخ الطبري لابن جرير الطبري .

books.rafed.net

التقليد للاجانب . انتكاس وتراجع :

تجتاح عالمنا الإسلامي في هذه الأيام محنة من أخطر المحن التي مرت في تاريخه ، فإن لم يتداركها رجال الفكر وأهل العلم والعقل فلن تلبث ان تقضي على جميع آماله .

تداركوها وفي أغصانها رمق فلا يعود اخضرار العود ان يبسا

ان قوام هذه المحنة هو التقليد الأعمى ، الذي تجرف أمواجه العاتية جميع الطبقات ، وعلى جميع الاصعدة ، يسري في مجتمعنا كالنار في الهشيم .

واني اهيب بكل عاقل وعاقلة وأناشد كل ذي بصيرة ، ان يحكم بين صحيح الأمور وفاسدها ، فيراها بعين الخبرة وقد أميط النقاب عن مؤداها ، وسبر غور تجارب أخذت قسماً عظيماً من اخلاقنا . . . واقتصادنا .

من الواجب علينا أن نقول الحق ولا نرهب في الحق لومة لائم ، بل يجب على كل عاقل وعاقلة ، وكل صاحب ضمير ومروءة ان يذيع الصواب منتصراً للحق بكليته ولو خالفته المسكونة باسرها .

لقد تفننت نساء الغرب بانواع البهارج ، وأخذن يتسابقن إلى ابتكار الأزياء ، والتلاعب في صورها وأشكالها تباهياً وتنافساً وإمعاناً في الخلاعة والاستهتار .

حين كانت نساؤنا وفتياتنا العربيات والمسلمات قانعات بما ورثنه من التقاليد والعادات ، راضيات بلباسهن . . . وازيائهن . . . وأشكالها ، متمتعات بتمام الرفاهية والهناء وكمال الصحة والصفاء .

books.rafed.net

ولكـــن . . . ويـــا للاســـف . . . فقـــد غـــزت جيـــوش عـــادات الاجانـــب وتقاليـــدها بلادنـــا بخيلهـــا ورجالهـــا ، واحتلـــت البيـــوت والمجتمعـــات ، واســـتمالت القلـــوب ونزلت علينا ضيفاً غير محتشم .

وهرعـــت النســـاء للاخـــذ بمناصـــرتها وتثبيـــت دعائمهـــا حـــتى أصـــبحت مـــن الســـنن المفروضـــة والقواعـــد الـــتي يتحـــتم علـــى كـــل فـــرد مـــن أفـــراد المجتمـــع الالتـــزام بهـــا والعمـــل على طبقها .

الموضة . . . أو الزي الجديد :

لقـــد اســـتحالت عاداتنـــا اللطيفـــة وازياؤنـــا المحتشـــمة الـــتي ورثناهـــا عـــن الســـلف الصـــالح إلى شـــيء بـــال غـــير مرغـــوب فيـــه ، واصـــبحت عنـــوان الرجعيـــة والانحطـــاط باعين جمهور المتفرنجين والمستهترين .

وارتفعـــت رايـــة « الموضـــة » أو الـــزي الجديـــد ترفـــرف فـــوق ربوعنـــا ، ترعاهـــا كثـــيرات مـــن اللـــواتي اغمضـــن الجفـــن عمـــا يتخلـــل هـــذه الموضـــة مـــن الاضـــرار الفادحـــة بالصحة والمال .

أجـــل لقـــد اقـــدمت النســـاء بـــلا وعـــي إلى الانقيـــاد لحكـــم الازيـــاء الحديثـــة الجديـــد المستوردة التي تتغير بين آونة واخرى . . .

فنـــرى الملابـــس مـــثلاً . . . تـــارة تشـــبه أثـــواب الممثلـــين أهـــل المســـاخر والهـــزل (الباليه) وطوراً ضيقة تضغط على الجسم فتعيق الدورة الدموية .

ومـــتى اختـــل نظـــام هـــذه الـــدورة الطبيعـــي أصـــبح الجســـم معرضـــاً لكثـــير مـــن الأمـــراض ، فكيـــف بنـــا ونحـــن نـــرى النســـاء قـــد شـــددن خواصـــرهن بحـــزام مـــن المطـــاط فـــلا يســـتطعن أن يـــأكلن براحـــة أو لـــذة ، ولبســـن أحذيـــة ضـــيقة لا تســـاعدهن

books.rafed.net

على المشي بإستقامة .

وتـــراهن مـــع هـــذه المضـــايقة وذاك الاســـر يركضـــن لاهثـــات تشـــبها ببنـــات الافـــرنج بـــزعمهن انهـــا الحضـــارة والمدنيـــة ، ممســـكات باذيـــال هـــذه المـــوديلات صـــاغرات لاحكامها الصارمة وكما قيل :

مـــا حيلـــتي فـــيمن تفـــرنج وادعـــى ان التفـــــرنج شـــــيمة المتمـــــدن

لقـــد رأيـــت الكثـــيرات مـــن الســـيدات اللـــواتي انعـــم الله علـــيهن بالمـــال والجـــاه ، يتسابقن إلى ميدان « الموضة » ويتبخترن بحللهن وحليهن تيهاً واعجاباً .

كـــل يـــوم ثـــوب جديـــد . . . وتســـريحة جديـــدة . . . وتقليعـــة جديـــدة إلى غـــير ذلـــك من نواحي البذخ والإسراف .

وهـــذا التصـــرف بـــلا شـــك يجـــدد روح الغـــيرة في نفـــوس أكثـــر النســـاء المتوســـطات الحـــال ، فيبـــذلن كـــل مـــا في وســـعهن لتقليـــد جـــاراتهن أو منافســـتهن وقـــد تناســـين ان هـــذا التقليـــد أو التنـــافس يضـــر بصـــالحهن المـــادي والأدبي فضـــلاً عمـــا يلحقهن من الاضرار بالصحة وراحة البال .

ولـــن انســـى مـــا قالتـــه لي أحـــدى الصـــديقات وهـــي مـــن ذوات الجـــاه والثـــراء ، ومـــن ذوات الفهـــم والأدب « كـــم اتمـــنى مـــن صـــميم قلـــبي ان تبطـــل هـــذه الموضـــه اللعينة او تستأصل لأنها مضرة بالصحة والأخلاق » .

ثم اردفت تقول . . . بعد جدال طويل دار بيني وبينها :

ولكـــن مـــا العمـــل اختـــاه ؟ . . . وأنـــا أخـــاف ان اكـــون البادئـــة . . . لـــئلا ينســـب إليَّ البخـــل والتقتـــير المخـــلان بشـــرف وجـــاهتي وثـــروتي . . . أو يظـــن بي الفقـــر وعـــدم الاقتدار . . . الخ .

وممـــا لا ريـــب فيـــه اننـــا اذا ســـألنا اللـــواتي تـــربين في مهـــد الفضـــيلة وترعـــرعن في

books.rafed.net

جـــو الآداب وتنـــورت عقـــولهن بالحكمـــة والمعرفـــة : أي الثـــوبين أكثـــر فائـــدة والطـــف منظـــراً . . . الثـــوب البســـيط المنســـوج مـــن الصـــوف أو الكتـــان يجـــر بذيلـــه العفـــة والوقـــار . . . وسمـــات الطهـــارة والقناعـــة ، ثم هـــو مـــريح وفضـــفاض يحفـــظ راحـــة المرأة وصحتها . . .

أم الثـــوب الجديـــد مـــن الازيـــاء الحديثـــة (الموضـــة) الحاكمـــة علينـــا بالخضـــوع لأحكام التقليد الأعمى واستبداده . .

عنـــد ذلـــك لا تســـمع الا الجـــواب الواحـــد (للضـــرورة احكـــام) ولا نـــتمكن مـــن الانفـــراد عـــن بنـــات جنســـنا . . . وبيئتنـــا ، ونبقـــى اضـــحوكة المجتمـــع ، ثم يـــرددن متمثلات بقول الشاعر :

ومـــا عـــن رضـــىً كانـــت ســـليمى بديلـــة لليلـــى ولكـــن للضـــرورة احكـــام

وانـــني اكتـــب هـــذه الســـطور وقلـــبي يـــذوب أســـى ولوعـــة لمشـــاهدة مـــا وصـــلنا اليـــه مـــن الامـــور الـــتي لا تحمـــد عقباهـــا ، ونحـــن لاهثـــون وراء التقليـــد الأعمـــى بـــلا وعي ولا أدراك . قلدتموا فكأنكم لم توجدوا . .

لنلقـــي نظـــرة في مجتمعنـــا نـــرى العجـــب ، فكـــم مـــن امـــرأة متوســـطة الحـــال ضـــعيفة التفكـــير والتـــدبير قـــد انفقـــت جميـــع مـــا لـــديها مـــن امـــوال واثقلـــت عـــاتق زوجهـــا بالـــديون ، لتجـــاري اترابهـــا وجيرانهـــا وحـــتى لتشـــتري الاثـــواب « الدارجـــة » والقبعـــات . . . والاحذيـــة الجديـــدة ، الى غـــير ذلـــك مـــن لـــوازم « الموضـــة » الـــتي تعـــود علـــى بلادنـــا بـــالخراب وعلـــى اخلاقنـــا بالانهيـــار ، وعلـــى مـــن ابتكـــر هـــذه الأزيـــاء بالرزق . . . والمال . . . والمنفعة والخيرات .

فمـــتى تســـتيقظ المـــرأة المســـلمة يـــا تـــرى ؟ وتتحـــرر مـــن هـــذه العـــادات والتقاليـــد المشينة المزرية وكما قيل :

للشـــرق والغـــرب عـــادات مقدمـــة كانـــت ومـــا برحـــت أولى بتـــأخير

لا تتبعوهـــا فكـــم مـــن زهـــرة حســـنت في النـــاظرين وســـاءت في المنـــاخير

books.rafed.net

هلـمَّ يـا بنـات جنسـي العـاقلات . . . يـا مـن سـطعت بكـن شمـس الحضـارة والمدنيـة والرقـي لنشـر المبـادىء الاسـلامية الصـحيحة ، والمشـي علـى هـدى الاسـلام وتعاليمـه القيمـة ، ولنستأصـل مـن نفوسـنا آفـة الاقتـداء والتقليـد لغيرنـا ، ومـا أحسن قول الشاعر العراقي السيد احمد الصافي النجفي :

يـا شـرق مـا لـك في الحيـاة تقلـد ... ان المقلـد تـابع مسـتعبد

ان المقلـد عـائش في غـيره ... قلـدتموا فكـأنكم لم توجـدوا

حـتى لقـبح الغـرب قـد قلـدتموا ... هـذي « خنافسـكم » علـيكم تشـهد

ان رمـتم قبحـاً فهـاتوا قـبحكم ... فعـلامَ حـتى قـبحكم مسـتورد

ولقد احسن امير الشعراء شوقي حيث يقول :

ارى طوفـان هـذا الغـرب يطغـى ... وأهـل الشـرق سـادتهم نيـام

فـأن لم يأتنـا نـوح بفلـك ... علـى الاسـلام والـدنيا سـلام

من صميم الواقع :

إن إباحـة الحريـة المطلقـة دعـت الى توسـيع الخـرق وزيـادة الاسـتهتار ، ورمـت الأمـة الاسـلامية بفسـاد كبـير ؛ فـالرقص والسـباحة وارتيـاد النـوادي وركـوب المـرأة رأسـها ، مبيحـة لنفسـها حريـة الاجتمـاع علـى اخـتلاف أشـكاله وأنواعـه ، جـرَّ الـويلات على المجتمع الاسلامي العظيم .

وفي رسـالة بعثـت بهـا السـيدة الفاضـلة (معـزَّز الحسـينية) الى إحـدى اللـواتي ينادين بحرية الاختلاط ، ونزع الحجاب ، وتقليد الإفرنج . . . تقول :

« إعلمـي أيتهـا السـيدة انـه يجـب علينـا معشـر النسـاء العـاقلات والسـيدات الفاضـلات ، أن ننظـر الى كـل رجـل يحملنـا علـى مثـل هـذا العمـل بعـين الـبغض

books.rafed.net

والازدراء والاحتقار ، لأنه لا يدعونا الى فضيلة ولا الى مكرمة .

فبربك ايتها الآنسة ان تشفقي على نفسك وعلى بنات جنسك ، ولا تطالبين بالانفراد والاستهتار ، وتنادينهن الى العار والدمار . بل غلبي عليك غريزة حب النوع ، ذلك أعز لك وأشرف بنا . . . « وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » .

هبي أيتها السيدة أن الدين لم يأمر بالحجاب ، ولم ينه عن الاختلاط المبتذل والفساد . . .

أوليس الحجاب عادة قومية . . . اسلامية . . . شرقية ؟ فلماذا نترك نحن هذه العادة الحسنة ، ويتمسك غيرنا بعاداته وإن كانت وحشية ، ولا نجرؤ على مطالبته بتركها ؟

ولماذا يتمسك الانكليزي . . . والافرنسي . . . والألماني . . . والياباني . . . وغيرهم الخ بعاداته وتقاليده القومية ، وندع نحن عاداتنا وتقاليدنا القومية .

أتنكرين أن لكل امة عادات وتقاليد ؟ فلماذا نطالب بترك عاداتنا ، لكي نندمج في سوانا . . . لتضيع هذه القومية ؟ . . .

فبالله عليك لا تكوني آلة تخريب ، بل كوني آلة تعمير ولا تُخدعي يا رفيقتي فتكون المعول الذي به تهدم قوميتك . . . وامتك .

واعلمي أن قوماً يحاولون فتق هذا الرتق ، فيحملون علينا بما لا يريدون به خيراً ، إنما يريدون ان يخرجونا عن ديننا . . . ووطنيتنا . . . وبلادنا فيستعملون مثل هذه الدعايات ، يوماً بالتبشير الديني . . . ويوماً بالاصلاح الاجتماعي . . . ويوماً بالاستعمار المدني . . . ويوماً بالتمدن الغربي . . . الخ .

ولا تغرنك كلمات براقة يضعها الواضعون ، من رحمة بشرية . . . وانقاذ

books.rafed.net

ضعيف . . . وتحرير شعوب ، وما شاكل ذلك مثل هذه الكلمات الخلابة التي لا يراد بها غير التغرير كما قال (غوستاف لوبون) .

فكوني يا سيدتي أمتن وأمنع من أن تؤثر عليك هذه المؤثرات ، ولا يتخذك المضلون عضداً والسلام عليك من رفيقتك في النوع » .

وقد ذكر الشيخ مصطفى الغلاييني [1] مقالاً للسيد فؤاد صعب [2] وبه يخاطب المرأة المسلمة حيث يقول :

« يزعمون أنك مظلومة وأنك أسيرة الحجاب يريدون تحريرك من أسرك .

يزعمون أن الحجاب يمنعك من أن تكوني اماً راقية وزوجة صالحة . . . أسفري ولتسفر جاراتك ، وليبحث العالم بعدئذٍ عن علاج يخفف من المشاكل العائلية والزوجية .

أسفري . . . ولكن مهلاً . . . قبل أن تحكمي على حجابك بالهجران والنفي ، حاكميه وقابلي بين حسناته وسيآته ، لان من اللؤم أن يتناسى الانسان حسنات جمة ويقاضي على سيئة واحدة ، قابلي . . . وزني . . . وانظري أية الكفتين ترجح ثم احكمي .

فإن قلت أن لا حجاب لغير المسلمات وأنهن راتعات في بحبوحة من الحرية التي لا تمنع كونهن أديبات ومحصنات .

لا تغرك الظواهر ، ولا تخاليهن أسعد منك حظاً ، لأن الاختلاط الجنسي يقود حتماً الى تبادل العواطف ، وما زالت الغيرة غريزة في الحيوان الانساني ،

---

(١) نظرات في كتاب السفور والحجاب للشيخ مصطفى الغلاييني .

(٢) فؤاد صعب أديب لبناني .

books.rafed.net

فغير المسلمة ترسف في حجب معنوية حبذا دونها حجابك المادي .

لا تغـــرك الظـــواهر ، ولا تحســـدي غـــير المســـلمة إذا رأيتهـــا ســـافرة ، ســـائرة الى جنـــب زوجهـــا متكئـــة علـــى ذراعـــه يقـــدمها في المجتمعـــات الى اصـــدقائه وصـــديقاته ، حتى إذا عادا الى منزلهما وقف أمامها وقفة قاضٍ ، يحاكمها على نظرة او ابتسامة » .

ولقـــد أجـــاد الشـــاعر الرصـــافي في رده علـــى الدساســـين والمســـتعمرين الضـــالين . حيث يقول :

يقـــــول في الإســـــلام ظلمـــــاً بأنـــــه

يصـــــد ذويـــــه عـــــن طريـــــق التقـــــدم

فـــإن كـــان ذا حقـــاً فكيـــف تقـــدمت

أوائلـــــــه في عهـــــــدها المتقـــــــدم

وإن كـــان ذنـــب المســـلم اليـــوم جهلـــه

فمـــاذا علـــى الاســـلام مـــن جهـــل مســـلم

هـــل العلـــم في الاســـلام إلا فريضـــة

وهـــل امـــة ســـادت بغـــير الـــتعلم

لقـــد أيقـــظ الإســـلام للمجـــد والعلـــى

بصـــائر أقـــوام عـــن المجـــد نـــوَّم

ودكَّ حصـــــون الجاهليـــــة بالهـــــدى

وقـــوض أطنـــاب الضـــلال المخـــيم

ألا قـــل لمـــن جـــاروا علينـــا بحكمهـــم

رويـــداً فقـــد قـــارفتم كـــل مـــأثم

المرأة في ظل الاسلام (٦)

books.rafed.net

فـــــلا تنكـــــروا شمـــــس الحقيقـــــة إنهـــــا

لأظهـــــر مـــــن هـــــذا الحـــــديث المـــــرجم

الحجاب . . . وأثره في المجتمع :

جـــاء الإســـلام ، فأضـــاء الكـــون بنـــور تعاليمـــه ، هاديـــاً الى انتهـــاج ســـبيل الحـــق ، رادعـــاً للـــنفس البشـــرية مـــن نـــوازع الضـــلال حاثـــاً علـــى اتبـــاع الهـــدى ، وســـلوك طريق الرشاد .

ولمـــا ظهـــر الإســـلام ، رأى أن الـــذين في قلـــوبهم مـــرض وهـــم أكثريـــة أبنـــاء البشـــر قـــد عميـــت مـــنهم البصـــائر ، واســـتمالتهم الشـــهوات ناهيـــك عـــن وسوســـة الشيطان . . . وضعف الإنسان .

ونحـــن نـــرى الإســـلام بتشـــريعاته الســـامية ، بعيـــداً عـــن كـــل الأهـــواء والميـــول ، حريصاً على طهارة المرأة المسلمة .

لـــذلك أمرهـــا بالحجـــاب لتظـــل محافظـــة علـــى مـــا حباهـــا الله ، مـــن هالـــة قدســـية . . . ومنزلة رفيعة . . . وأدب واحتشام .

وبمـــا أن الفتـــاة لا تـــتمكن مـــن الصـــمود أمـــام تيـــارات الفســـق والاســـتهتار إلا إذا تهـــذبت تحـــت شـــعاع الأخـــلاق الســـامية ، والعفـــة والطهـــارة الـــتي جـــاء بهـــا الإســـلام ، والتي وضع القرآن الكريم حداً لها .

وعنـــدما نقـــرأ القـــرآن الكـــريم بـــتمعن وتفهـــم ، نجـــد اكثـــر آياتـــه تحـــرض المســـلمات علـــى الحجـــاب والحـــث عليـــه ، والتشـــديد علـــى الالتـــزام بـــه حـــتى لا تقـــع المـــرأة المســـلمة في مشاكل تكون عواقبها وخيمة .

books.rafed.net

إن الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم بخصوص الحجاب قد نزلت آمرة المسلمين بالأخذ بها ، والعمل على طبقها ، وليست الاوامر التي وردت في القرآن الكريم هي أوامر اختيارية بل هي إلزامية .

وها نحن نسمع الصرخات المتعالية . . . ونتلقى الاحتجاجات المتتالية ، على ما وصلت اليه المرأة من التهور ، وعلى ما بلغه الرجال من فساد الاخلاق وما آلت اليه حالة المجتمع .

ثم نرى بعض المسلمين . . والمسلمات وقد قاموا يوآزر بعضهم بعضاً . داعين إلى تمزيق حجاب المرأة وكسر قيودها وإباحة الاختلاط . . . والتشبه بالأوروبيين الأجانب .

ومما لا شك فيه ان أكثر الداعين إلى هذه الشرور ، ليس في نفوسهم حمية . . . أو نخوة . . . أو شرف .

ذابت المروءة العربية والإسلامية من صدور الناس ، وتبخر الوجدان من قلوبهم .

لقد نسي هؤلاء ان دعوتهم إلى السفور . . . والاختلاط . . . تزج المرأة المسلمة إلى التدهور والغرق في بحر من الظلمات وهي لم تألف السباحة في مهاوي هذه الحياة الصاخبة التي يجرونها اليها .

هل يظن دعاة السفور . . . والاختلاط . . . والحرية المزعومة انهم عندما نترك الفتاة تفعل ما تريد . . . وتذهب إلى حيث تشاء . . . حبلها على غاربها ، هل يمكنهم من كبح جماحها ؟ ! وهل باستطاعتهم ارجاعها إلى سلوك طريق الصواب والحق وعدم اتباع الهوى ؟

books.rafed.net

ولقد صدق الازري بقوله :

اكريمـــة الـــزوراء لا يـــذهب بـــك هـــذا الخـــداع ببيئـــة الـــزوراء

لا يخـــدعنك شـــاعر بخيالـــه ان الخيـــال مطيـــة الشـــعراء

حصـــروا علاجـــك في الســـفور ومـــا دروا

ان الـــذي وصـــفوه عـــين الـــداء

أو لم يـــروا ان الفتـــاة بطبعهـــا كالمـــاء لم يحفـــظ بغـــير انـــاء

مـــن يكفـــل الفتيـــات بعـــد بروزهـــا ممـــا يجـــيش بخـــاطر العـــذراء

ومـــن الـــذي ينهـــى الشـــبيبة رادعـــاً

عـــن خـــدع كـــل خريـــدة حســـناء

books.rafed.net

المرأة في رحاب العلم

لنلقي نظرة شاملة على الوضع الحاضر للمرأة في زماننا هذا ونتساءل . . . هل ان الحجاب الذي فرضه الدين الإسلامي على المرأة المسلمة منع من تطورها أو سيرها في مضمار المدنية ؟

وهل ان الحجاب منعها من العلم والتعلم . . . والسير قدماً نحو الكمال ؟

أو منعها من ان تكون المرأة الفاضلة المهذبة الراقية ، ربة البيت وسيدة المجتمع كما يتقول ذلك دعاة الخلاعة والسفور ، الذين اعمى بصيرتهم الجهل وقتلهم الغرور .

لقد رفع الإسلام من مستوى المرأة كما ذكرت سابقاً ، وجعل فيها من النشاط والإقدام ما هيأها للمسير على طريق الهدى والكرامة ، ونحو المثل العليا ، مرتكزة على أساس دينها القويم ، ومعتمدة على إيمانها العظيم .

فالحجاب لم يمنع الفتاة المسلمة من إرتشاف العلم ، ولم يقف حجر عثرة في يوم من الأيام في سبيل تعليمها . . . وتهذيبها .

ولقد صدق الشاعر الازري حيث يقول :

ليس الحجاب بمانع تعليمها ... فالعلم لم يُرفع على الازياء

أو لم يسع تعليمهن بغير ان ... يملأن بالاعطاف عين الرائي

books.rafed.net

لقد احسن الشاعر الازري إلى المرأة وأدرك الحقيقة ونطق بالصواب ، حيث ان الحجاب لم يمنع المرأة من إرتشاف العلم والمعرفة ، وكان نصير الحق على عكس ما قاله : عدو المرأة أبو العلاء المعري في شعره ، حيث انه يريد للمرأة ، ان تبقى متخبطة في دياجير الجهل .

قال أبو العلاء المعري :

علموهن الغزل والنسج والرون وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والاخلاص تغني عن يونس وبراءة

لقد تعصب أبو العلاء المعري وجار بحكمه على المرأة ، وغاب عن فكرة ان الفتاة المتعلمة ، تزهو بحسن اخلاقها ، وتهذيبها ، وتستغنى بعلمها وثقافتها ، عن أرفع الجواهر ولو أن ملبسها بسيطاً من القماش كما قيل :

زيني النفس بعلم وعفاف وأدب

ولتكن هذه الدرار ي عقد زينات العرب

فجمال الجسم يغني مثلما تغني الزهور

وجمال النفس يبقى زاهراً مر الدهور

تأثير العلم على المرأة :

الفتاة المتعلمة ، تسمو بعلمها وأدبها ، وان كان ملبسها بسيطاً كما قالت عائشة التيمورية :

ان العلوم لاصل الفخر جوهرة يسمو بها قدر الوضيع ويشرف

فوجودها في درج مهجة فاضل من حازها بين الأنام مشرف

books.rafed.net

لقد اهتم الدين الإسلامي بالنواحي الاجتماعية ، وحرض المسلمين على العمل طبق ما تقتضيه الشريعة السمحاء ، ونهى عن كل ما يفسد الأخلاق ، وحث على السير نحو المثل العليا ، في مقدمتها طلب العلم ، كما ورد (اطلب العلم ولو في الصين) . ولم يحرم المرأة من هذا المورد العذب الذي ينعش الروح ويهذب النفس (اكسير الحياة) بل أباح لها ان تنهل من مورد العلم ما ينعش نفسها وخلقها ، ويجعلها في المستوى الذي تحمد عقباه . فالفتاة المتعلمة ، الكاملة المهذبة ، تعرف كيف تشق طريقها في خضم الحياة الصاخب بعكس الفتاة الفقيرة إلى العلم ، الخالية الوفاض من الثقافة .

ان المصابيح ان افعمتها دسماً ... أهدت لوامعها في كل مقتبس

وان خلا زيتها جفت فتائلها ... اين الضياء لخيط غير منغمس

فبالعلم المتوج بالدين ، والثقافة المحاطة بالأدب والتهذيب تتمكن المرأة من إدارة مملكتها الصغيرة ، وتنشئة أولادها على الاخلاق الفاضلة وتخدم قومها وبلادها حين تخرج إلى عالم الوجود شعباً حياً يعيش الحياة المثلى .

ولا ننسى ان المرأة التي تهز السرير بيمينها تهز العالم باسره بيسارها إذ ان تربية الناشئة مهمة جليلة ، في غاية الصعوبة . فالوليد الصغير ابن المدرسة الأولى وهي الأم كما قيل :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... اعددت شعباً طيب الاعراق

الأم استاذ الاساتذة الأولى ... شغلت مآثرها مدى الآفاق

الأم روض ان تعهده الحيا ... بالريّ أورق ايما ايراق

books.rafed.net

الحجاب والعلم :

الحجاب هو ستار شرف وعفاف ، يصون المرأة ولا يمنعها من العلم والرقي وما يضير الفتاة المسلمة ، ان تتحجب الحجاب الشرعي ، وتتلقى من العلوم ما شاءت وكيف شاءت .

والرسول الكريم ﷺ ، حث على طلب العلم بقوله كما ورد في الحديث الشريف (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) .

وعلى هذا لم يمنع الاسلام الفتاة من أن تتلقى العلوم وتتزود بالمعرفة . ولم يمنع الحجاب المسلمة من أن تذهب إلى المدرسة ، وقد غطت رأسها ، وسترت جسمها بالحجاب الشرعي المحتشم ، تذهب إلى حيث تريد بدون تبذل واستهتار ترشف مناهل العلم وتنير بصيرتها بنور المعرفة .

ومما لا شك فيه ، ان كل عالم ومدرك ، يوافقني على وجوب توعية الفتاة وتهذيبها ، وتعليمها وتثقيفها حتى لا تبقى جاهلة بعيدة عن الإدراك بنتائج الأحوال وعواقب الأمور .

يأخذ العجب والغرور ، فلا ترى إلا الإنشغال بنفسها وزينتها وتستعين على إظهار جمالها ، بزخرف المعادن والأحجار ، وتتخيل انها زادت بسطة في الحسن . . . ورفعة في الجاه .

وكما قالت السيدة عائشة التيمورية تصف إحدى الجاهلات :

books.rafed.net

قـــد زينـــت بالـــدر غـــرة جبهـــة وتوشـــحت بخمـــار جهـــل أســـود

وتطوقـــــت بالعقـــــد يـــــبهج جيـــــدها

والجهـــل يطمـــس كـــل فضـــل امجـــد [1]

وقال آخر :

مـــا العـــز لبســـك أثـــواب فخـــرت بهـــا

والجهـــل مـــن تحتهـــا ضـــاف علـــى الجســـد

لا يخفـــى علـــى كـــل ذي عقـــل ولـــب أن العلـــم ضـــروري للفتـــاة ، لأنـــه لا تصـــلح العـــائلات إلا بتعلـــيم وتهـــذيب البنـــات ، وتثقـــيفهن وتـــربيتهن علـــى العفـــة والفضيلة .

وبمـــا ان الأم هـــي المدرســـة الأولى كمـــا أســـلفنا ، وهـــي المعلـــم الأول يجـــب عليهـــا أن تكـــون علـــى جانـــب مـــن العلـــم والثقافـــة والتهـــذيب حـــتى يتســـنى لهـــا أن توجـــه أولادهـــا نحـــو الفضـــيلة والكمـــال ، بعكـــس المـــرأة الجاهلـــة الـــتي يكـــون ضـــررها علـــى المجتمع وخيماً ورحم الله شوقي حيث يقول :

وإذا المعلـــم ســـاء لحـــظ بصـــيرة جـــاءت علـــى يـــده البصـــائر حـــولاً

وإذا اتـــى الإرشـــاد مـــن ســـبب الهـــوى

ومـــن الغـــرور فســـمه التضـــليلا

وإذا أصـــيب القـــوم في اخلاقهـــم

فـــاقم علـــيهم مأتمـــاً وعـــويلاً

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور . زينب فواز .

books.rafed.net

ولكـــن أكثـــر فتيـــات العصـــر الحاضـــر الجـــاهلات ، لـــيس لهـــن مـــن هـــم ســـوى حـــب الظهـــور ، والتفـــاخر بالمـــال والجـــاه ، وقـــد غـــاب عـــنهن ان أحســـن حليـــة هـــي حليـــة الأدب ، وأفضـــل رصـــيد هـــو رصـــيد العلـــم ، واجمـــل مزيـــة هـــي حســـن الخلـــق ، واعظم ذخيرة . . . . ذخيرة العمل الصالح .

وما أحسن قول الشاعرة السيدة عائشة التيمورية :

بيـــد العفـــاف اصـــون عـــز حجـــابي وبعصـــمتي اسمـــو علـــى اتـــرابي

وبفكـــرة وقـــادة وقريحـــة نقـــادة قـــد كملـــت آدابي

ولقـــد نظمـــت الشـــعر ســـيمة معشـــر قبلـــي ذوات الخـــدر والاحســـاب

الى ان تقول :

فجعلـــت مـــرآتي جبـــين دفـــاتر وجعلـــت مـــن نقـــش المـــداد خضـــابي

كـــم زخرفـــت وجنـــات طرســـي انملـــي بعـــذار خـــط او اهـــاب شـــبابي

ولكـــم اضـــا شمـــع الـــذكا وتضـــوعت بعبـــير قـــولي روضـــة الاحبـــاب

الى ان تقول :

مـــا ضـــرني أدبي وحســـن تعلمـــي

الا بكـــوني زهـــرة الالبـــاب

مـــا ســـاءني خـــدري وعقـــد عصـــابتي

وطـــراز ثـــوبي واعتـــزاز رحـــابي

مـــا عـــاقني خجلـــي عـــن العليـــا ولا

ســـدل الخمـــار بلمـــتي ونقـــابي

عـــن طـــي مضـــمار الرهـــان اذا اشـــتكت

صـــعب الســـباق مطـــامع الركـــاب

books.rafed.net

بـــــل صـــــولتي في راحـــــتي وتفرســـــي

في حســـــن مـــــا اســـــعى لخـــــير مـــــآب

وقال آخر :

العلـــم يغـــرس كـــل فضـــل فاجتهـــد إلا يفوتـــــك فضـــــل ذاك المغـــــرس

واعلـــم بـــان العلـــم لـــيس ينالـــه مـــن همـــه في مطعـــم او ملـــبس

فاجعـــل لنفســـك منـــه حظـــاً وافـــراً واهجـــر لـــه طيـــب الرقـــاد واعـــبس

فلعـــل يومـــاً ان حضـــرت بمجلـــس كنـــت الـــرئيس وفخـــر ذاك المجلـــس

وقال آخر :

علمـــوا الفتيـــان طـــراً والبنـــات يـــدركوا مـــن علمهـــم معـــنى الحيـــاة

علمـــوهم ان قـــدر المكرمـــات فـــاق مـــا بـــين الـــورى قـــدر النســـب

وقال آخر :

ان البنـــــات الناشـــــئآت سيصـــــرن يومـــــاً امهـــــات

فـــاذا نشـــأن علـــى التقـــى والعلـــم كـــن الكـــاملات

هـــن الـــدعائم للبيـــوت وحفـــظ ركـــن العـــائلات

books.rafed.net

لمحة من واقع الحياة في عصرنا الحاضر :

لا أدري ما الذي حمل بعض الناس من المتزمتين المتعصبين على الظن بان الفتاة لا تتمكن من التعلم والمحافظة على دينها وعفتها وأدبها وتهذيبها .

ولا أدري ما الذي دفع بالمعترض على تعليم الفتاة الى هذا القول ؛ ولا أعلم ما هذا الغشاء الذي قام امام عينيه فلم يعد ينظر فوائد العلم والتهذيب ، على ضوء تعاليم الدين والايمان . هذه الفوائد التي لا ينكرها إلا من اعمى بصيرته الجهل ، وخيم فوق رأسه الغرور ، وقيده حب الذات والانانية .

وكأني به وقد رأى الناس كل يبدي رأيه ويتكلم بما يجول بخاطره ، فأراد ان يتكلم . . . ولكنه بحث في زوايا دماغه ، وفتش في مخبئات قريحته ، فلم يجد غير مذهب أبي العلاء المعرّي وأتباعه من المتزمتين . . . فاتخذه برهاناً وأدلى به حجة ودليلاً .

فهل يظن هذا المعترض الغبي ان العلم خلق للرجل ! أو ان المعرفة والأدب وقف على الرجال ؟ !

لعمري انه في ضلال مبين ، وخطأ كبير ، وتزمت ظاهر ، وتعصب أعمى لا يوجد له مبرر .

ان كثيراً من الناس في زماننا هذا ، وفي اكثر المجتمعات الجاهلة الذين يسمون انفسهم محافظين ، هم عن الايمان بعيدون ، هؤلاء المتعصبون اعداء المرأة ، المتزمتون المنطوون على أنفسهم ، يريدون ان تبقى المرأة ترسف في اغلال من الحرمان والحيف ، يريدون منها ان تكون جليسة البيت لا همَّ لها إلا الأكل والشرب ، شأن الحيوان الاعجم (همه علفه) .

books.rafed.net

فكم من امرأة عاقلة حباها الباري ، سبحانه وتعالى من المواهب والذكاء ، مالو انها حالفها الحظ ، واتيح لها الانطلاق ، ومهدت أمامها السبيل لأرتشاف العلم وانتهال معين المعرفة لتفوقت وأصبحت من الاعلام البارزين .

وكم من النساء الموهوبات اللواتي يتحسرن على العلم والتعليم ولا يكاد يسمع لهن صوت ، ولا يتبين لهن حركة ، قد شلت منهن الهمم وتخدرت المواهب ، فهن مغمورات قد القت بهن الاقدار اما ببيئة جاهلة . . . لا تقدر العلم والادب ، او عند رجال متزمتين لا يرون ان المرأة خلقت لتتعلم وتتثقف كما ذكرنا ، ولكنها خلقت لأسعاد الرجل وخدمته .

عشرات النساء من اللواتي حصلن على نصيب من العلم والمعرفة والأدب ، وحباهن الباري سبحانه وتعالى بقسط وافر من الذكاء والفطنة ، ولكن عبس بوجههن الزمن ، وعاكسهن القدر ، فانطوين على انفسهن وراء متاعب الحياة ومعاندة الظروف ومصاعب العيش .

وقفن حائرات متطلعات الى موكب الحياة الصاخب . . . بنفوس ملتاعة حساسة . . . وقلوب حية . . . وشعور فياض :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

أجل بعد ان عبس بوجههن القدر ، وتنكرت لهن الايام وقفن ذاهلات . . . متحسرات . . . متألمات . . . متأوهات يكبتن الحس والشعور والمواهب والذكاء والفطنة . . . يواجهن حقائق الدنيا الصلدة متخاذلات متقاعدات وبما كتب الله لهن قانعات . . . على امرهن مغلوبات . . . وعلى جور المتعنتين والمتزمتين صابرات .

وقانا الله شر الجهل والجور والظلم وهدانا جميعاً لسلوك طريق الصواب .

books.rafed.net

نظرة الشباب الطائش إلى العلم :

ان اكثرية جيلنا المتطور يرون أن العلوم الجديرة بالبحث ، والتي يجب ان توجه اليها الانظار وأفكار الناشئة انما هي العلوم التي تصل بها الشعوب إلى غاياتها المادية من استعباد وبطش واستعمار ، واستثمار الضعفاء .

وما عدا هذه العلوم ما هي إلا سفسطات من مخلفات الماضي ، شغل بها العلماء أوقات فراغهم .

لقد راجت الدعاية الاجنبية ، وسلم الكثير من الناس بأن الأوربيين هم أصحاب العلم والاختراع ، وأن علماءنا يستولي عليهم الجمود ، ليس لهم من الذكاء أو العقل المبدع ما يمكنهم من مواكبة ركب الحضارة والرقى ، لان عقول الشرقيين بسيطة ساذجة .

وعندما تمكن أهل الأهواء والأغراض من نفث سمومهم ، وتخدرت العقليات ، وانصرف الناس عن الدين وتعاليمه السامية . وعن تراث الاجداد العظيم .

وانصرف الناس أيضاً عن العلماء المخلصين حاملي لواء الدين والمعرفة الذين تزخر صدورهم بالعلم والفضل وإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم .

وبعدما رسخت هذه النظرية (نظرية تفوق العقل الاوروبي المبدع على

books.rafed.net

العقل الشرقي الساذج) [1] في عقول الناس عندها أصبح دعاة العلم والفضيلة لا يسمع لهم قول ولا يطاع لهم أمر كما قيل :

انادي وهل في الحي مصغ فيسمع اهم نوم أم ساحة الحي بلقع

ربما لا يعجب هذا القول الكثير من الناس ، وقد ينعتني بعضهم بالرجعية . لأننا أصبحنا في زمان دان فيه العالم باديان مختلفة من المادة والضلال وأصبح الجيل الصاعد المتطور يسخر بالدين . . . وممن يتكلم بالدين .

ولكن ما لنا وهؤلاء الأغبياء الجهلاء ، الذين ارتكسوا في حمأة الضلال لا يفقهون ما يقولون ولا يعرفون ما يفعلون .

فالواجب يدعونا جميعاً للتحرر من نير الدعايات الاستعمارية ، والسموم الإلحادية .

---

(١) يقول الدكتور جواد علي في كتابه : « المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام الجزء الأول ص ٢٥٧ » .

وقد شاعت نظرية خصائص العقلية السامية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، ووجدت لها رواجاً كبيراً لظهور بعض الآراء والمذاهب ، التي مجدت العقلية الاوربية ، وسبحت بحمدها وقالت بتفوق العقل الغربي الخلاق المبدع ، على العقل الشرقي الساذج البسيط .

ورمز العقل الشرقي هو العقل السامي ، فهو لذلك عقل ساذج بسيط .

ومن أشهر مروجي هذه النظرية الفيلسوف (رينان) ١٨٢٣ . ١٨٩٢ م (Ernest Renan) وكذلك (كراف كوبينو) Graf Arthur Cobineau وهو من القائلين بتمايز العنصريات البشرية وبتفوق بعضها على بعض ، وسيادة العقليات الآرية على سائر العقليات . ومنهم أيضاً (هوستن ستيورات شامبرلن) : ١٨٥٥ . ١٩٢٧ م Hausten Stewart Chamberlain .

books.rafed.net

يجب ان ننهض متكاتفين لتثبيت القواعد الإسلامية في نفوس المسلمين من ناشئة وبالغين ، ونحن نملك الرصيد الروحي الكبير في صفائه ونقائه .

وحري بالمؤمنين وعلماء المسلمين ، ودعاة الاصلاح ان يعرضوا الإسلام بطريقة غير منفرة ، تحفظ الإسلام على المسلمين ، وتحل جميع المشكلات . . . ومتى حل الإسلام في النفوس صدرت الأعمال صحيحة وفقاً لتعاليمه . . . وقوانينه .

التوعية الدينية :

لقد كثر في بلادنا العربية عدد كبير من المرشدين والواعظين ، والخطباء ولا سيما في وقتنا الحاضر . فقد نهض الكثير من الفتيان والفتيات بقيادة بعض المرشدين المتجلببين بجلباب الدين ، وقد ضاقت بهم الاندية والمجتمعات ، واصغى الكثير إلى خطبهم الرنانة مملوءة بالحكم والمواعظ والدعوة إلى الدين وانتهاج الصراط المستقيم .

كم سررنا لهذه الخطوة المباركة ، من أهل الاصلاح والرشاد ، الذين مسح الله سبحانه وتعالى على جباههم بزيت النباهة والنبوغ ، واقامهم جنوداً للحق والحرية والعدالة والاصلاح الاجتماعي كما يدعون .

اليسوا هم من اولئك المجاهدين المناضلين الذين وقفوا حياتهم على خدمة الأمة والدين ؟

ولكن يا للأسف . . . اقولها ونفسي تذوب اسى ولوعة كم من القادة الهداة . . . والصلحاء والدعاة قد بحت أصواتهم وانتفخت أوداجهم ، وهم يحرضون الناس على سلوك طريق الإيمان واطاعة الرحمان ، ونزع الشهوات

ومعصية الشيطان . داعين إلى انتهاج سبيل الحق ، والتخلق بالأخلاق الإسلامية السامية ، ومزايا الدين العظيم .

ولكن لم يمض زمن طويل حتى ظهر من بعضهم الانحراف عن الاخلاص في العمل ، ولم يكن القصد من وراء أقوالهم وأفعالهم إلا المصالح الشخصية ، والغايات الذاتية ، يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم . . . وكما قال الجرجاني :

ولو ان أهل العلم صانوه صانهم ... لو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اذلوه جهاراً ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

واستميح العذر . . . إذا رددت قول الشاعر :

نحن في اية حال معكم ... لو فطنا لقضينا عجبا
ان سكتنا مسنا الضر . . . وان ... نحن لم نسكت اسأنا الادبا

وقانا الله وإياهم من سوء الأقوال . . . وخبث النوايا . . . ومضار الأفعال .

ونسأل الله ضارعين إلى مجد عزته أن يأخذ بيد جميع العاملين في خدمة الدين ، والمشتغلين في سبيل العلم والعمل الصالح .

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

« ما كل من رأى شيئاً قدر عليه ، ولا كل من قدر على شيء وفق له ، ولا كل من وفق له أصاب موضعاً ، فإذا اجتمعت النية والمقدرة والتوفيق والإصابة فهناك السعادة » [1] .

---

(١) عن مجلة العرفان .

books.rafed.net

الزواج . . . الرابطة للاسرة :

جعل الإسلام الزواج وسيلة لربط الرجل بالمرأة ، وقضى على فوضى الجاهلية في الأمور الجنسية ، ورفع من شأن المرأة وأبعدها عن أن تكون مجرد متعة .

قال تعالى : (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**) [1] .

فقال (**لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**) أي لتطمئنوا . . . ولم يقل « لتتمتعوا . . . أو لتتلذذوا » فالمرأة وسيلة للطمأنينة والراحة والود الذي يجعل الرابطة قوية بين الرجل والمرأة .

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، الرجل ان يعاشر زوجته بالإحسان والمعروف فقال : « استوصوا بالنساء خيراً » وقال أيضاً : « خيركم خيركم لأهله » .

وفي سبيل المحافظة على طهارة المرأة ، وعزتها حتى لا تكون متعة رخيصة ، يتناقلها الرجال كما كانت حالة المرأة في أيام الجاهلية قبل الاسلام فقد حرم الله الزنى ، وحض على الاحصان ، ومنع البغاء ، حيث قال : (**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**) [2] .

وجعل عقوبة الزنا شديدة قاسية للرجل والمرأة . وفي مباني تكملة المنهاج

---

(١) سورة الروم . آية . ٢١ .

(٢) سورة الاسراء . آية . ٣٢ .

books.rafed.net

عن أبي عبد الله (ع) قال : (الحر والحرة إذا زنيا جلد كل واحد منهما مائة جلدة ، فأما المحصن والمحصنة فعليهما الرجم) [1] .

وجاء في الوسائل [2] ان المرأة اقرَّت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالزنا أربع مرَّات ، فأمر قنبر فنادى بالناس فاجتمعوا ، وقام أمير المؤمنين عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن امامكم خارج بهذه المرأة الى هذا الظهر ، ليقيم عليها الحد انشاء الله ، فعزم عليكم أمير المؤمنين لما خرجتم وانتم متنكرون ، ومعكم أحجاركم ، لا يتعرف منكم أحد الى احد ، فانصرفوا الى منازلكم انشاء الله .

قال : ثم نزل ، فلما أصبح الناس بكرة خرج بالمرأة وخرج الناس معه متنكرين متلثمين بعمائهم وبأرديتهم والحجارة في ارديتهم وفي اكمامهم حتى انتهى بها والناس معه الى الظهر بالكوفة فأمر ان يحفر لها حفيرة ثم دفنها فيها .

ثم ركب بغلته وأثبت رجله في غرز الرِّكاب ثم وضع أصبعيه السبابتين في أذنيه ونادى باعلى صوته :

أيها الناس إن الله عهد الى نبيه صلى الله عليه وآله عهداً عهده محمد صلى الله عليه وآله الي بأنه لا يقيم الحد من لله عليه حد فمن كان لله عليه مثل ما له عليها فلا يقيم عليها الحد .

قال : فانصرف الناس يومئذ كلهم ما خلا أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام . فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحد يومئذ وما معهم غيرهم .

---

(١) مباني تكملة المنهاج الصالحين لحجة الاسلام السيد الخوئي . ج ١ . ص ١٩٧ .

(٢) كتاب وسائل الشيعة . للحر العاملي . ج . ١٨ . ص . ٣٤١ .

books.rafed.net

حول استقرار المرأة في بيتها :

أسئلة تتردد ، طبل لها وزمر كثير من الفتيات والفتيان ، وقالوا : كيف يكون الإسلام انصف المرأة وكيف اعطاها حقوقها وحريتها ؟ والقرآن الكريم قد امر المرأة كما في قوله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) [1] ، فما هذا السجن الدائم للنساء ، ايصح ان يجعل الإسلام المرأة حبيسة البيت ، رهينة الجدران .

والجواب : هذا افتراء على الإسلام وزعم فاسد ، يدل على شيئين : أما عدم فهم المراد من الآية الكريمة . . . وأما الجهل باللغة وأساليبها .

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المرأة في جميع الشرائع السماوية ان تقر في بيتها للقيام بشؤونه ، والعناية بأمور الأسرة ، وتربية الأولاد ، والإشراف على مملكتها الصغيرة .

ان المرأة المسلمة ، هي التي تعمل بما أمرها الإسلام به ، وما أوجبه عليها من حقوق ، شأنها في ذلك شأن كل فتاة تربت تربية فاضلة ، مستمدة من روح الدين ، وحقيقة الإيمان ما يجعلها قدوة لنساء العالم .

فهي تعرف كيف تعني بترتيب منزلها ، وتربية أولادها وسعادة زوجها .

لم يجعل الإسلام المرأة في سجن كما يفندون ، بل أباح لها بعد ان تتم واجباتها المنزلية ، ان تخرج من بيتها بطلب علم ينفعها ، في دينها ودنياها ، أو لزيارة

---

(١) سورة الأحزاب . اية . ٣٣ . وفي مجمع البيان في تفسير القرآن (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) أمرهن بالاستقرار في بيوتهن ، والمعنى اثبتن في منازلكن والزمنها . أو كن أهل وقار وسكينة .

أهلها أو اقاربها أو صديقاتها أو للتنزه والترويح عن نفسها بعيدة عن اماكن الريب مع زوجها أو ابيها ، أو أخيها ، أو غيرهم من محارمها ، أو مع صديقات لها معروفات بالحشمة والأدب والدين والأخلاق الفاضلة ، والسمعة الطيبة . وكما قيل :

صاحب أخا ثقة تحظى بصحبته فالمرء مكتسب من كل مصحوب

والريح آخذة مما تمر به نتناً من النتن أو طيباً من الطيب

أما ان تترك المرأة بيتها وتخرج للتنزه في أماكن الريب والشبهات أو الجلوس في المقاهي « والكازينوهات » أو التجول في الأسواق والطرقات ، لغير حاجة أو ضرورة ، تلين القول لهذا ، وتمازح ذاك ، وتبش في وجه آخر وقد نهى الله تعالى عن ذلك : « فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا » [1] .

وهذا الفعل لم يأذن به الله سبحانه ، ولا يرضاه من عنده أدنى ذرة من شرف النفس ، والشهامة والإباء والغيرة .

كما لا ترضى به حرة ، تؤمن بالله واليوم الآخر ، أو عندها من كريم الخلق ما يربأ بها ، ان ترد هذه الموارد .

ومن الواجب على المرأة الفاضلة العاقلة ، إذا خرجت من بيتها لحاجة أو لضرورة ، أو للترويح عن النفس ، تخرج في حشمة وادب ، يحوطها الخلق

---

(١) سورة الأحزاب آية . ٣٢ .

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) أي لا ترققن القول ولا تلن (هكذا وردت والمفروض ولا تلين) الكلام للرجال ولا تخاطبن الأجانب مخاطبة تؤدي الى طمعهم (وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) اي مستقيماً جميلا ، بريئاً من التهمة بعيداً عن الريبة ، موافقاً للدين والإسلام .

books.rafed.net

الطيب ، والتربية الحسنة متأدبة في مشيتها ، غاضة من طرفها ، غير مبدية زينتها ، ولا متكسرة ، ولا متثنية في خطواتها ، ولا لافتة اليها أنظار الجهلة والمستهترين . وليس الأمر بان تلازم المرأة دارها خاصاً بالإسلام ، كما يتوهم أو يظن البعض ، فقد جاء في رسالة بولس [1] إلى طيطس [2] في موضوع كلام عن النساء قال يجب عليهن بان يكن متعقلات ، ملازمات لبيوتهن ، خاضعات لرجالهن .

وقال مخاطباً (ثيموثاوس) : لست آذن للمرأة ان تتعلم ، ولا تتسلط على الرجل ، تكون في سكون دائم ، لأن آدم جبل أولاً ثم حواء .

الرجال قوامون على النساء :

نحن نرى أعداء الدين وأصحاب الأهواء قد انكروا على الإسلام قيام [3] الرجل على المرأة ، وراحوا ينفخون في أبواق الفتنة قد اتخذوا من الآيات الكريمة مادة للطعن بعدما فسروها على العكس ، وحسب ما يريدون ويفندون .

ان القرآن لا يعلم تأويله إلا الله ورسوله ولا يفهم معناه إلا الراسخون في العلم ، فتبصروا يا اولي الألباب .

قال تعالى : « **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا**

---

(١) بولس الرسول هو أحد تلامذة السيد المسيح عليه السلام ومن الحواريين .

(٢) طيطس هو أحد المخلصين الذين ساعدوا السيد المسيح على نشر الكتاب المقدس .

(٣) القيام : بمعنى المحافظة والاصلاح كما عن تاج العروس للزبيدي .

books.rafed.net

أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [1] .

إذا امعنا النظر نجد ان الإسلام ، حفظ للمرأة جميع حقوقها غير منقوصة وانها في ظل الإسلام ارتفع وضعها وجعلها شريكة للرجل في جميع مرافق الحياة وهي مساوية له ، لها انسانيتها وكرامتها كما أسلفنا .

لقد جعل الله سبحانه للرجل حق القيام باصلاح المرأة ليس تقليلاً من كرامتها ، واحتقاراً لها كما يدعي المغرضون ولم يبخسها حقا مقرراً في الحياة الاجتماعية . . . بل العكس .

لقد قيد الإسلام الرجل بواجبات النفقة والرعاية ، من توجيه وتعليم وإدارة ، وهو مسؤول عن كل خطأ أو تقصير .

ففي الحديث الشريف (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) وبما أن الرجل مسؤول عن أهل بيته ، فقد جعل الله له هذا الحق ، وهي الرعاية وحسن الإدارة ، والتوجيه الديني ، والتأديب الخلقي ، قال تعالى يمدح النبي إسماعيل عليه السلام : (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) [2] .

وقال تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ) [3] .

---

(١) سورة النساء . آية . ٣٤ .

ففي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) اي قيمون على النساء مسلطون عليهن في التدبير والتأديب والرياضة والتعليم ، وعن مجمع البحرين في اللغة للطريحي : علل هذه الآية بقوله لهم عليهن قيام الولاء والسياسة .

(٢) سورة مريم . آية . ٥٥ .

(٣) سورة طه . آية . ١٣٢ .

books.rafed.net

لقد فضل الله سبحانه الرجل على المرأة ، وجعل له القيمومة وقيده بهذه المسؤولية والتبعات ، وأمره ان يتحملها صاغراً وهو عنها مسؤول .

ولكن هل حفظ كرامتها ؟ . . هل رعاها بكل لطف وحنان ؟ . . هل قام بواجباته الدينية ، والخلقية تجاهها ؟ . . وأدى دور القيمومة التي خولها له الإسلام في دائرة النصح والإرشاد والتوجيه والإعالة ؟ .

كلا . . . لقد أخذ بعض الرجال الغرور والكبرياء والجهل فاتخذ من القيمومة أداة للتسلط على المرأة وإذلالها واضطهادها واذيتها . وكما قيل :

إذا كان ذنب المسلم اليوم جهله

فماذا على الإسلام من جهل مسلم

يقول الشيخ محمد عبده في كتابه المنار [1] :

« المراد بالقيام هنا هو الرئاسة التي يتصرف فيها المرؤوس بارادته واختياره وليس معناها أن يكون المرؤوس مقهوراً مسلوب الإرادة ، لا يعمل عملاً إلا ما يوجهه اليه رئيسه فإن كون الشخص قيما على آخر ، هو عبارة عن ارشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده اليه ، أي ملاحظته في أعماله وتربيته » .

فالرجل قوام على المرأة للمحافظة عليها وكفايتها كل ما تحتاج اليه من مأكل وملبس ، وجميع مصاريفها ، كل على حسب استطاعته وسعته ، وبحسب وضع المرأة الاجتماعي .

فالقوامون هم الرعاة ، ومن قام على أمر كان له حافظاً وراعياً .

---

(١) تفسير المنار . للشيخ محمد عبده . ج ٥ . ص . ٦٨ .

books.rafed.net

وهل قيام الرجل على اهل بيته إلا للمحافظة عليها من كل مكروه ، ورعايتها من كل اذية تصدر عن أهل السوء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول ، فالامام راع وهو مسؤول ، والرجل راعٍ على اهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول » .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء [1] : « ويحضرني الآن حديث لعمر بن الخطاب ، استجلي فيه ملامح الزوج الرسول وضاءة مشرقة ، وآراه صادق الدلالة على شخصية محمد الرجل الانسان .

قال عمرو (رض) « والله انا كنا في الجاهلية ما نعدّ للنساء امراً حتى انزل الله تعالى فيهن ما انزل ، وقسم لهن ما قسم » .

فبينما أنا في أمر ائتمره اذ قالت لي امرأتي : لو صنعت كذا . . . وكذا ؟ . . .

فقلت لها : وما لك انتِ ؟ ولما ها هنا ؟ وما تكلفك في أمرٍ اريده ؟

فقالت لي : عجباً يا ابن الخطاب ! ما تريد أن تراجع أنت . . . وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان . . . !

قال : فأخذت ردائي ، ثم انطلقت حتى ادخل على حفصة فقلت لها : يا بنية انك لتراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان ؟ .

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة الدكتورة بنت الشاطىء .

books.rafed.net

فقالت : « إنا والله لنراجعه » .

قال : « ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت لي :

« عجباً لك يا بن الخطاب ! . . . قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي ان تدخل بين رسول الله ﷺ . . . وازواجه ؟ ! » .

فأخذتني اخذاً كسرتني به عن بعض ما كنت أجد . . » .

كثير من الناس لا يزالون من قديم الزمان الى عصرنا الحاضر ، قد اعمتهم الانانية وحب الذات لا يعرفون من أمر هذه الدنيا سوى جلب المنفعة لأنفسهم وارضاء شهواتها ، ولو على حساب الضعفاء . وهم في كل أمة . . . وفي كل مكان .

فلو اسقطنا الوصاية . . . والوكالة عن الرجال والقيمومة على النساء ، لرأينا عجباً من الفوضى ، والاضطرابات الاجتماعية ، وارتكاب المنكرات .

ويجب على كل رجل ان يقوم بواجباته ، وبما القي عليه من التبعات ، كالانفاق على عياله ومعاشرتهم بالحسنى ، وتعليم أهل بيته أمور دينهم من الحلال ، ونهيهم عن الحرام ، لجعلهم من عباد الله الصالحين ، وابعادهم عن سبيل الشر ، وأهل السوء .

إذ لا نجاة من النار وغضب الجبار ، إلا باطاعة الله وتفهم الدين ، وتنفيذ احكامه . قال تعالى :

books.rafed.net

(يَـــا أَيُّهَـــا الَّـــذِينَ آمَنُـــوا قُـــوا أَنفُسَـــكُمْ وَأَهْلِـــيكُمْ نَـــارًا وَقُودُهَـــا النَّـــاسُ وَالْحِجَـــارَةُ عَلَيْهَـــا مَلَائِكَـــةٌ غِـــلَاظٌ شِـــدَادٌ لَّا يَعْصُـــونَ اللَّـــهَ مَـــا أَمَـــرَهُمْ وَيَفْعَلُـــونَ مَا يُؤْمَرُونَ [1]) .

نظام الاسرة في الاسلام :

ينبثـــق نظـــام الاســـرة في الاســـلام مـــن معـــين الفطـــرة ، واصـــل الخلقـــة ، وقاعـــدة التكـــوين الأولى للاحيـــاء جميعـــاً وللمخلوقـــات ، (وَمِـــن كُـــلِّ شَـــيْءٍ خَلَقْنَـــا زَوْجَـــيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [2] .

فالأســـرة هـــي نـــواة المجتمـــع الصـــالح ، الـــذي فرضـــته الشـــرائع الســـماوية ، لاستمرار الوجود ، وليكون الملجأ الوحيد لنظام الاسرة (بيت الزوجية) .

نـرى ان دسـتور الاسـرة هـو جانـب مـن التنظـيم للقاعـدة الـتي تقـوم عليهـا الجماعـة المسـلمة ، والمجتمـع الاسـلامي ، هـذه القاعـدة الـتي احاطهـا الاسـلام برعايتـه ، وبـذل الرسـول الاعظـم صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم في تنظيمهـا وحمايتهـا وتطهيرهـا مـن فوضـى الجاهلية ، وشوائب العادات والتقاليد جهداً كبيراً .

---

(١) سورة التحريم . آية . ٦ . .

(٢) سورة الذاريات . اية . ٤٩ .

books.rafed.net

ثم ان القرآن الكريم ، أخذ يبحث على الاستقرار ، واقامة البيوت لتركيز دعائم الاسرة . قال سبحانه وتعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [1] .

---

(١) سورة النساء . اية . ١ . .

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي . قيل ان المراد به بيان كمال قدرته قال الذي قدر على خلقكم من نفس واحدة ، فهو على عقابكم اقدر ، فيحق ، عليكم ان تتركوا مخالفته ، وتتقوا عقوبته ، وقوله (الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) المراد بالنفس هنا آدم عند جميع المفسرين (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) يعني حواء عليها السلام ، ذهب اكثر المفسرين الى انها خلقت من ضلع من اضلاع آدم ، (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا) أي نشر وفرق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالاً ونساء ، وانما من علينا تعالى بان خلقنا من نفس واحدة ، لأنه اقرب الى ان يعطف بعضاً على بعض ، ويرحم بعضنا بعضاً ، لرجوعنا جميعاً الى اصل واحد وذلك ابلغ في القدرة وادل على العلم والحكمة .

صفات الزوجة الصالحة :

من امعن فكره ونظر بنبراس عقله ، تحقق لديه ان معظم الشقاء والتعاسة والآلام التي تصادفها أكثرية الناس في حياتها صادرة عن جهل النساء اللواتي يفتقرن إلى المعرفة ، والآداب النفسية ، وحسن التدبير .

فكم من امرأة هدمت بيتها بسوء تدبيرها ، وقلة معرفتها ، وجهلها .

وما نفع ابي العائلة إذا جد وسعى ، ومهما انتج ، إذا كانت عنده امرأة تبدد أمواله ، وتفسد تربية أطفاله ، لعدم تعقلها ، وسوء تدبيرها .

فمن الواجب تعليم الفتيات المبادىء الصالحة ، وتزيين عقولهن بالحكمة ، وحملهن على حب الفضيلة .

ان الزوجة الصالحة ، هي التي تمتاز بدينها وأدبها ، وبافكارها الطاهرة الشريفة ، وبشعورها بالمسؤولية ، الملقاة على عاتقها وباخلاقها الكريمة ، الانيسة ، وبصبرها الجميل على تقلبات الدهر ونكبات الزمن ، وعريكتها الليّنة ، وعفتها النقية ، وسياستها الحكيمة .

ترى الزوجة الصالحة ، الرشيدة العاقلة ، مرتدية ثوب النظافة واللياقة ، تتمشى على حدود الاعتدال والاقتصاد على جميع متطلبات الحياة ، فتحمل زوجها ونفسها على العمل وترك الكسل ، وطرد التشاؤم .

والزوجة الصالحة ، هي التي تنهض في الصباح الباكر ، متسربلة بالقوة

books.rafed.net

والنشـــاط ، لترتيـــب أشـــغال النهـــار ، والقيـــام بمهـــام منزلهـــا ومســـؤولياتها ، فتكـــون ينبـــوع ســـعادة زوجهـــا ، وفخـــر أولادهـــا الـــذين يســـمعون أناشـــيد مـــدحها مـــن أبـــيهم وأقاربهم وجيرانهم فيهيمون طرباً ، ويزيدون من اكرامها وتعظيمها .

هـــذه هـــي الزوجـــة الـــتي ترفـــع شـــأن الإنســـانية الصـــحيحة وتعمـــل في دفـــع عجلـــة التقـــدم والرقـــي . وتقـــدم للبشـــرية اجـــل خدمـــة وأشـــرف عمـــلاً . فانهـــا بتربيتهـــا الصـــالحة المقرونـــة بالـــدين والإيمـــان ، تســـتطيع أن تـــؤثر علـــى المجتمـــع أكثـــر مـــن الخطـــب الرنانـــة والمحاضـــرات الضـــخمة والإنـــذار والتـــوبيخ . وبـــدون جهودهـــا الجبـــارة لا تفيـــد وســـائل التقـــدم والحضـــارة مـــا دام غشـــاء الجهـــل قـــد اعمـــى الكثـــيرين وخـــيم فـــوق رؤوسهم الغرور .

واجبات الزوجة . . . الصالحة :

إن واجـــب الزوجـــة نحـــو زوجهـــا فـــرض مقـــدس ، ســـنة مـــن قبـــل الخـــالق ســـبحانه وتعـــالى ، واهمـــال هـــذا الواجـــب وعـــدم القيـــام بـــه يعـــود علـــى المـــرأة بشـــقاء مســـتمر ، إذ أنهـــا فضـــلاً عـــن التقصـــير الـــديني تخســـر محبـــة زوجهـــا ، وإخلاصـــه لهـــا وثقتـــه بهـــا . ويا لعظم الخسارة . . .

يصـــرف الزوجـــات حياتهمـــا في نكـــد وخصـــام ، بخـــلاف مـــا إذا قامـــت الزوجـــة بواجباتهـــا الاجتماعيـــة والدينيـــة ، ومـــا يتطلبـــه مركزهـــا كربـــة بيـــت . . . وســـيدة اسرة .

فـــإذا أدت واجبهـــا بـــاخلاص وأمانـــة ، فـــإن الســـعادة تظللهـــا بأجنحتهـــا والبركـــة

books.rafed.net

والسلام ، والإيمان والإطمئنان يأويان منزلها ، وقد أطنب الناس بالزوجة الصالحة كما قيل :

نبغ الفتاة العاقلة الأمينة ذات الكمال العفة الرزينة

فكم من امرأة هدمت بيت الزوجية وعشها الهنيء بسوء تصرفها ، وعدم معرفتها الواجبات الزوجية المقدسة واستهتارها باوامر الدين .

تلك التي يسود في بيتها الخصام والشقاق . تفر السعادة من أمامها وتكون حياتها مع زوجها عبارة عن سلسلة متصلة حلقاتها بالمرارة والويلات ، مرتبطة اجزاؤها بالمصائب والتنهدات . . .

مع انه كان بوسعها لو تتقي هذا البلاء العظيم بقليل من الصبر والتعقل ، وتعمل ما يفرضه عليها الدين والأدب من الواجبات نحو زوجها وبيتها وأطفالها .

يجب ان تتأكد الزوجة بان سعادتها وسعادة زوجها موقوفة على محبتها ، وحقيقة ثقتها وإخلاصها له ، ومدى تفانيها في تحقيق جميع حاجاته ورغباته ضمن نطاق الشرع والدين .

كما يجب على الزوج ان يقوم بخدمة زوجته ، يفعل كل ما يسرها ويصلح شؤونها وكما قالت تلك الإعرابية لابنتها : « كوني له أمة . . . يكن لك عبداً » .

ولا تنسى الزوجة انه من الواجب عليها ان تعمل بقلب فرح إذا لم يكن احب إلى الرجل من الزوجة البشوش ، لأن البشاشة تنير وجهها وتكسبه رونقاً وجمالاً وان يكن غير جميل وكما قيل :

books.rafed.net

لـــــــيس الجمـــــــال بمئـــــــزر فـــــــاعلم وان رديـــــــت بـــــــردا

ان الجمـــــــال معـــــــادن ومناقـــــــب اورثـــــــن مجـــــــدا

ان الفتـــاة الجميلـــة المتكـــبرة الرعنـــاء ، المغـــرورة بجمالهـــا المتهاونـــة في دينهـــا وآدابهـــا الـــتي تصـــنع بعـــد زواجهـــا حنجـــرة كـــدرة ، ولســـاناً ســـليطاً ، لا يهمهـــا إلا نفسها وزينتها . . . فإن حياتها البيتية تكون جحيماً لا يطاق .

ولا تقـــدر هـــذه الزوجـــة المغـــرورة ان تواجـــه اللـــوم إلا علـــى نفســـها ، إذا أخـــذ زوجهـــا بـــالتبرم والتـــذمر . وأخـــذ يتغيـــب عـــن المنـــزل لأن مـــن طبـــع الرجـــل كراهـــة الوجه العبوس المنقلب والسحنة الشكسة .

ان اجمـــل حيـــاة يحياهـــا الإنســـان ، في منـــزل تـــديره زوجـــة مخلصـــة وفيـــة ذات دين وحياء وأدب . . .

زوجـــة تلاقـــي زوجهـــا بوجـــه طلـــق ومحيـــا بشـــوش يزيـــل عنـــه التعـــب ، وتهـــدي اليـــه مـــن مكـــارم أخلاقهـــا وعذوبـــة ألفاظهـــا لطفـــاً وحـــلاوة يأخـــذان منـــه بمجامع قلبه .

تنظـــر اليـــه بألحـــاظ العطـــف والفطنـــة والـــذكاء ، فتعـــيره نشـــاطاً جديـــداً ، وتســـهل أمامه طريق الخير لإجتياز مصاعب الحياة ومتاعب الزمن .

اجـــل زوجـــة صـــالحة مثاليـــة تشـــاطر زوجهـــا همومـــه واتعابـــه ، وقـــد ارتســـم علـــى جبينهـــا التعقـــل والحلـــم والرصـــانة وتزينـــت بالـــدين والفضـــل والعفـــاف وكـــريم الخلـــق هي أجمل ما يلقاه الإنسان في حياته :

وعن انس بن مالك عن النبي ﷺ ، قال :

« الا اخبركم بنسائكم في الجنة ؟ » قلنا بلى يا رسول الله قال :

books.rafed.net

« الا اخبركم بنسائكم في الجنة ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله قال : « كل ودود . . . . ولود . . إذا غضبت أو أسيىء اليها ، أو غضب زوجها لحقّ . . . قالت : هذه يدي في يدك لا اكتحل بغمض حتى ترضى . . » [1] .

وقد تغنى الشعراء بأوصاف المرأة الصالحة قال بعضهم :

وأول احساني اليكم تخيري

لما جدة الأعراق بادٍ عفافها

وقال بعضهم لبنيه : [2] .

« قد أحسنت اليكم صغاراً ، وكباراً ، وقبل ان تولدوا » . قالوا له : « وكيف أحسنت الينا قبل ان نولد ؟ » فأجاب : « اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها » .

وقيل ان فاطمة بنت الخرشب رمت نفسها من الهودج حين أسرت ، فماتت لساعتها وهي تقول : « المنية . . . ولا الدنية » . وقال احدهم :

لا أتزوج امرأة حتى انظر الى ولدي منها ، قيل له :

كيف ذلك ؟ قال : أنظر الى أبيها وأمها . فإنها تجر بأحدهما .

وأول خبث الماء خبث ترابه

وأول خبث القوم خبث المناكح

وفي الحديث الشريف عن الرسول الأعظم ﷺ قال :

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري جـ . ٤ .

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة .

books.rafed.net

« ثلاث من سعادة المرء ، ان تكون زوجته صالحة . . . واولاده ابراراً . . . وخلطاؤه صالحين » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ص) قال :

« خيركم . . . خيركم لأهله ، وأنا خيركم لاهلي » [1] .

وعن عائشة (رض) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من أكمل المؤمنين إيماناً ، احسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » [2] .

وعن انس بن مالك (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « من تزوج امرأة لعزها ، لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوج امرأة لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوج امرأة لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا ان يغض بصره ، ويحصن فرجه أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها . . . وبارك لها فيه » .

وفي رواية « ذات دين وايمان وورع . . . فأظفر بذات الدين تربت يداك » [3] .

عن عيون الأخبار أن رجلاً من بني أسد قال : ضلَّت إبل لي ، فخرجت في طلبهن ، فهبطت وادياً ، وإذا أنا بفتاة اعشى نور وجهها نور بصري ، فقالت لي : يا فتى ما لي أراك مدلّهاً ؟

فقلت : ضلّت إبل لي ، فأنا في طلبها ، فقالت : أفأدلك على من هي عنده ، وان شاء اعطاكها . . . قلت : نعم . ذلك ولكِ أفضلها . . .

---

(١) الترغيب والترهيب . للمنذري جـ . ٤ .

(٢) الترغيب والترهيب . للمنذري . جـ . ٤ .

(٣) « تربت يداك » كلمة معناها الحث ، والتحريض . . والترغيب . . . والمراد : هنا اظفر بذات الدين ، ولا تلتفت الى حطام الدنيا من مال وجاه وغيره .

books.rafed.net

قالت : الذي أعطاكهن أخذهن ، وإن شاء ردهن فسله من طريق اليقين ، لا من طريق الاختبار .

فأعجبني ما رأيت من جمالها ، وحسن كلامها ، فقلت : ألك بعل ؟ قالت : قد دعي فأجاب : فأعيد إلى ما خلق منه .

قلت : فما قولك في بعل ، تؤمن بوائقه ولا تذم خلائقه ؟ . . فرفعت رأسها ، وتنفست وقالت :

كنا كغصنين في أصل غداؤهما ... ماء الجداول في روضات جنات
فاجتثَّ خيرهما من جنب صاحبه ... دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمن ... إلا يضاجع انثى بعد مثواتي
وكنت عاهدته إن خانه زمن ... ألا أبوء ببعل طول محياتي
فلم نزل هكذا والوصل شيمتنا ... حتى توفى قريباً من سنياتي
فاقبض عنانك عمن ليس يردعه ... عن الوفاء خلاف بالتحيات

هذه قصة امرأة ذات وفاء وإيمان ، غرسه الاسلام في نفسها مع التقوى . . .

وأروع من هذه ما ذكر عن نهاية الأرب في فنون الأدب قال : « إن سليمان ابن عبد الملك ، خرج ومعه يزيد بن المهلب إلى بعض جبابين الشام ، وإذا بامرأة جالسة عند قبر تبكي .

فجاء سليمان ينظر إليها . . . فقال لها يزيد : . وقد عجب سليمان من حسنها . . .

يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين حاجة ؟ فنظرت إليهما . ثم نظرت إلى القبر وقالت :

books.rafed.net

فـــــان تســـــألاني عـــــن هـــــواي فإنـــــه

بحومـــــاء هـــــذا القـــــبر يـــــا فتيـــــان

وإني لأســـــــتحييه والـــــــترب بيننـــــــا

مـــــا كنـــــت أســـــتحييه حـــــين يـــــراني [1]

إلى أين المصير :

يشـــكو هـــذا البلـــد مـــن حـــب أبنائـــه للتقليـــد ، فمـــا أن تظهـــر (موضـــة) أو تطـــل علينـــا (تقليعـــة) جديـــدة مـــن الخـــارج ، حـــتى تتلقفهـــا بلادنـــا ونكـــون أول المستوردين .

وهكـــذا أصـــبحت بلادنـــا ذات الماضـــي العريـــق ، ســـوقاً رحبـــة لجميـــع الأزيـــاء (البيكني . . . والميني . . . والميكر و . . . الخ) .

وبتـــأثير هـــذه النزعـــة ،كـــان بلـــدنا أســـرع البلـــدان الشـــرقية إلى التخلـــي عـــن تقاليـــد الشـــرق المحـــافظ ، والأخـــذ بـــنمط الحيـــاة الحديثـــة ، مـــن لبـــاس كاشـــف . . . ورقـــص مـــزدوج . . . واســـتحمام مختـــلط ومـــا إليهـــا مـــن خلاعـــات جـــاء بهـــا المســـتعمر مـــن بـــلاده وتركها لنا فتمسكنا بها وكأنها ارث من تراثنا العظيم .

ورغـــم التـــأثير الســـيء ، والإنكـــار والاســـتنكار الـــذي تركـــه هـــذا التقليـــد في بـــادىء الأمـــر ، في أوســـاط الجيـــل القـــديم ، ورجـــال الـــدين ، ودعـــاة الإصـــلاح وهـــداة الفضـــيلة والعفـــاف . فقـــد انتهـــى الأمـــر أخـــيراً إلى التســـليم بـــأن هـــذه الأشـــياء ، هـــي

---

(١) نهاية الارب في فنون الادب . للنويري .

books.rafed.net

موجة عارمة من موجات العصر الحديث ، وتيار جارف من تيارات الحضارة والمدنية التي ينبغي أن نسايرها ، لأن الزمان . . . والعصر ، يفرض طابعه على الجميع .

وعلى مر الأيام والليالي ، طورت عقلية الأكثرية الساحقة من الناس ، فلم تعد ترى في هذه المظاهر ما كانت تراه في بادىء الأمر ، من شناعة أو قبح . . أو خلاعة أو فضائح ، بل أصبحت تجدها اموراً عادية ، لا تختلف عن أي أمر عادي من مؤلوفات الحياة .

إن قواعد الاخلاق والفضيلة ، لم تتجاهلها إلا المجتمعات المنحلة ، التي كان ابتعادها عن عمود الدين والاخلاق سبب انحلالها .

لنتساءل . . . هل نضرب نحن صفحاً عن جميع هذه الحقائق لننساق في غمرات النزوات ؟

وهل نتغاضى ونعمل ما تمليه عليه رغباتنا ؟ وما يزين الشيطان من سوء الاعمال ؟

ناهيك بمشاعر الشرف والغيرة لدى الانسان ، وهي المتصلة أوثق الاتصال بحسن الرجولة والكرامة .

فعندما يهون الشرف يهون العرض ، ويموت الإحساس بالرجولة والغيرة ، هناك الذلة والمهانة والعار .

فإلى متى هذا الاستهتار ؟ وما معنى الروايات الخلاعية المتزايدة الانتشار ؟ والصور الإباحية العارية . . . ألن تحتل غلافات الكتب والمجلات . . . ؟ . . . وما معنى الفضائح المخجلة التي نقف عليها كل يوم ؟ والحوادث التي تدل على انهيار خلقي مريع لدى الشبان والفتيات ؟

books.rafed.net

كل هذا في بلاد الإسلام يحصل باسم الحرية التي يتغنى بها الجيل الجديد ، الذي يدَّعي التمدن والتطور .

ولكن . . ويا للأسف إذا تأملنا ورجعنا إلى حكم العقل ، نراها معكوسة ، إذ هي القيد والتقهقر .

إنها ليست حرية بالمعنى الصحيح ، بل هي حرية الفوضى ، حرية الشعب السائر على هواه ، دون أي ضابط أو قيد . دون أي رادع أو مانع ، حرية اللصوصية . . . حرية القتل . . . والسرقة التي انتشرت واستمرت حتى لم تعد حوادثها فردية ، بل غدت ذات طابع عام ، وخصوصاً حرية الفجور والخلاعة والاستهتار التي باتت تهدد مجتمعنا . . . ووطننا الحبيب .

فإلى أين نحن سائرون . . . ومتى نعود إلى وعينا وإدراكنا . . . وقانا الله من الزلات . ورحم الله الشبيبي حيث يقول في قصيدته العصماء :

ألا ليت شعري ما ترى روح احمد
إذا طالعتنا من عالٍ أو أطلت
وأكبر ظني لو أتانا محمد
للاقى الذي لأقاه من أهل مكةِ
عدلنا عن النور الذي جاءنا به
كما عدلت عنه قريش فضلتِ
إذن لقضى : لا منهج الناس منهجي
ولا ملة القوم الأواخر ملتي
دعوت إلى التوحيد يجمع شملكم
ولم أدع للشمل البديد المشتت

books.rafed.net

وجئـــــــت رســـــــولاً للحيـــــــاة ولا أرى

بكـــــم غـــــير حـــــي في مـــــدارج ميـــــت

ويســـــرت شـــــرعاً مـــــا تعنَّـــــت نافعـــــاً

وســـــرعان مـــــا ملـــــتم بـــــه للتعنّـــــتِ

وحرمـــــت في الإســـــلام مـــــن بعـــــد حلهـــــا

مســـــاوىء عـــــادت بعـــــد حـــــين فحلـــــت [1]

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة الشيخ الشبيبي العصماء (روح الرسول) .

books.rafed.net

المرأة في بدء الدعوة الاسلامية

من الدستور الإلهي ، ومن التشريع الإسلامي ، ومن سنا الأنظمة الحكيمة ، والقوانين العادلة التي جاءت بها دعوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، تنسمت المرأة روح الحرية .

ما أروع هذا الكون في تنظيمه ، وأروع ما فيه هذا الناموس الإسلامي العظيم ، الذي جعل لكل فرد من عالم الأحياء القدرة على أن يبرز القوى المادية والمعنوية ، التي تستلزم بقاء الحياة ، فلا قيود . . . ولا ظلم ولا تعسف .

استيقظت المرأة من سباتها العميق ، فهبت تنفض عن وجهها غبار السنين ، تسابق الرجال في شتى الميادين ، وتسرع إلى التوحيد والإيمان مصدقة بكلمة الرحمان .

هو الإسلام الذي جعل النساء أخوات الرجال ، كما قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ . . .**) أكسب المرأة المسلمة صفات جديدة لا عهد لها بها في العصر الجاهلي ، فضلاً عن أنه أثار فيها عواطف التدين والإيمان ، والتطلع إلى حياة اخرى ، هي خير وأبقى .

أجل لقد استيقظت المرأة ، وانبعثت مواهب النساء وبرزت كفا آتهن التي كانت مطمورة ترزح تحت أثقال فادحة من قوانين المجتمع الخاطئة ، وتصعدات

books.rafed.net

العادات الجاهلية والتقاليد الوثنية .

لقد هبت المرأة من رقادها ، وأجابت دعوة الإسلام بقلب ملؤه التقوى ، ونفس فياضة بالإيمان .

إن المرأة ما زالت في كل عصر ومصر تبزّ الرجال بالإخلاص لعقيدتها ومبادئها ، والاندفاع في سبيل إيمانها ، لذلك نرى أن النساء العربيات ، في عهد الرسول الأعظم (ص) والخلفاء الراشدين وما بعدهم بقليل ، كن شريكات الرجال في وثبتهم الاجتماعية الدينية ، وجهادهم ضد المشركين .

ولا غرابة في هذا ، فإن اختلاف الغايات والحوافز التي تدعو إلى القتال لها الاثر الفعّال في تطوير المسائل .

فبينما كان الحافز في الجاهلية حب النصر والفخر أمام الملأ ، أصبح القتال في الإسلام ، هو المساهمة في نشر الدين ، وإدراك الأجر والثواب ، مما يضمن خير الدنيا والآخرة .

فأما النصر والفخر . . . وأما الجنة والنعيم الدائم . . . قال تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) [1] .

وما أن سطعت شمس الهداية ، وصدع محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة المقدسة داعياً ومبشراً ونذيراً ، حتى سارعت المرأة لتساهم بدورها في اعتناق الإسلام ونشره والتصديق برسوله والإيمان بمبادئه .

---

(١) سورة التوبة . آية ١١١ .

books.rafed.net

لقد تجلّت في بدء الدعوة الإسلامية ، البداوة في طلاقتها وما تحويه من ثقافة أدبية وعزة وإباء وأنفة وعفاف وكرم ومروءة وشجاعة ونجدة ووفاء للذمم . كل هذه المزايا الحميدة احتوتها أحضان شرع عظيم ، وقيادة رسول كريم ، يقيم الحدود ويعيِّن الواجبات والحقوق ويقوِّم العقائد والمبادىء بالعدل والإنصاف والحرية والمساواة .

وبما أن المرأة العربية كانت على جانب من المذلة والاحتقار كما أسلفنا ، فإنها كانت تحتفظ بمزايا فطرية بدوية محمودة ، على رغم تسلط الرجل عليها ، واستئثاره بكل النواحي الاجتماعية . فقد خلق الإسلام في أوساط النساء التقى والورع وحب الجهاد في سبيل الله ، والتفاني في نصرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان من دواعي نشاط المرأة المساهمة في أعباء الانقلاب الكبير الذي قام به الرسول العربي الكريم في الجزيرة العربية والعالم أجمع . قال الشاعر :

بدى من القفر نور للورى وهدى يا للتمدن عم الكون من بدوي

التفَّت النساء حول النبي (ص) وعطفن عليه ، فوجد منهنَّ المؤمنات الصادقات الشجاعات اللواتي استعذبن العذاب في سبيله وسبيل دعوة الإسلام .

ولا بأس من إيراد بعض مناقب المرأة الصالحة ومواقفها في بدء الدعوة الإسلامية ليكون خير دليل . . . وأحسن سبيل للإحاطة بما كان للإسلام من أثر فعّال عليها ، وعلى سير حياتها إذ نحن نتحدث عن المرأة في ظل الإسلام .

وأول امرأة أسلمت وأخلصت لعقيدتها ، وجاهدت وضحت بكل شجاعة وإخلاص هي أم المؤمنين السيدة خديجة رضوان الله عليها .

books.rafed.net

ام المؤمنين خديجة رضوان الله عليها :

خديجة ام المؤمنين زوجة الرسول الكريم ، تزوجها صلى الله عليه وآله وسلم وكان سنه خمساً وعشرين سنة . وخديجة يومئذٍ ابنة أربعين سنة ، وهي أول امرأة دخلت حياته ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

لقد أجمع أهل السير والتاريخ أن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي [1] كانت امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش تجاراً . فلما بلغها عن رسول الله (ص) صدق الحديث وعظم الأمانة ، وكرم الأخلاق ، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره مع غلامها ميسرة ، فأجابها .

خرج معه ميسرة حتى قدم الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب ، فاطلع الراهب رأسه إلى ميسرة ، فقال : من هذا ؟ ؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش ، فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي .

ثم باع رسول الله (ص) واشترى وعاد فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة ، يرى

---

(١) وعلى هذا فهي من أقرب النساء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه لم يتزوج من ذرية قصي غيرها سوى ام حبيبة وذلك بعد موت خديجة رضوان الله عليها . الكامل في التاريخ لابن الاثير .

books.rafed.net

ملكين يظللانه من الشمس وهو على بعير ، فلما قدم مكة ربحت خديجة ربحاً كثيراً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وما رأى من اظلال الملكين إياه .

كانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراد الله من كرامتها ، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرضت عليه نفسها ، وكانت من أوسط نساء قريش نسباً [1] وأكثرهن مالاً وشرفاً . وكل رجل من قومها كان حريصاً على الزواج منها لو يقدر عليه .

فلما أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبر أعمامه . وخرج ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب وغيرهما من عمومته ، حتى دخل على خويلد بن أسد ، فخطبها إليه .

فتزوجها فولدت له أولاده كلهم ما عدا ابراهيم .

قصة زواج الرسول (ص) من خديجة :

ذكر جميع أهل السير عن نفيسة بنت منية قالت : كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة ضابطة جلدة ، قوية ، شريفة مع ما أراد الله تعالى لها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً ، وأعظمهم شرفاً ، وأكثرهم مالاً ، وأحسنهم جمالاً وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة قد طلبها جل رجال قومها ، وذكروا لها الأموال ، فلم تقبل فأرسلتني دسيساً [2] إلى محمد صلى الله

---

(١) كان يقال لها : سيدة قريش . لأن الوسط في ذكر النسب . من أوصاف المدح والتفضيل : يقال : فلان أوسط القبيلة . أي أعرقها في نسبها .

(٢) دسيساً أي خفية .

books.rafed.net

عليه وآله وسلم . بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ . .

فقال : ما بيدي ما أتزوج به . . .

قلت : فإن كفيت ذلك . . . ودعيت إلى المال . . . والجمال . . . والشرف . . . والكفاية . . . ألا تجيب ؟

قال : فمن هي ؟ . . قلت : خديجة بنت خويلد . . .

قال : وكيف لي بذلك يا نفيسة ؟ ؟ وأنا يتيم قريش ، وهي أيم قريش ذات الجاه العظيم والثروة الواسعة .

فقالت نفيسة : قلت بلى وأنا أفعل ، فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه أن يحضر إليها . وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عمومته . وقد خطب عمه أبو طالب يومئذٍ خطبته المشهورة التي ذكرها أهل التاريخ وأصحاب السير .

خطبة أبو طالب يوم زواج الرسول (ص) :

قال أبو طالب :

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وضئضىء معد [1]

---

(١) الضئضىء . الأصل والمعدن .

books.rafed.net

وعنصر مضر [1] وجعلنا حضنة بيته المتكفلين بشأنه ، وسوّاس حرمه ، القائمين بخدمته . وجعله لنا بيتاً محجوباً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا أحكام أحكام الناس .

ثم ابن أخي هذا محمد بن عبد الله ، لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان في المال قلّ فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة .

وهو والله بعد هذا ، له نبأ عظيم ، وخطر جليل ، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة ، وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثني عشر اوقية ونشاً [2] .

وعند ذلك قال عمها عمرو بن أسد : (هو الفحل لا يقدع أنفه) .

وبعد أن انتهى أبو طالب من خطبته [3] تكلم ورقة بن نوفل . فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب

---

(١) العنصر . الاصل . يقال : إنه لكريم العنصر . أي . الحسب . والهمة . المنجد في اللغة .

(٢) قال المحب الطبري : النش عشرون درهماً . والاوقية أربعون درهماً . وكانت الاواني والنش من الذهب ، فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي . وقيل أصدقها عشرين بكرة .

(٣) إن البلاغة التي تجلت في خطبة أبي طالب وما ظهر فيها من عطف وحنان أبوي ، لهي أصدق برهان ودليل قاطع على تفانيه في حب الرسول (ص) ورعايته ونصرته في دعوته .

على أن أبا طالب لم يزل حتى توفي يدافع عن الرسول (ص) الدفاع المستميت ولم يدع أحداً يصل إليه بسوء طيلة حياته . وكما قيل في حقه وحق علي (ع) :

فهذا بمكة آوى وحامى وذاك بيثرب خاض الحماما

وحينما أرادت قريش قتله (ص) جاءت الى أبي طالب وقالت له : أنت سيدنا ورأيت من أمر

⇦

books.rafed.net

وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله ، لا ينكر العرب فضلكم . ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم فاشهدوا عليَّ معاشر قريش ، إني قد زوجت خديجة بنت خويلد ، من محمد بن عبد الله ، وذكر المهر . »

وأولم عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونحر جزوراً ، وقيل نحر جزورين ، وأطعم الناس وفرح أبو طالب فرحاً شديداً . وقال : « الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ، ودفع الغموم . » وهي أول وليمة يولمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الشاعر في ذلك :

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء

وأتاها أن الغمامة والسر ح أظلته منهما أفياء

وأحاديث أن وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء

⇨ ابن أخيك ما كان ، وهذا عمارة بن المغيرة أحسن فتى في قريش جمالاً ونسباً ونهادة وشعراً ، ندفعه اليك فيكون لك نصره وميراثه ، وتدفع الينا ابن اخيك نقتله ، فإن ذلك أجمع للعشيرة وأفضل في عواقب الامور . قال أبو طالب : والله ما انصفتموني ، تعطوني إبنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابن أخي تقتلونه ؟ ! ما هذا بالنصف ! لا كان ذلك أبداً .

وحينما فقده مرة ولم يجده (ص) أمر فتيان بني هاشم وقال لهم : ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ، حتى اذا ما وجدنا محمداً فليقتل كل واحد منكم واحداً من زعماء قريش ، وكانت قريش مجتمعة في الكعبة . ولما وجد محمد (ص) أخبر زعماء قريش عما كان أراد من قتلهم اذا لم يجد محمداً (ص) وحينما طلبت قريش أن يترك محمد (ص) الدعوة الى الاسلام ويسوّدونه عليهم أجاب عليه الصلاة والسلام : « يا عم والله لو وضعوا الشمس بيمني والقمر بيساري على أن أترك هذا الأمر لما تركته . » فأجابه عمه بقوله :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

وكل من يقول بعدم اسلام أبي طالب يكون قد افترى وأخطأ لأن دفاعه أكبر شاهد على اسلامه . . .

books.rafed.net

فدعته إلى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الأذكياء .

إن خديجة رضي الله عنها عندما رأت محمداً وما يتحلى به من الأمانة والتقى والورع والحياء والزهد والوفاء ، لم تتأخر بانتهاز الفرصة ، ودعوة محمد الى الزواج فعرضت نفسها عليه ، وهي ذات الشرف الظاهر ، والمال الوافر ، والخلق الكريم ، والحسب ، والنسب .

وذكر ابن هشام : « أن خديجة ام المؤمنين كانت قد تزوجت من أبي هالة بن زرارة التميمي . ومات أبو هالة في الجاهلية ، وقد ولدت له خديجة هندا الصحابي ، راوي حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد بدراً وقيل أحداً . وقد روى عنه الحسن بن علي فقال : حدثني خالي لأنه اخو فاطمة لامها . وكان هند هذا فصيحاً ، بليغاً ، وصّافاً . وكان يقول : أنا أكرم الناس أباً . واماً وأخاً واختاً . أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

وأخي القاسم ، وأختي فاطمة ، وأمي خديجة . رضي الله عنهم جميعاً .

وقتل هنداً هذا مع علي رضي الله عنه يوم الجمل [2] .

---

(١) إشارة إلى أن الرسول الكريم بمثابة أبيه ، فهو عمه زوج امه خديجة رضي الله عنها . . .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام . ج . ١ ص . ١٩٨ .

books.rafed.net

نبذة من حياة السيدة خديجة مع الرسول الأعظم (ص)

لنلقي نظرة سريعة على حياة السيدة خديجة رضي الله عنها ، بعد زواجها من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم نرى ما لاقته من ظلم قريش وقطعيتها ، لأنها وقفت من محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلك الوقفة الجبارة التي سجلها التاريخ على صفحاته .

لقد كانت رضوان الله عليها أكبر مساعد للرسول (ص) وأعظم عون على نشر دعوته ، حتى قال عليه وآله الصلاة والسلام : « قام الدين بسيف علي ومال خديجة » لأنها صرفت مالها الكثير في سبيل نصرة الإسلام .

لقد كانت خديجة رضي الله عنها ، في العز والجاه والثروة ، وهي سيدة قريش .كما أسلفنا . ولكن بعد زواجها من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، انفضوا من حولها ، ورجعوا باللائمة عليها وأخيراً تنكر لها الجميع كأنها أتت شيئاً نكراً .

ولما بُعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به عن ربه ، وآزره على أمره ، فكان عليه وآله الصلاة والسلام ، لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه . من ردٍ عليه أو تكذيب له أو استهزاء به . إلا فرج الله عنه بخديجة ، التي كانت تثبته على دعوته ، وتخفف عنه وتهون عليه ما يلقى من قومه من المعارضة والأذى [1] .

---

(١) طبقات أبن سعد الكبرى .

books.rafed.net

نزول الوحي . ومبعث الرسول :

استقرت الحياة هادئة ناعمة ، فقد لاقى محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بيت الزوجية العطف والحنان ، الذي افتقده منذ طفولته ، وهذه خديجة الزوجة الوفية ، قد أضفت على البيت الراحة والاستقرار والأمان ، وولدت البنات والصبيان .

نعمت أسرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، سنوات بحياة هادئة ، وادعة ، بالألفة والمودة ، يرشف الزوجان على مهل ، رحيق ودٍ عميق ، وحلاوة سعادة صافية .

لقد كان في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ميل إلى التفكير والاستغراق ، ونزوع إلى الخلاء والتأمل منذ صباه ، فكان يذهب إلى غار حراء ، [1] يقضي فيه الساعات ، بل يتعداها إلى الليالي يمارس هناك ، بعيداً عن الناس ما طاب له من التعبد والتهجد وما يسمونه الآن في العصر الحاضر : (الرياضة الروحية) .

وهنا تتجلى شخصية السيدة خديجة ، وما كان لها من تأثير بالغ على حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فنراها في وقارها ، وجلال سنها ونضوجها ، لا تتأفف أو تضيق بهذه الخلوات ، التي كانت تبعد عنها زوجها الحبيب ، وعن

---

(١) غار حراء ، هو كهف في جبل حراء بجوار مكة المكرمة .كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعبد فيه .

books.rafed.net

أولادها ، وبيتها ، وما خطر لها أن تعاتبه ، أو تتذمر من هجره لها الليالي الطوال ، وما حاولت رضي الله عنها ، أن تعكر عليه صفاءه كما نعهد ، من فضول النساء ، التي تستأثر بالرجل وتغار عليه .

ولكن السيدة خديجة رضوان الله عليها ، كانت على عكس ذلك ، فقد حاولت ما وسعها الجهد ، أن توفر له الهدوء والاستقرار ، وأحاطته بالرعاية التامة ، مدة إقامته في البيت ، وعندما يذهب إلى غار حراء ، كانت ترسل من يحرسه ويرعاه ولا يعكر عليه صفو خلوته .

وهناك في غار حراء ، « بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته ، بعد أن استكمل أربعين سنة وذلك بعد بنيان الكعبة بخمس سنين » . [1]

وكان مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم ، في شهر ربيع الأول . وقيل في السابع والعشرين من شهر رجب ، وقيل في رمضان . وأشار لذلك قول الشاعر :

وأتت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان

« وكان جبريل يظهر له ، فيكلمه ، وربما ناداه من السماء ، ومن الشجرة ، ومن الجبل ، فيذعر من ذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم » [2] .

عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل [3] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي ، سمعت نداءً ، فقالت : ما يفعل بك الله إلا خيراً ، فوالله

---

(١) مروج الذهب . للمسعودي .

(٢) تاريخ اليعقوبي .

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن . للطبرسي .

books.rafed.net

إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم ، وتصدق الحديث . قالت خديجة : فانطلقنا إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وهو ابن عم خديجة فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال له ورقة إذا أتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني فأخبرني ، فلما خلا ناداه يا محمد ، قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قل لا إله إلا الله ، فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له : أبشر ثم أبشر ، فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى وأنك نبي مرسل ، وأنك سوف تؤمر بالجهاد ، بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدنَّ معك ، فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ لقد رأيت القس في الجنة ، عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني . يعني ورقة . وروي أن ورقة قال في ذلك :

فإن يك حقاً يا خديجة فاعلمي
حديثك إيانا فأحمد مرسل

وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزاً لدينه ... ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منه فرقة في جنانه ... واخرى بأغلال الجحيم تغلغل

عن عائشة أم المؤمنين انها قالت : [1] أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي ، الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ، وهو التعبد ، الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى

---

(١) الميزان في تفسير القرآن . للطباطبائي .

books.rafed.net

خديجة ، فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال ما أنا بقارىء . قال فأخذني فغطني [1] حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني .

فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) . [2] .

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني . زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الرعب فقال لخديجة : وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة : كلا ما يخزيك الله ابداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق !

وفي سيرة ابن هشام عن النبي (ص) قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر اليه . ما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفاً ما أتقدم

---

(١) وفي سيرة ابن هشام (فغتني) والفت . حبس النفس . وفي السيرة الحلبية يقول : فغتني حتى حسبت أنه الموت ، إشارة أن (ص) يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرح بعد ذلك . فكانت الاولى ادخال قريش له (ص) في الشعب مع أهله . والتضييق عليه . والثانية اتفاقهم على قتله صلى الله عليه وآله وسلم والثالثة . خروجه من أحب البلاد اليه ، مسقط رأسه مكة . المكرمة . وبعده عن الكعبة المقدسة .

(٢) سورة العلق . آية . ١ . ٢ . ٣ . ٤ . .

أمـــامي ، ولا أرجـــع ورائـــي ، حـــتى بعثـــت خديجـــة رســـلها في طلـــبي ، فبلغـــوا أعلـــى مكة ، ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني .

وانصـــرفت راجعـــاً إلى أهلـــي ، حـــتى أتيـــت خديجـــة ، فجلســـت إليهـــا مضـــيفاً [1] . فقالـــت يـــا أبـــا القاســـم : أيـــن كنـــت ! فـــوالله لقـــد بعثـــت رســـلي في طلبـــك حـــتى بلغـــوا مكـــة ، ورجعـــوا إلي فحـــدثتها بالـــذي رأيـــت ، فقالـــت أبشـــر ، واثبـــت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة . [2]

وآمنـــت خديجـــة ، وصـــدقت بمـــا جـــاءه مـــن الله عـــز وجـــل ، وآزرتـــه علـــى أمـــره فكانت أول من آمن بالله ورسوله .

أجـل لقـد كانـت سـاعده الأقـوى ، مشـجعة إيـاه علـى القيـام بأعبـاء النبـوة العظيمـة ، فخفـــف الله بـــذلك عـــن نبيـــه صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم ، فكـــان لا يســـمع شـــيئاً يكرهـــه مـــن المشـــركين ، مـــن ردٍ عليـــه وتكـــذيب لـــه ، فيحزنـــه ذلـــك إلا فـــرج الله عنـــه بها ، إذا رجع إليها وجدها العطوف الحنون .

---

(١) مضـــيفاً معنـــاه ملتصـــقاً : يقـــال اضـــفت الى الرجـــل ، اذا ملـــت نحـــوه ولصـــقت بـــه . ومنـــه سمي الضيف ضيفاً .

(٢) طبقـــات ابـــن ســـعد الكـــبرى . الكامـــل في التـــاريخ لابـــن الأثـــير والســـيرة النبويـــة لابـــن هشام . أعلام النساء . عمر رضا كحالة .

books.rafed.net

صلاة النبي (ص) وخديجة وعلي (ع)

إن الصلاة حين افترضت على الرسول (ص) أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله بصلاته . ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور ، كما أراه جبريل . فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها الرسول كما صلى به جبريل فصلت بصلاته .

ومكث رسول الله (ص) وخديجة ، وعلي بن ابي طالب (ع) يقيمون الصلاة سراً ما شاء الله . ثم أخذوا بالذهاب الى الكعبة غير مبالين باستهزاء قريش وسخريتهم ، والأذى الذي كانوا يلاقونه .

وأقام الرسول أول فرض
فاقتدت فيه أحسن الاقتداء
وهي كانت لكل ما يتجلى
من رسول الهدى من الرقباء
فترى بالعيان ما لا تراه
من عظيم الآيات مقلة راء [1]

وفي رواية عن عفيف الكندي ، قال [2] :

---

(١) ملحمة أهل البيت للشيخ عبد المنعم الفرطوسي .

(٢) السيرة الحلبية جـ . ١ . ص . ٢٩٦ واعلام النساء عمر رضا كحاله .

books.rafed.net

« جئت في الجاهلية الى مكة ، وأنا أريد ان ابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب .

قال : فأنا عنده ، وأنا أنظر الى الكعبة وقد حلّقت الشمس فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة ، فرفع رأسه الى السماء ، فنظر ملياً ، ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها وما هي إلا ان جاء غلام حتى قام عن يمينه ثم لم يلبث إلا يسيراً ، حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما . ثم ركع الشاب فركع الغلام ، وركعت المرأة ، ثم رفع الشاب رأسه ، ورفع الغلام رأسه ، ورفعت المرأة رأسها ثم خرَّ الشاب ساجداً ، وخر الغلام ساجداً ، وخرت المرأة ساجدة .

قال : فقلت : يا عباس اني أرى امراً عظيماً فقال العباس أمر عظيم ! ! هل تدري من هذا الشاب ؟ قلت : لا ما أدري قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن اخي . . . هل تدري من هذه ؟ قلت : لا أدري . قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا . ان ابن أخي هذا الذي ترى حدثنا أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه والله ما علمت على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة » انتهى .

وإذا حلَّت الهداية قلباً نشطت في العبادة الأعضاء

لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم . جعل يدعو الناس سراً ، واتبعه ناس جلهم من الضعفاء ، من الرجال والنساء والى هذا المعنى يشير الحديث الشريف بقوله : (ان هذا الدين بدأ غريباً . وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) .

ولا يخفى ان أهل التاريخ وعلماء السير قد اجمعوا على أن أول الناس إيماناً

books.rafed.net

بالنبي عليه الصلاة والسلام خديجة رضي الله عنها . ثم علي بن ابي طالب (ع) .

ففي المرفوع عن سلمان ان النبي قال : أول هذه الأمة وروداً على الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب . ولما زوجه فاطمة قال لها : زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة . وانه لاول اصحابي إسلاماً . . . وأكثرهم علماً . . . وأعظمهم حلماً [1] .

لقد كانت خديجة (رض) مثال الإخلاص والوفاء ، فلم تبال عندما تنكرت لها قريش ، ولم تكترث لجفاء نساء مكة لها ، وهي السيدة الجليلة ذات المقام الرفيع كما قيل :

وجفتها نساء مكة لما ... زوجت فيه في أشد الجفاء

وهي لا تنثني عن الحق صبراً ... ودفاعاً عن خاتم الأنبياء

وقفت خديجة بجانب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، تؤازره وتواسيه ، تتحمل المشاق ، وتستسيغ الهوان في سبيل الإسلام ، صابرة على شظف العيش وعلى الحصار والحرمان .

---

(١) ينابيع المودة . القندوزي الحنفي .

books.rafed.net

حصار قريش للمسلمين

لما رأت قريش الاسلام يتسع ويزيد ، واموال خديجة بين يدي محمد (ص) يتصرف بها كيف يشاء في سبيل الاسلام ويشتري الارقاء من الذين اسلموا ، ووقعوا تحت التعذيب في ايدي قريش ويحررهم ، وهم المستضعفون .

اجتمع كفار قريش على قتل محمد وقالوا : قد أفسد علينا ابناءنا ونساءنا الذين اتبعوه ، وقالوا لقومه خذوا منّا دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحون انفسكم . فأبى قومه ، فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم والتضييق عليهم بمنعهم حضور الاسواق فلا يبيعوهم . ولا يبتاعوا منهم شيئاً . ولا يقبلوا لهم صلحاً ، ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموا محمداً (ص) . للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها بالكعبة .

فدخل بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب إلا ابو لهب فانه ضاهر عليهم قريشاً [1] .

---

(١) ان ابا لهب ضاهر قريشاً على المسلمين ، روى انه لقى هنداً بنت عتبة بن ربيعة فقال لها : يا بنت عتبة هل نصرت اللات العزى ؟ وفارقت من فارقها ، وضاهر عليهما ؟ قالت نعم : فجزاك الله خيراً يا ابا عتبة .

وفي رواية ، . . كان يقول : يعدني محمد اشياء لا اراها ، يزعم انها كائنة بعد الموت . فما وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه ويقول : تبا لكما . ما ارى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فانزل الله تعالى فيه (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . .) الآية . ودخل بنو هاشم وبنو المطلب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت مدة اقامته بالشعب ثلاث سنوات . والله العالم .

books.rafed.net

وكـــان كاتـــب الصـــحيفة ، منصـــور بـــن عكرمـــة ، فـــدعى عليـــه رســـول الله ﷺ فشلت أصابعه . وكانت الصحيفة عند أم الجلاس الحنظلية خالة أبي جهل .

وروي ان بـــني هاشـــم . وبـــني المطلـــب لاقـــوا شـــتى المصـــاعب وهـــم محاصـــرون في الشـــعب ، فقـــد جهـــدوا حـــتى كـــانوا يـــأكلون الخـــبط (ورق الشـــجر) وكـــانوا إذا قـــدمت العـــير مكـــة ، يـــأتي أحـــدهم الســـوق ليشـــتري شـــيئاً مـــن الطعـــام يقتاتـــه ، فيقـــوم أبو لهب فيقول :

يـــا معشـــر التجـــار غـــالوا محمـــداً . . . وأصـــحاب محمـــد . . . حـــتى لا يـــدركوا شـــيئاً معكـــم ، فقـــد علمـــتم مـــالي ووفـــاء ذمـــتي . فيزيـــدون علـــيهم في الســـلعة قيمتهـــا أضـــعافاً حـــتى يرجـــع المســـلم إلى أطفالـــه وهـــم يتضـــاغون مـــن الجـــوع ، ولـــيس في يـــده شـــيء يعللهم به .

وبقـــي المســـلمون في شـــعب أبي طالـــب ثـــلاث ســـنوات متتاليـــة حـــتى جهـــد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً .

وان ثبـــاتهم علـــى هـــذه الشـــدة جعـــل لهـــم المقـــام الرفيـــع في الآخـــرة وملكهـــم الأرض في الدنيا ، فكانوا ساداتها . وكما قيل :

وجـــزاهم في جنـــة الخلـــد فيمـــا صـــبروا وهـــي منـــه خـــير جـــزاء

books.rafed.net

قصة حكيم بن حزام مع ابي جهل

ذكر المؤرخون ان أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله ﷺ محاصرة معه في شعب أبي طالب تعاني مع المسلمين الجوع . . . والحرمان . . . والحبس . . . والاضطهاد فتعلق به أبو جهل وقال : اتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟

والله لا تبرح أنت وطعامك حتى افضحك بمكة . . .

فجاءه أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد فقال : ما لك . . . وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم !

فقال له أبو البختري : طعام كان لعمته عنده ، بعثت إليه فيه افتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ ! خل سبيل الرجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه . . . فأخذ له أبو البختري لحى بعير فضربه به فشجه ، ووطئه وطئاً شديداً . وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ . وأصحابه ، فيشمتون بهم . . .

ورسول الله على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً . . مبادياً بأمر الله لا يتقي فيه أحداً من الناس .

books.rafed.net

ثم قـــــام النـــــبي يـــــدعو إلى الله وفي الكفـــــــر شـــــــدة وابـــــــاء

امـــــا شـــــربت في قلـــــوبهم الكفـــــر فـــــداء ضـــــلال فـــــيهم عيـــــاء

شخصية أم المؤمنين خديجة :

ستظل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها رمزاً حياً في سجل المرأة المسلمة الصالحة . وستبقى على مر العصور القدوة الحسنة التي يجب على كل امرأة أن تتبع خطاها .

لقد وقفت السيدة خديجة (رض) حياتها للعطاء الكامل . الذي وهبته للرسول الكريم ، بكل ايمان . وخطت بعقيدتها الثابتة طريق الصواب ، لبنات جنسها ، في وقت كانت البشرية لا تعي حقيقة وجود المرأة ، وقبل أن يتفتح العقل الإنساني ، ويتفهم معنى السعادة الحقيقة .

صحيح ان هناك أناساً يقيسون السعادة واللذة بمقدار ما يغرقون بها من متع جنسية . . . أو بقدر ما يلتهمون من أطعمة شهية . . . أو بضخامة ما يمتلكون من ثروة مالية . . الخ . . غير ان الواقع لا يؤيد ذلك أبداً . . .

ان اللذة والسعادة لا تعني المتعة الحسية المادية فقط . بل هي الشعور الذاتي بالرضا . . . والإسترضاء وهي كل ما يدخل الاطمئنان إلى قلب الإنسان .

ومما لا ريب فيه أن السعادة الحقيقة يفوز بلذتها كل من يتمسك بايمانه وعقيدته ومبادىء الأخلاق الفاضلة .

ان السعادة لمن يفضل الإخلاص على الخيانة . . . وهي لمن يؤثر الضنك

books.rafed.net

والدخل المحدود ، على الكسب الحرام والربا والاحتكار . وهي لمن يجد اللذة في تحمل المشاق والمتاعب للمحافظة على دينه وعرضه وشرفه .

وهذه سيدتنا خديجة أم المؤمنين (رض) لقد اكتنفت السعادة حياتها على رغم المصاعب والعقبات التي لاقتها . فكانت تذللها بقلب مطمئن بالايمان ، حتى سجلها التاريخ باحرف من نور ، بعد أن لامس الاسلام قلبها وهداها الباري إلى طريق السعادة الأبدية .

وفاة خديجة أم المؤمنين (رض) :

دخل رسول الله ﷺ على خديجة ، وهي تجود بنفسها ، فوقف ينظر اليها ، والألم يعصر قلبه الشريف ثم قال لها : . بالكره مني ما أرى . .

ولما توفيت خديجة (رض) جعلت فاطمة ابنتها تتعلق بابيها الرسول (ص) وهي تبكي وتقول : أين امي . . . ؟ أين امي . . ؟ فنزل جبريل فقال للرسول ﷺ : قل لفاطمة ان الله بنى لامك بيتاً في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب .

وبعد خروج بني هاشم من الشعب بثمانية أعوام ، ماتت خديجة (رض) وكانت وفاتها ووفاة أبو طالب في عام واحد فحزن النبي (ص) عليهما حزناً عظيماً .

وقد سمى النبي ذلك العام . عام الأحزان . وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .

books.rafed.net

عظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بفقد عمه الكفيل أبي طالب (رض) وزوجته الوفية المخلصة المساعدة . وقال عليه الصلاة والسلام ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

ودفنت خديجة رضوان الله عليها بالحجون ، ونزل ﷺ في حفرتها . وكان لها من العمر خمس وستون سنة .

لزم الرسول صلوات الله عليه بيته حزناً عليها ، وكانت مدة إقامتها معه خمساً وعشرين سنة قضتها في كفاح وجهاد مستمر .

وفي ختام المطاف لا باس من ذكر قول الرسول الأعظم في حقها ، دلالة على عظمتها : قال عليه الصلاة والسلام :

« كمل من الرجال كثير . وكمل من النساء أربع . آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد بن عبد الله ﷺ » .

books.rafed.net

عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم

هبت قريش عندما صرح النبي محمد (ص) بالرسالة ، وراح فراعنتها يتفننون في تعذيب الذين اسلموا وآمنوا ، باشد أنواع العذاب .

لقد تجاوز طغاة قريش الحدود في الظلم والاستبداد خصوصاً على المستضعفين الذين سبقوا إلى الإسلام ، ولا عشائر لهم تمنعهم ، ولا قوة ترد عنهم ظلم المعتدين من رؤساء قريش المشركين .

وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين الضعفاء ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر .

كانوا يخرجونهم إذا حميت الظهيرة ، ويطرحونهم على الرمال ، ويأتون بالصخر يضعونه على صدورهم ، ويعذبونهم باشد العذاب . فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يزداد تصلباً وإيماناً بالإسلام ونبيه .

كانت المرأة في طليعة المؤمنين الصادقين ، ومن السابقين للإسلام الذين قال الله سبحانه وتعالى في حقهم : (**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي**

books.rafed.net

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [1] .

وقد كانت المرأة في طليعة المؤمنين ومن الذين استعذبوا العذاب في سبيل العقيدة الإسلامية ولنا في قصة سمية أم عمار بن ياسر أكبر دليل على ما نقول .

سمية أم عمار بن ياسر :

هي بنت خباط ،كانت امة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، فزوجه سمية . فولدت له عماراً فاعتقه .

هذه المرأة التي سجلها التاريخ ، وسجل لها جهادها وشجاعتها وثباتها على عقيدتها ، لقد صبرت سمية على العذاب والهوان ، وظلت متمسكة بعقيدتها وإيمانها حتى أصبحت في مصاف المجاهدين الذين قال الله تعالى فيهم : (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ) [2] .

وذكر ابن هشام في سيرته : كانت سمية سابع سبعة في الإسلام ، وكانت ممن يعذب في الله عز وجل أشد العذاب ، وهي أول شهيدة في الإسلام ، قال مجاهد :

---

(١) سورة التوبة . آية . ١٠٠ . .

وقد ذكر صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن ما نصه : وفي هذه الآية ، دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقة في نصرة الدين . فمنهما مفارقة العشائر والأقربين . ومنها مباينة المالوف من الدين . ومنها نصرة الإسلام مع قلة العدد وكثرة العدو . ومنها السبق الى الإيمان والدعاء اليه .

(٢) سورة الحج . آية : ٣٥ .

books.rafed.net

أول من أظهر الإسلام بمكة . ما عدا بني هاشم . سبعة أشخاص ، أبو بكر . وبلال . وخباب . وصهيب . وياسر . وعمار وسمية .

فأما أبو بكر منعه قومه وعشيرته ، وأما الآخرون فألبسوا أدراع الحديد ، ثم صهروا في الشمس .

وفي رواية ابن عبد البر : أن عماراً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله بلغ منّا . أو بلغ منها العذاب (أي سمية) كل مبلغ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صبراً أبا اليقظان ، اللّهم لا تعذب أحداً من آل ياسر بالنار . . .

ثم مرَّ أبو جهل يوماً بسمية وهي في العذاب ، فأغلظت له القول ، فطعنها بحربة في قلبها فماتت . وذلك قبل الهجرة .

وروي أنه لما قتل أبو جهل يوم بدر قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لعمار : (قتل الله قاتل أمك) .

كانت سمية أم عمار رضي الله عنها ذات إيمان قوي بالله ، أسلمت وحسن إسلامها . فكانت من السابقين الذين موعدهم الجنة .

تحملت العذاب وصبرت على الأذى صبر الكريم ، فلم تصبأ ، او تهن عزيمتها ، او يضعف إيمانها الذي رفعها الى مستوى الأبطال الخالدين .

وهناك سيدة أخرى هي « زنيرة » التي أصيب بصرها وهي في العذاب ، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات . . . والعزى . فقالت : كذبوا وبيت الله ، ما تضر اللات . . . والعزى وما تنفعان . ولكن هذا أمر من السماء ، وربي قادر على رد بصري . . . فأصبحت من الغد وقد ردَّ الله تعالى بصرها .

books.rafed.net

ونحن عندما نذكر بعض اللواتي تحملن الأذى من سادات قريش وجبابرتها ، وصبرن على العذاب لا ننسى النهدية . . . وابنتها ، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار . فكانت تعذبهما وتقول : والله لا أدعكما إلا أن تكفرا بمحمد .

وام عبيس : وهي أمة لبني زهرة . فكان الأسود ابن عبد يغوث يعذبها [1] وغيرهن كثيرات . مما يضيق المجال عن الإحاطة بهن .

موقف المرأة المسلمة في بدء الدعوة :

الواقع أن الانقلاب الذي أحدثه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإبلاغ التعاليم السماوية والنظم الإسلامية لبني البشر ، والانتقال فجأة من طور . . . إلى طور . . كان شبه المستحيل .

ورغم أن التقاليد التي صاغتها العصور والعادات التي فرضتها الأجيال ، والتي يتوارثها الأبناء عن الآباء ، لا يمكن أن تزول دفعة واحدة ، ولا تندثر أو تتبدل إلا بمدة طويلة من الزمن .

لكن التعاليم الإسلامية الجديدة ، قلبت نظام المجتمع العربي ، وأسرعت إلى قلوب المسلمين ، واحتلت الصدارة في نفوس المؤمنين . فإذا بأولئك الرجال الذين كانوا بالأمس القريب ، يعتبرون المرأة مخلوقاً وضيعاً لا تصلح إلا للخدمة أو للمتعة . نجدهم ينقلبون فجأة وبسرعة مدهشة ، إلى اعتبار النساء وإكرامهن حسب التعاليم النبوية وتوجيه الرسول الكريم .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ . ص ٣٤٠ . والكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٢ . ص ٤٦ .

books.rafed.net

وكـــذلك نجـــدهم يعـــاملوهن بـــالمودة والرحمـــة أســـوة بـــالنبي العظـــيم الـــذي كـــان يعامـــل المملوكة الرقيقة المؤمنة ، معاملة الحرة الرفيقة الكريمة .

ونـــتج عـــن هـــذا التبـــدل . التطـــور . ان المـــرأة شـــعرت بمنزلتهـــا ، وحفـــظ كرامتهـــا فقمن النسوة بواجباتهن منتعشات الأرواح نشيطات الأجسام .

والفـــين في امتثـــال الرجـــال لأوامـــر الـــدين ونواهيـــه طريقـــاً واســـعاً للانطـــلاق مـــن مجال القول الى مجال العمل .

نـــرى بـــذور الخـــير ، وقفـــزات واســـعة ، ونشـــاطاً ظـــاهراً للمـــرأة المســـلمة ، الـــتي وقفت جنباً إلى جنب تشارك الرجل في جميع المراحل . . . والميادين .

فقـــد ابتليـــت بمـــا ابتلـــى بـــه المســـلمون مـــن التعـــذيب والاضـــطهاد والأذى مـــن قـــريش وطواغيتها .

أجـــل لقـــد جاهـــدت وضـــحت بكـــل غـــالٍ ورخـــيص في ســـبيل عقيـــدتها ثابتـــة على إيمانها .

هاجرت إلى الحبشة فراراً بدينها مع من هاجر من المسلمين .

نعـــم هـــاجرت المـــرأة الهجـــرتين . وصـــلت إلى القبلتـــين ، وثبتـــت علـــى إيمانهـــا حـــين دعا داعي الحق .

books.rafed.net

إشارة الرسول الأعظم (ص) على اصحابه بالهجرة :

لما كثر المسلمون وظهر الإيمان ، ثار ناس كثيرون من كفار قريش على من آمن من قبائلهم ، فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم ، فقال لهم رسول الله (ص) تفرقوا في الأرض .

قالوا : أين نذهب يا رسول الله ؟

قال : ها هنا وأشار إلى أرض الحبشة ، وكانت أحب الارض إليه . فهاجر ناس ذوو عدد من المسلمين ، منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه . فخرجوا متسللين سراً وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، حتى انتهوا الى الشعيبة ، منهم الراكب والماشي .

ووفق الله للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار ، حملوهم الى ارض الحبشة بنصف دينار . وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة للنبوة .

وخرجت قريش في آثارهم ، حتى جاؤوا البحر حيث ركب المسلمون فلم يدركوا منهم أحداً [1] .

ويقول ابن الأثير في تاريخه : « وكان عليهم عثمان بن مظعون فهو رئيس المهاجرين في الهجرة الاولى ، ليشرف على شؤونهم ويراقب أعمالهم ، كي لا تتفرق كلمتهم ، ومن هنا نعلم أن المسلمين يجب أن لا يخرجوا عن النظام الإسلامي الذي

---

(١) طبقات ابن سعد الكبرى . مجلد . ١ . ٢ . صفحة ١٣٦ .

books.rafed.net

وضعه لهم النبي صلى الله عليه وسلم وأن يكون لهم قائد يدير أمورهم ، وإن كانوا قليلين ، وإنَّ ترك المسلمين القيادة وانصراف كل حسب رأيه ، وميله ، وهواه ، لجعلهم كالغنم الشاردة فصاروا طعمة للمستعمرين » .

ولو أنهم اتبعوا دينهم العظيم ، وجعلوا لهم من وسطهم غيوراً على مصالحهم يكافح عنهم ، حسب التعاليم الإسلامية (لا تأخذه في الله لومة لائم) فيناضل الأعداء ، لتلافي النقصان ، وإصلاح الخلل . . .

عندها تنهض الأمة الى السعادة والشرف .

الهجرة الثانية :

وبعد نقض الصحيفة ، وتضييق المشركين على المسلمين . . . في حديث يطول شرحه لا مجال لذكره . . . خرج المسلمون فراراً بدينهم الى أرض الحبشة ، فكانت الهجرة الثانية .

كان أمير القوم هذه المرة جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه ومعه امرأته أسماء بنت عميس .

تتابع المسلمون الى أرض الحبشة منهم من هاجر بأهله ، ومنهم من هاجر بنفسه كما ذكرنا في الهجرة الاولى .

فكان جميع من هاجر من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً ــ أو ولدوا في ارض الحبشة .كانوا ثمانين رجلاً وسبع عشرة امرأة أو ما يزيد والله أعلم .

books.rafed.net

حزن الرسول (ص) على فراق خديجة :

بعد أن ألقينا نظرة خاطفة على حياة أم المؤمنين السيدة خديجة (رض) زوجة الرسول الكريم (ص) لا بد لنا من أن نتكلم عن مدى حزن النبي (ص) لفراقه الزوجة الوفية . . .

أجل . . . لقد خمدت تلك الجذوة المشتعلة التي أضاءت طريق الجهاد مدة من الزمن .

رحلت خديجة الى جوار ربها آمنة مطمئنة ، وبقي الرسول الكريم (ص) بعدها في كآبة وحزن ، وهم بالغ . .

فالليالي تمضي كالحات ، مشحونة بالذكريات الأليمة ، ذكريات الزوجة الوفية ، ربة البيت ، وأم الأولاد ، وساعده القوي ، وشريكته في الجهاد .

كان عليه الصلاة والسلام يرجع الى البيت ، وهو مرهق ينوء بأعباء الرسالة العظيمة ، وقد أتعبه ما يلقى من المشركين ، من تعنت وأذى .

لقد فرح المشركون بموت خديجة . . . وأبي طالب المحامي والكفيل لمحمد (ص) وظنوا أن الظلمات تكاثفت حوله ، فلن يبدو على الافق شعاع أو ضياء .

كان صلى الله عليه وآله وسلم يخلو الى نفسه ليستعيد ذكرى الراحلة التي ملأت عليه دنياه ، وقد تراكمت عليه الهموم والأحزان .

دخلت عليه خولة بنت حكيم السلمية ، وقالت له : يا رسول الله كأني

books.rafed.net

أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة ؟ !

فأجاب عليه الصلاة والسلام : (أجل كانت أم العيال وربة البيت) .

فاقترحت عليه خولة بعد حديث طويل أن يتزوج . فأجابها بنبرة عتاب . . . « من بعد خديجة ؟ » .

فقالت : هون عليك ، إن أردت ثيباً فهذه سودة بنت زمعة . . . أو أردت بكراً . . فعليك بعائشة بنت أبي بكر ، فقال لها : لكنها لا تزال صغيرة يا خولة .

وكان رد خولة حاضراً : تخطبها اليوم الى أبيها ، ثم تنتظر حتى تنضج .

فأجابها النبي باستغراب : حتى تنضج ؟ ! ثم أردف بلوعة . . .

لكن من للبيت يرعى شؤونه ؟ ومن لبنات الرسول يخدمهن ؟

واخيراً أذن لها الرسول في خطبتهما . فمرت أولاً ببيت (أبي بكر) ثم جاءت بيت (زمعة) فدخلت على ابنته (سودة) وهي تقول : . ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة يا سودة ؟

فسألت (سودة) وهي لا تدري مراها : وماذا يا خولة ؟

قالت : أرسلني رسول الله أخطبك عليه . . .

وكانت الهجرة الى يثرب (المدينة المنورة) بوحي من السماء أتى به جبريل .

هناك في المدينة أنصار للرسول الأعظم ، يحيطون به ويفتدونه بأرواحهم مستبسلين ، يرون الاستشهاد في سبيل الدعوة الاسلامية مجداً وانتصاراً ، وغاية أمانيهم نشر الإسلام وتعاليمه ، وتركيز دعائمه .

books.rafed.net

هجرة الرسول (ص) الى يثرب :

تعالى الهتاف في أنحاء يثرب ، وخرج أهلها مسرعين ليروا الرسول الكريم (ص) . وأقبلت أفواج الناس ساعية في شوق ولهفة ، الى حيث تلقى المهاجر العظيم .

خرج أهالي يثرب رجالاً ونساء ، مرحبين . . . داعين بصوت واحد : « هلم إلينا يا رسول الله . الى العدد . والعدة . والمنعة » خرجوا وهم يهتفون :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعى لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

وكان النبي الأعظم (ص) يحيي المستقبلين مبتسماً ثم يقول : « خلوا سبيل ناقتي » .

ولما بركت ناقة الرسول ، اختار عليه الصلاة والسلام ذلك الموضع الذي بركت فيه ، فبنى عليه مسجداً « المسجد النبوي الشريف » .

وبنى الرسول (ص) حول المسجد بيوتاً من الطين والجريد ، . . . أقام بهذه البيوت بعض المهاجرين ينعمون بسماع أصوات المصلين والمتعبدين ، التي هي أعظم نغم وأعذب ترتيل ينعش قلوب المؤمنين .

وفي بعض هذه البيوت ، أقامت السيدة سودة بنت زمعة أم المؤمنين ، ترعى شؤون بيت الرسول الاعظم (ص) وتسهر على راحة بناته .

books.rafed.net

ولما استقر المسلمون في دار الهجرة ، حيث العدد . والعدة . والمنعة . وعبدوا الله بدون خوف من اضطهاد عدوهم وأذيته .

قام الرسول (ص) وخطب بالمسلمين ، وآخى بينهم ، المهاجرين منهم والأنصار . فقال (ص) تآخوا في الله أخوين . . . أخوين . . .

« آخى بين أبي بكر وبين خارجة بن زهير الخزرجي ، وآخى بين عمر بن الخطاب وبين عتبان بن مالك العوفي ، وآخى بين أبي عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ . . . الخ . .

ثم أخذ النبي (ص) بيد علي بن أبي طالب (ع) وهو يقول : هذا أخي . . . وابن عمي . . . ووزيري . . .

وتفرق الجمع ، وخرج كل مهاجر بأخ له ، وذهب علي بن أبي طالب (ع) بالربح الوفير . . . مؤاخاة سيد البشر وخاتم الأنبياء ، فكان له الأخ والوصي . . . والساعد القوي .

عاد الرسول (ص) الى بيته وقد ارتاحت نفسه الشريفة الى مؤاخاة المسلمين ، واتحادهم وتضامنهم في سبيل الدعوة الى الإسلام ونصرة الداعي .

وجاء أبو بكر يتحدث الى النبي (ص) باتمام زواج ابنته عائشة التي عقد عليها الرسول الكريم (ص) بمكة ، وهي لا تزال يومئذ بنت ست سنوات على ما يروى . ومنهم من قال سبع سنوات . .

وأصغى النبي (ص) الى حديث أبي بكر . ثم سأله مستفسراً كم أصبح عمرها ؟ فقال أبو بكر : تسع سنين .

« وأجاب النبي . . . وأتى مع بعض الأنصار ونسائهم الى منزل أبي بكر

books.rafed.net

الصديق حيث كان يقيم في بيت الحارث بن الخزرج . . . » [٢] .

عائشة أم المؤمنين :

هي بنت أبي بكر ، وإحدى زوجات النبي (ص) المحظوظات عاشت في كنف الإسلام ، وأخذت عن الرسول الأعظم (ص) الكثير من التعاليم ، وروت عنه الروايات الكثيرة في شتى المسائل .

كانت ذات نفوذ قوي بعد وفاة النبي (ص) ساعدها على ذلك أنها زوجة صاحب الرسالة . . . وابنة أبي بكر . .

وبذكائها وفطنتها اغتنمت هذين الأمرين ، فأبرزت شخصيتها وخصوصاً في مطلع خلافة أمير المؤمنين علي (ع) .

نظرت عائشة فوجدت أن علي بن أبي طالب أصبح خليفة للمسلمين ، وأن طلحة والزبير بايعا علياً [٢] وهي لم ترضى بذلك ، ولم يوافق هواها .

وكيف ترضى أن يلي الخلافة بنو هاشم ، وخصوصاً علي بن أبي طالب زوج الزهراء ابنة ضرتها أم المؤمنين خديجة .

كانت مقومات الشخصية القوية مكتملة لدى ابنة أبي بكر ، فهي تعيش في

---

(١) تاريخ الطبري .

(٢) إن طلحة والزبير بعدما بايعا علياً (ع) نكثا البيعة عندما علما أنهما لن يحققا رغباتهما في الامرة والسلطان لأن علياً سيساوي بين افراد الامة ، ويعطي كل ذي حق حقه بلا تفاضل أو تمييز .

books.rafed.net

ظل بيت رفيع ، بيت صاحبة الرسالة . منذ تزوجها الرسول الأعظم (ص) . وتستقي من لدنه علماً وأدباً ، يعينها على ذلك ، ذكاء حاد ، وفطنة وقادة ، مما جعلها موئلاً ، وملجأ لطالبي الحديث عن الرسول الأعظم (ص) .

فروى عنها كبار مشايخ المسلمين الكثير مما حفظته من زوجها النبي (ص) والكثير مما استفادته هي من تجارب الحياة كقولها : كما في بلاغات النساء .

« مكارم الأخلاق عشرة . صدق الحديث . وصدق البأس . وأداء الأمانة . وصلة الرحم . والمكافئة بالصنيع . وبذل المعروف . والتذمم للصاحب . وقرى الضيف . ورأسهن الحياء » [1] .

كانت السيدة عائشة تتمتع بشباب ناضر ، وجمال فتان ، بالإضافة الى صفات لها الأثر الكبير في زرع الثقة في النفس لدى الانثى ، هذه الثقة التي جرأت أم المؤمنين أن تخوض غمار الحرب ، وتسحر بعض المسلمين بطلاوة حديثها ، وعذوبة ألفاظها ، فتأخذ بأعنة النفوس ، وتصنع ما يصنع الرجال العظام .

إن شخصيتها ، وقوة إدراكها ، وتعقلها للامور وسعة افقها . . . كل هذه الخصائص هي التي جعلتها تتفوق على صواحبها ، وتتغلب على كل ما يحيطها من مشاكل ، وتذلل أمام أهدافها الصعاب .

لكن السيدة عائشة انهزمت عند الصراع مع هواها وعواطفها ، وفشلت في تجريد نفسها من الغرائز الانثوية وبقيت الانثى . . . انثى تشعر بالغيرة من غيرها .

صحيح ان لها مكان الصدارة بين زوجات النبي اللواتي كن يتوافدن الواحدة تلو الأخرى ، بعد موت خديجة التي أكرمها الباري سبحانه فلم تتجرع مرارة الضرائر ، ولم تكتوي بنار الغيرة التي تشعل صدورهن .

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور . . . هكذا وردت في الأصل .

books.rafed.net

وهنا لعبت الطبيعة دورها ، فالسيدة عائشة لا تتمكن من اخماد نار الغيرة التي تتأجج في صدرها ، وهي ذات الشعور القوي . . . أليست الغيرة من صفات الأنثى . . . من البشر !

ومن طريف ما يروى عن السيدة عائشة ، أن النبي (ص) قال لها مداعباً : « ما ضرك لو متِ قبلي ، فقمت عليكِ . . . وكفنتك . . . وصليت عليك . . . ودفنتك ؟ ؟ » .

فأجابت وقد التهب صدرها بنار الغيرة : « ليكن ذلك حظ غيري . والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت الى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك » [1] .

لقد ضم بيت النبي (ص) عدداً من النساء ، من ذوات الجمال والذكاء ، علاوة على النسب الرفيع .

عاشت السيدة عائشة بين ضرائر من بينهن السيدة الحسناء الأبية المترفعة أم سلمة بنت أبي أمية . زاد الركب . والسيدة ذات الشرف والحسب زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمة الرسول التي كانت تفاخر ضرائرها بأن الله سبحانه زوَّجها في السماء ، إشارة الى قوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) [2] وأم حبيبة بنت أبي سفيان زعيم مشركي مكة ، وقائد جيشها لحرب النبي (ص) .

---

(١) تاريخ الطبري . ابن جرير .

(٢) سورة الاحزاب . آية ٣٧ .

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي : نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش الاسدية ، بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص) فخطبها على مولاه زيد بن حارثة . وفي الحديث ان زينب كانت تفتخر على سائر نساء النبي وتقول : (زوجني الله من النبي وأنتن إنما زوجكن اولياؤكن) .

books.rafed.net

ناهيك عن جويرية بنت الحارث التي تبهر الأنظار لروعة جمالها . وحفصة بنت عمر بن الخطاب . وصفية بنت حيي بن أحطب الناعمة . . . الساحرة .

ولكن السيدة عائشة كانت تقول : ما غرت من امرأة قط كغيرتي من خديجة . . . ولم أرها .

لقد حاولت السيدة عائشة أم المؤمنين الاستيلاء على قلب الرسول الزوج العظيم ، بشتى الطرق ، وجعلت سلاحها من أنوثتها . وذكائها . وصباها . وجمالها . .

ولكن المرارة . . . مرارة الغيرة لم تقدر أن تستسيغها ، فالحب العميق الذي يكنه الرسول الأعظم (ص) لزوجته الراحلة خديجة (رض) كان شغلها الشاغل .

لقد بقيت خديجة (رض) تشارك عائشة عواطف الزوج وحنانه ، وهي بين الأموات ، وتحت الثرى ، ولكن طيفها ما زال ماثلاً أمام عيني الرسول ، ولسانه الشريف يلهج بذكرها يردد اسمها في كل حين ، ولم يسأم من الثناء عليها حتى تأججت نار الغيرة في قلب عائشة (رض) فلم تتمالك أم المؤمنين أن قالت مرة للرسول (ص) : لقد عوضك الله من كبيرة السن . . . فغضب رسول الله (ص) من كلامها غضباً عظيماً حتى أسقطت من جلدها . فقالت في نفسها : اللهمَّ إن ذهب غضب رسول الله عني لم أعد أذكرها بسوء .

وقالت عائشة : كان النبي يكثر من ذكر خديجة وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا إلا خديجة ؟ فيقول : إنها كانت وكان لي منها ولد .

فلا غرابة أن تزداد نار الغيرة في قلب السيدة عائشة (رض) وهي تسمع النبي يردد في كل حين (كان لي منها ولد) وعائشة تلك الشابة الحلوة . ذات الذكاء

books.rafed.net

والفطنة لم تنجب لزوجها ولداً ، في حين أن خديجة وهي العجوز قد انجبت له البنين والبنات .

ولا يمكن للسيدة عائشة أن تتجاهل ذلك الحب الشديد للأبناء ، والحرص على الانجاب الذي كان يكمن في قلب الرسول الأعظم (ص) ورجال ذلك العهد أجمع .

إن مرارة العقم . وحرارة عواطف الامومة . . . المحرومة . . . والكبت . . . كل هذه الأشياء التي هي من صنع الطبيعة البشرية وقدرة الخالق الجبار ، كانت تثير في نفس السيدة عائشة دائماً شعوراً بوطأة الحرمان التي تجثم على صدرها . وتنظر الى بنات ضرتها (خديجة) متحسرة تشعر كأن حواجز منيعة تقوم بينها وبينهن . بل ترى أن كل واحدة منهن هي صورة عن ضرتها التي استأثرت بقلب الزوج الرسول وما بلغته من ايثار لم يبلغه احد من قبل . . . ولا من بعد .

وهذا ما جعل السيدة عائشة تخرج الى حرب علي بن أبي طالب زوج فاطمة بنت محمد (ص) ابنة ضرتها التي احتلت مكان امها خديجة من قلب الرسول (ص) .

وكانت وقعة الجمل الشهيرة في البصرة التي ذكرها جميع أهل التاريخ وأصحاب السير وليس هذا المجال مجال لذكرها .

ذكرت الدكتورة بنت الشاطىء : « لما تزوج النبي اسماء بنت النعمان التي أحست عائشة خطر جمالها منذ وقعت عيناها عليها ، وقدرت انها اذا لم تحل بينها وبين زوجها الرسول فسوف تكلفها من أمرها عسراً .

ومن ثم قررت أن تفرغ منها قبل أن يتم الزواج . وبدأت تعمل على الفور مستعينة بصواحبها . . .

دعت إليها حفصة واخرى ممن يحرصن من إرضائها ، فقالت لهما :

books.rafed.net

« قد وضع يده في الغرائب يوشكن أن يصرفن وجهه عنّا » و . . .

واتفقن على خطة موحدة . . . أقبلن على العروس مهنئات ، يجلونها للزفاف ، ويوصينها بما تفعل ، وما تقول استجلاباً لرضا الزوج العظيم . . . ومحبته . . .

فكان مما نصحن لها به ، أن تستعيذ بالله إذا ما دخل عليها . . . !

وفعلت المسكينة . . . .

لم تكد ترى الرسول مقبلاً عليها ، حتى استعاذت بالله وفي حسابها أنها تستجلب محبته ورضاه . . .

فصرف رسول الله وجهه عنها وقال : « لقد عذتِ بمعاذ » .

وغادرها من لحظته ، وأمرها أن تلحق بأهلها . . .

فبعثت إليه . أو بعث أبوها . من يتوسط لردها ويتحدث عما كان من نسائه معها ، فلم يملك عليه الصلاة والسلام ، إلا أن يبتسم ويقول :

« إنهن صواحب يوسف . . . وإن كيدهن عظيم » .

وبقي (ص) عند كلمته ، فلم يمسك تلك التي (عاذت بمعاذ) .

وتخلصت عائشة من منافسة خطرة [1] .

ومما روى ابن طيفور : أن عائشة (رض) لما احتضرت جزعت ، فقيل لها :

« أتجزعين يا أم المؤمنين وأنت زوجة رسول الله (ص) وأم المؤمنين . وابنة أبي بكر الصديق ؟ !

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة . الدكتورة بنت الشاطىء .

books.rafed.net

فقالت متحسرة . . .

ـــ إن يـــوم الجمـــل معـــترض في حلقـــي . . . ليتـــني مـــت قبلـــه . أو كنـــت نســـياً منسياً [1] .

توفيـــت عائشـــة ام المـــؤمنين عـــن عمـــر ينـــاهز السادســـة والســـتين . وصـــلى عليهـــا أبـــو هريرة . ودفنت بالبقيع مع امهات المؤمنين زوجات النبي الكريم (ص) .

وتحـــت ثـــرى المدينـــة المنـــورة . يثـــرب . خمـــد ذلـــك الـــذكاء الوقـــاد . واللهيـــب الذي ظل يضطرم سنيناً وأعواماً طوالاً . . .

وتحـــت ثـــرى . يثـــرب . جمـــع المـــوت بـــين الضـــرائر حيـــث لا تنـــافس . . . ولا حقد . . ولا غيرة . . .

أم المؤمنين أم سلمة :

إن ظهـــور الرســـالة المحمديـــة أعظـــم حـــادث في تـــاريخ العـــرب خاصـــة ، والبشـــر عامة . قال تعالى :

« وَمَـــا أَرْسَـــلْنَاكَ إِلَّا كَافَّـــةً لِّلنَّـــاسِ بَشِـــيرًا وَنَـــذِيرًا » [2] حـــتى كـــان قصـــارى جهـــد المســـلمين ، تركيـــز دعـــائم الـــدين ، وجهـــادهم في اجتمـــاعهم علـــى الإســـلام ، ونبـــذ مـــا كـــانوا عليه من الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء .

ســـرت تعـــاليم الإســـلام في النفـــوس كضـــياء الشـــمس ينســـاب بنـــوره الخالـــد علـــى قلـــوب

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور .

(٢) سورة سبأ . آية . ٢٨ .

books.rafed.net

المؤمنين أنّى كانوا وحيثما رحلوا .

وهنا ظهرت المرأة التي كانت قد أنكرتها الأمم ، واضطهدتها الشعوب الى ميدان الحياة ، تؤدي رسالتها وتضرب المثل الأعلى في علو الهمة . والبطولة . والجهاد . ونصرة الحق . والتعاون على البر والتقوى . والتمسك بعرى الدين والإيمان . ومكارم الأخلاق .

كان من أبرز المجاهدات المهاجرات المؤمنات السيدة أم سلمة رضوان الله عليها ، وهي تعطينا صورة واضحة عن المرأة المسلمة في ذلك العهد . . . ومدى مساهمتها في الجهاد .

أم سلمة هي بنت أبي أمية [1] الملقب بزاد الركب وهي مهاجرة جليلة من المسلمات السابقات الى الإسلام . تزوجها عبد الله بن الأسد المخزومي ، آمنت بالنبي (ص) وصدقته ، وهاجرت الى أرض الحبشة عندما أشار الرسول الكريم على المسلمين بالهجرة .

وقد كانت أم سلمة من طلاقة اللسان ، وحسن الرأي وكمال الهيئة ، وجمال الصورة ، ما تحدث عنه العرب .

وقد حزنت السيدة عائشة عندما تزوج رسول الله (ص) بام سلمة ، لما ذكروا لها من كمالها ، وأدبها ، وجمالها ، وقالت لما رأتها : « والله أضعاف ما وصفت لي » .

ومما يدلنا على طلاقة لسان السيدة أم سلمة وفطنتها نستمع إليها كما يحدثنا

---

(١) هو سهيل بن المغيرة من بني مخزوم ، وهو ابن عمة رسول الله (ص) برة بنت عبد المطلب لقبه زاد الركب لأنه كان احد اجواد العرب ، فكان اذا سافر لم يحمل من يكون معه او برفقته زاداً ، بل هو يكفيهم جميعاً مؤونة السفر ، لجوده وكرمه .

books.rafed.net

التاريخ ، وهي تتكلم عن الذين هاجروا الى أرض الحبشة . وما كان من الحوار بين النجاشي ملك الحبشة . وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أمير المسلمين في ارض الحبشة .

حديث أم سلمة (رض) :

ذكر ابن هشام في السيرة النبوية [1] عن أم سلمة قولها : « لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار . النجاشي . أمّنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة . وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم [2] .

فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية .

ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ابي ربيعة ، وعمرو بن العاص . وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعوا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدما الى النجاشي هداياه .

ثم سلاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم ، قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده . . . بخير دار عند خير جار . . . فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام . ج . ١ . ص . ٣٥٨ . ٣٥٩ .

(٢) الادم ، هو الجلد وكانت مكة والجزيرة العربية معروفة بالجلود الممتازة وهي من مصادر ثروتها .

books.rafed.net

« انه قد ضوى [1] الى بلد الملك منّا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم اليهم . فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم الينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيناً [2] وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

قالت : ولم يكن شيء أبغض الى عبد الله بن أبي ربيعه وعمرو بن العاص ، من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقته من حوله :

صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليهما ، فليرداهم الى بلادهم وقومهم .

قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لا ها الله إذاً لا أسلمهم اليهما ، ولا يُكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم . فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ، ورددتهم الى قومهم . وإن كانوا غير ذلك ، منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

قالت : ثم أرسل الى أصحاب رسول الله (ص) ، فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم : ماذا تقولون للرجل إذا جئتموه . . . ؟

قالوا : نقول والله ما علّمنا وما أمرنا به نبينا (ص) كائناً في ذلك ما هو كائن .

---

(١) ضوى : لجأ اليه . ولصق به . أي اتى ليلا متخفياً . سراً .

(٢) اعلى بهم عيناً . اي اعرف بهم وابصر . والمعنى : عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم يرون منهم ما لا يرى غيرهم .

books.rafed.net

فلما جاؤوا وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال لهم : . ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين احدٍ من هذه الملل . . . ؟

قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب رضوان الله عليه ، فقال له : ايها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ويأكل القوي منّا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان .

وأمرنا أيضاً : بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء .

ونهانا أيضاً عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات .

وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . . . الخ قالت : فعدد عليه امور الاسلام .

فصدقناه وآمنا به .

واتبعناه على ما جاء به من الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا الى عبادة الأوثان ، من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى

books.rafed.net

بـــلادك ، واخترنـــاك علـــى مـــن ســـواك ، ورغبنـــا في جـــوارك ورجونـــا ان لا نظلـــم عنـــدك أيها الملك .

قالـت : فقـال لـه النجاشـي : هـل معـك ممـا جـاء بـه عـن الله مـن شـيء ؟ قالـت : فقـال لـه جعفـر : نعـم ، فقـال لـه النجاشـي : فـاقرأه علـيّ . قالـت : فقـرأ عليـه صـدراً مـن « كهـيعص » . قالـت : فبكـى والله النجاشـي حـتى اخضـلت لحيتـه ، وبكـت أسـاقفته حـتى اخضـلوا [1] مصـاحفهم ، حـين سمعـوا مـا تـلا علـيهم ، ثم قـال لهـم النجاشـي : إن هـذا الـدين ، والـذي جـاء بـه عيسـى ليخـرج مـن مشـكاة واحـدة [2] انطلقا ، فلا والله لا اسلمهم إليكما ، ولا يُكادون .

قالـت : فلمـا خرجـا مـن عنـده ، قـال عمـرو بـن العـاص : والله لآتينـه غـداً عـنهم بمـا أستأصـل بـه خضـراءهم [3] . قالـت : فقـال لـه عبـد الله بـن ابي ربيعـة وكـان أتقـى الرجلين : لا نفعل ، فإن لهم ارحاماً وإن كانوا قد خالفونا .

قـال : والله لاخبرنـه انهـم يزعمـون أن عيسـى بـن مـريم عبـد . قالـت : ثم غـدا عليـه مـن الغـد ، فقـال لـه : أيهـا الملـك إنهـم يقولـون في عيسـى بـن مـريم قـولاً عظيمـاً ، فأرسل إليهم ، فسلهم عما يقولون فيه .

قالـت : ولم ينـزل بنـا مثلهـا قـط : فـاجتمع القـوم ثم قـال بعضـهم لـبعض مـاذا تقولـون في عيسـى بـن مـريم إذا سـألكم عنـه . . ؟ قـالوا : نقـول والله مـا قـال الله ، ومـا جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن .

---

(١) اخضل : ابل . واخضلت لحيته : ابتلت .

(٢) المشـكاة : قـال في لسـان العـرب : « وفي حـديث النجاشـي : إنمـا يخرجـوا مـن مشـكاة واحـدة . المشـكاة : الكـوة غـير النافـذة ؛ وقيـل هـي الحديـدة الـتي يعلـق عليهـا القنـديل » . اراد القرآن . والأنجيل كلام الله تعالى . وأنهما من شيء واحد .

(٣) خضراءهم . معناه : شجرتهم التي منها تفرعوا .

books.rafed.net

قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالت فقال جعفر بن ابي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (ص) يقول : هو عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته ، ألقاها الى مريم العذراء البتول .

قالت : فضرب النجاشي بيده الى الارض ، فأخذ منها عوداً ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم بمقدار هذا العود ، فقالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال :

فقال : وإن نخرتم والله . . . اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي . والشيوم الآمنون . من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم : ما أحب ان لي ديراً من ذهب ، وإني آذيت رجلاً منكم . ردوا عليهما هداياهم ، فلا حاجة لي بها . فوالله ما اخذ الله منِّي الرشوة حين ردَّ علي ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه .

قالت : فخرجا من عنده ، مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار . مع خير جار . (انتهى) .

لقد كانت السيدة أم سلمة أول ظعينة دخلت الى المدينة المنورة مهاجرة ، وكان زوجها ابو سلمة قد سبقها إليها . وتروي لنا رحلتها الى (يثرب) المدينة المنورة فتقول : رحَّلت بعيري ، ووضعت ابني في حجري ، ثم خرجت اريد زوجي بالمدينة ، وما معي أحد من خلق الله تعالى ، فقلت اتبلغ بمن لقيت ، حتى أقدم على زوجي بالمدينة ، حتى إذا كنت بالتنعيم ، لقيت عثمان بن طلحة اخا بني عبد الدار ، فقال الى اين يا ابنة أبي امية ؟ فقلت : اريد زوجي بالمدينة ، فقال : هل معك أحد . . . ؟ فقلت : لا والله إلا الله . . . وابني هذا .

فقال : والله مالك من منزل . فأخذ بخطام البعير ، فانطلق يهوي بي يقودني ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أكرم منه .

books.rafed.net

كـــان إذا بلـــغ المنـــزل ، أنـــاخ بي ثم تنحـــى الى شـــجرة ، فاضـــطجع تحتهـــا ، ثم اســـتأخر عـــني ، حـــتى إذا نزلـــت اســـتأخر ببعـــيري ، فحـــط عنـــه ثم قيـــده في الشـــجرة . فـــاذا دنـــا الـــرواح ، قـــام الى بعـــيري ، فقدمـــه ، فرحَّلـــه ، ثم تـــأخر عـــني وقـــال : اركـــبي . . . فـــإذا ركبـــت واســـتويت علـــى بعـــيري ، أتـــى فأخـــذ بخطـــام البعـــير فقـــاده ، ولم يزل يصنع ذلك حتى قدم المدينة [1] .

وفي وقعـــة أحـــد قتـــل ابـــو ســـلمة رضـــوان الله عليـــه مجاهـــداً ، فحزنـــت عليـــه زوجتـــه ام ســـلمة ، ووجـــدت كثـــيراً علـــى فقـــد الـــزوج المـــؤمن العطـــوف الـــذي كـــان دائمـــاً يـــدعو لهـــا بـــالخير والســـعادة ، وطالمـــا ردد قولـــه : « اللهـــم ارزق ام ســـلمة بعـــدي رجـــلاً خير مني ، لا يخزيها ولا يؤذيها » .

فلمـــا مـــات قالـــت : مـــن هـــذا الـــذي هـــو لي خـــير مـــن أبي ســـلمة . . . ؟ وكـــأن الله قـــد استجاب دعاء ابي سلمة المجاهد المؤمن فتزوجها رسول الله (ص) .

زواج رسول الله (ص) من أم سلمة :

حزنـــت أم ســـلمة علـــى فقـــد الـــزوج الـــرؤوف ، وعطفـــت علـــى اولادهـــا ، ترعـــاهم بكـــل حنـــان وعطـــف حـــتى إذا انقضـــت عـــدتها أرســـل إليهـــا ابـــو بكـــر يخطبهـــا ، فرفضت بكل إصرار ، وخطبها عمر بن الخطاب فرفضت أيضاً [2] .

وأرســـل رســـول الله (ص) الى أم ســـلمة يخطبهـــا ، فقالـــت مرحبـــاً برســـول الله

---

(١) ســـيرة ابـــن هشـــام . ج . ٢ . ص ١١٣ . وفي الـــدر المنثـــور ص . ٥٣١ اقـــول : لقـــد كـــان المســـلمون الاول مثـــال الشـــهامة ، والمـــروءة ، والغـــيرة ، والحميـــة . فحـــديث ام ســـلمة عـــن عثمـــان بـــن طلحـــة ومرافقتـــه لهـــا في الطريـــق ومعاملتـــه اياهـــا المعاملـــة الحســـنة حيـــث كـــان يتنحـــى الى جهـــة ثانيـــة ويتأخر ، حتى تركب راحلتها لهي في منتهى الحشمة والادب .

(٢) اعلام النساء . للاستاذ عمر رضا كحالة .

books.rafed.net

ورسوله . ولكن ارجع الى النبي وقل له : اني امرأة غيرى ، واني ام أيتام ، وانه ليس احد من أوليائي شاهداً . فأرسل رسول الله (ص) : « أما قولك : اني ام ايتام « مصبية » فان الله سيكفيك صبيانك ، وأما قولك اني غيرى . فسأدعو الله ان يذهب غيرتك وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهداً ولا غائباً إلا استرضاني » .

تزوجها رسول الله (ص) السنة الرابعة للهجرة ، من شهر شوال ، فكانت من خيرة نسائه ، ذات عقل راجح ، وإيمان راسخ ورأي صائب ، مع ورع وتقى .

شهدت ام سلمة [1] رضوان الله عليها فتح خيبر ، وقالت مع نسوة : على ما يروى . ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال ، فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم ، فنزلت الآية الكريمة والله اعلم « **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** » [2] .

لقد كان لأم سلمة الرأي السديد ، وبعد النظر ، مع سلامة التفكير ، وحسن التعبير ، والحرص على مصلحة المسلمين ، واداء النصيحة لهم ، وإرشادهم الى طريق الصواب .

نصيحة أم سلمة للخليفة عثمان :

حينما ثار الناس على الخليفة عثمان بن عفان بسبب ليونته ومعاملته لأقربائه بالحسنى ، وإيثار بني أمية بالأموال والمناصب الرفيعة ، وتسلط مروان بن الحكم على أفكاره حتى اصبح عثمان لا يعمل عملاً إلا بمشورة مروان ، ولم يلتفت الى

---

(١) اعلام النساء عمر رضا كحالة . ص . ٢٢٤ .

(٢) سورة النساء . اية . ٣١ .

books.rafed.net

نصائح المسلمين عندما طلبوا منه الحد من سيطرة مروان . وأمثاله من بني أمية . واستئثارهم بمقدرات المسلمين ، واللعب بشؤون الخلافة ، الى غير ذلك مما لسنا بصدده .

ولما اجتاحت الثورة العارمة صبر المسلمين ، نرى السيدة ام سلمة تتوجه الى الخليفة عثمان بنصيحتها التي تفيض عطفاً ، وحرصاً على المصلحة العامة . وعدم تضعضع الصف ، وحفاظاً على الإسلام .

قالت له : يا بني ما لي ارى رعيتك عنك نافرين وعن جناحك ناقرين . لا تعف طريقاً كان رسول الله (ص) يحبها . ولا تقتدح بزند كان عليه الصلاة والسلام اكباه . وتوخ حيث توخي صاحباك فانهما ثكما الامر ثكماً . . . ولم يظلما . . .

هذا حق أمومتي قضيته اليك ، وإن عليك حق الطاعة [1] .

حديث أم سلمة مع عائشة :

تتجلى لنا شخصية أم سلمة وتعلقها وبعد نظرها في عواقب الامور ، وذلك عندما ارادت عائشة أم المؤمنين الخروج للمطالبة بدم عثمان .

جاءت عائشة الى ام سلمة ، لاستشارتها من جهة ولاقناعها ، لعلّها تخرج معها من جهة ثانية .

وقد قامت عائشة بهذه المحاولة وهي تعرف حق المعرفة ما تتحلى به رفيقتها من قوة الشخصية ، وبعد النظر والاعتقاد بحق علي ، ومنزلته عند ربه ، وهو الإمام الحق .

---

(١) اعلام النساء . عمر رضا كحالة .

books.rafed.net

قالت عائشة (رض) : يا بنت أبي أمية ، انت اول مهاجرة من أزواج رسول الله (ص) وأنت كبيرة امهات المؤمنين ، وكان رسول الله (ص) يقسم لنا من بيتك ، وكان جبرائيل أكثر ما يكون في منزلك ، فقالت أم سلمة : لأمر ما قلت هذه المقالة ! ؟ فقالت عائشة : « ان عبد الله ابن اختي اخبرني أن القوم استتابوا عثمان ، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام ، وقد عزمت الخروج الى البصرة ، ومعي الزبير وطلحة ، فاخرجي معنا ، لعل الله ان يصلح هذا الأمر على ايدينا ، وبنا » [1] .

وكانت الذكريات ، تسرع بام سلمة وتعود بها الى عهد رسول الله (ص) ، حيث كانتا معاً هي وعائشة ، تريان بأم عينهما منزلة علي بن ابي طالب عليه السلام عند رسول الله (ص) يخلو به دون غيره من الصحابة ويناجيه ويسايره ويؤثره بعظيم حبه ، وينشر بين المؤمنين ما لعلي عليه السلام من درجات الفضل الرفيعة والمنزلة العالية .

ثم تمثلت علي بن ابي طالب وبطولته وتفانيه في الجهاد في سبيل الله وهو يضرب بسيفه يدافع عن الرسول الكريم ، ويلقي بنفسه في لهوات الحروب ، فيخوض المعارك ويغوص في دماء المشركين ويحصد الكفار حتى يفرق جمعهم فلا يبالي في سبيل نصرة الدين أوقع على الموت او الموت وقع عليه .

تمثلت ام سلمة العلم الجم الذي عند علي المقتبس من الرسول الأعظم المحيط الزاخر يملأ الآفاق والأكوان وذكرت قول النبي (ص) أنا مدينة العلم وعلي بابها .

وتمثلت في علي بن ابي طالب روح العدل التي تجري في عروقه .

وتمثلت عليه السلام في تقواه وورعه وزهده .

---

(١) تاريخ اليعقوبي . ص . ١٦٩ .

books.rafed.net

وتمثلته عليه السلام في توجيه الناس الى سنن الخير ، وصرفهم عن الاندفاع في شهوات الدنيا وحثهم على طريق الخير وسلوك سبل الهدى والإيمان وعبادة الرحمان .

وتمثلته عليه السلام في إرساء قواعد العدل ، وتثبيت دعائم الحق ، وإزهاق الباطل .

وتمثلت الرسول (ص) حيث قال في حق علي : « علي مع الحق والحق مع علي . يدور معه حيثما دار » .

وتمثلت أم سلمة أيضاً علياً وهو في كنف النبي عليه الصلاة والسلام وتحت رعايته .

وتمثلت خلق عليّ الكامل في روحه الإنسانية الشاملة .

وما أن وصلت السيدة أم سلمة الى هذا الحد من التصورات ، واستعادة الذكريات حتى التفتت الى رفيقتها السيدة عائشة ، وأجابتها بكل هدوء :

يقول الاستاذ عمر رضا كحالة : [1] قالت أم سلمة : إنك كنت بالامس تحرضين على عثمان ، وتقولين فيه أخبث القول . . وانك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله (ص) .

أفأذكرك ؟ قالت : نعم . قالت : أتذكرين يوم اقبل النبي (ص) ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلي يناجيه فأطال . . . فأردت أن تهجمي عليهما ، فنهيتك ، فعصيتني ، . . فهجمت عليهما . . .

فما لبثت أن رجعت باكية ؛ فقلت : ما شأنك ؟ . فقلت : إني هجمت عليهما

---

(١) اعلام النساء : عمر رضا كحالة .

books.rafed.net

وهما يتناجيان ، فقلت لعلي : ليس لي من رسول الله (ص) إلا يوم من تسعة أيام . . . . (أفما تدعني يا بن أبي طالب ويومي ؟ !) فأقبل رسول الله (ص) وهو غضبان محمر الوجه فقال : ارجعي وراءك . . . والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان . . . فرجعت نادمة ساقطة . . .

قالت عائشة : نعم اذكر ذلك .

قالت أم سلمة : وأذكرك ايضاً .كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص) وأنت تغسلين رأسه ، وأنا أحيس له حيسا ، وكان الحيس يعجبه ، فرفع رأسه وقال : يا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الاذنب ، تنبحها كلاب الحوأب ، فتكون ناكبة عن الصراط ؟

فرفعت يدي من الحيس فقلت : أعوذ بالله وبرسوله من ذلك ! . . ثم ضرب على ظهرك وقال إياكِ أن تكونيها ثم قال : يا بنت أبي أمية إياك ان تكونيها . أما أنا فقد انذرتك . . .

قالت عائشة : نعم أذكر هذا . . .

قالت وأذكرك ايضاً : كنت أنا وأنتِ مع رسول الله (ص) في سفر له ، وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله (ص) فيخصفها . ويتعاهد اثوابه فيغسلها ، فنقبت له نعل ، فأخذها يومئذٍ يخصفها ، وقعد في ظل شجرة ، وجاء ابوك ومعه عمر فاستأذنا عليه ، فقمنا الى الحجاب ، ودخلا عليه يحادثانه فيما ارادا . ثم قالا له : يا رسول الله انا لا ندري قدر ما تصحبنا ، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً .

فقال لهما : اما اني قد ارى مكانه ، ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو

books.rafed.net

إسرائيل عن هارون بن عمران ، فسكتا . . . ثم خرجا .

فلما خرجا خرجن نحن الى رسول الله (ص) ، فقلتِ له : (وكنت أجرأ عليه منا) من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم ؟ فقال : خاصف النعل . . .

فنزلنا فلم نر احداً إلا علياً . فقلت يا رسول الله : ما أرى إلا علياً . . . فقال : هو ذاك . . . يا عائشة . . . .

فقالت عائشة : نعم اذكر ذلك . . .

عندها قالت السيدة ام سلمة : فأي خروج تخرجين بعد هذا ؟ ! فقالت : إنما اخرج للإصلاح بين الناس [1] .

ولما رأت السيدة ام سلمة ان موقف رفيقتها السيدة عائشة موقف عناد . . . وإصرار . وقد أزمعت الخروج الى البصرة ، التي كانت فيها وقعة (الجمل) الشهيرة . ولم يثنها عن عزمها شيء كتبت اليها رسالة طويلة تعبر فيها عن مدى اسفها . . . وعدم الأخذ بالروية والتعقل والحكمة [2] .

والسيدة ام سلمة راوية جليلة من راويات الحديث وقد روت عن النبي (ص) وعن فاطمة الزهراء عليها السلام وروى عنها جل مشايخ المسلمين وكثير من الصحابة المعروفين .

وقد توفيت بالمدينة المنورة (يثرب) عن عمر يناهز الأربع وثمانين سنة ، ودفنت بالبقيع رضوان الله عليها .

---

(١) اعلام النساء . عمر رضا كحالة .

(٢) ان رسالة السيدة ام سلمة الى رفيقتها السيدة عائشة قد ذكرها بالتفصيل اكثر المؤرخين ، وأصحاب السير .

books.rafed.net

فاطمة بنت الرسول (ص)

في منـــاخ الايمـــان والعقيـــدة يســـمو الانســـان ، وتتهـــاوى ســـدود انانيتـــه ، وتـــتحطم حدود فرديته وحواجز المادة الطاغية .

فـــاذا تجـــرد الانســـان مـــن الادران والشـــوائب ، يشـــف اهايـــة ، وتشـــع نورانيتـــه ، ويتجاوز الزمان والمكان الى الديمومة والخلود .

وبالعقيـــدة الراســـخة ، والايمـــان القـــوي ، والاخـــلاق الفاضـــلة ، ترتفـــع اعمـــدة الحضـــارة والتمـــدن والرقـــي ، وتبـــنى قصـــور القـــيم ، وتتـــألق الحقيقـــة ويعـــم الوجـــود فيض من النور .

أجـــل في منـــاخ الإيمـــان والعقيـــدة ، نشـــأت فاطمـــة الزهـــراء عليهـــا الســـلام ، وترعرعـــت في كنـــف ابيهـــا الرســـول الاعظـــم (ص) ، ورعايـــة أمهـــا خديجـــة أم المؤمنين (رضى) . وقد اغدقا عليها العطف والحنان مما يفوق الوصف .

رضـــعت عليهـــا الســـلام مـــن ثـــدي الإيمـــان ، وربيـــت في حجـــر الاســـلام ونهلـــت مـــن المعـــين الصـــافي ، فكـــان الرســـول الاعظـــم (ص) الوالـــد العطـــوف ، والمـــربي الشفوق ، والمعلم الكريم ، والمؤدب الحليم .

كانـــت حيـــاة فاطمـــة (ع) مليئـــة بالاحـــداث ، حافلـــة بالمصـــاعب والمتاعـــب ، مشحونة بالمحن والآلام .

منـــذ طفولتهـــا ذهبـــت مـــع ابويهـــا العظيمـــين الى شـــعب ابي طالـــب ، ولاقـــت هنـــاك علـــى طفولتهـــا مـــن شـــظف العـــيش ، وشـــدة الحصـــار ، واذيـــة قـــريش ، مـــا لا يتحملـــه

books.rafed.net

جسمها الصغير ، وينوء تحت عبئة الشيخ الكبير .

ولكن الخطب الفادح الذي ألمَّ بها وهي بعد لم تتهيأ للأحداث ، هو موت امها خديجة (رض) على مرأى منها ومسمع ، فقد اقض مضجعها ، وترك جرحاً عميقاً في القلب ، وحسرة ولوعة في النفس ، وعبرة حرّى تترقرق في العيون .

بكت الزهراء عليها السلام عند موت والدتها ، بحسرة ولوعة ، لا سيما عندما شاهدت ذلك النور . . ينطفىء . . . ورأت وميض الحياة يخبو في عينيها ، بعدما احتدم اعواماً متتالية بالكفاح في سبيل الاسلام .

بكت الزهراء (ع) لرحيل امها التي نامت مستقرة تحت ثرى مكة وخلفت الدنيا من وراءها ، وقد امتلأت بالنفاق والشنئآن . والتاريخ مشغول باعظم حدث اهتزت له اركان الجزيرة بل العالم اجمع ألا وهو الاسلام والرسالة المحمدية . . .

اجل رحلت خديجة وخلفت التاريخ يرصد الساعات بل الدقائق من حياة الزوج الكريم وللرسول العظيم تلك الحقبة الحافلة بمشاق اعباء الرسالة والجهاد الاكبر في سبيل الدعوة الى الاسلام وتعاليمه .

بكت الزهراء امها خديجة احرَّ بكاء ، بكتها من قلب ملهوف وفؤاد مكلوم ، حتى تقرحت اجفانها . .

ولكن الذي هون عليها الخطب هي ان تجد والدها الرسول الكريم يحنو عليها ، ويغمرها بعطفه الفياض ، ويجعلها كنفسه حيث يقول : (فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة

books.rafed.net

غير نسبي وسببي وصهري [1] .

الهجرة الى المدينة (يثرب)

هاجرت فاطمة عليها السلام الى المدينة لتلتحق بأبيها النبي (ص) حيث كانت لا يقر لها قرار إلا بقربه ، ولا يهدأ لها بال إلا بظله . ولا غرابة في ذلك فالنبي العظيم (ص) في ابوته الرحيمة ، وانسانيته العالية ، وحنانه الفياض ، قد غمر الزهراء مزيداً من العطف والحب حتى ينسيها ذلك الشعور المرير المشحون بالوحشة لفراق امها .

ذكر أكثر أهل السير وأصحاب التاريخ : أن النبي (ص) أمر علياً (ع) قبل هجرته بالمبيت على فراشه . وأوصاه ان يلحق به مع النساء بعد تسليم الودائع والامانات الموجودة عند الرسول لأهلها .

وبعد هجرة النبي (ص) الى المدينة ، نفذ الامام علي (ع) امر الاموال والودائع ، ثم هيأ للنساء الرواحل ، واخرجهن من مكة في طريقه الى المدينة ، واشار الامام علي (ع) على المؤمنين ان يتسللوا ليلاً الى ذي طوى ، حيث يتوجه الركب منها باتجاه المدينة .

ولكن الامام علي (ع) خرج بالفواطم في وضح النهار غير مبال بالمخاطر اعتماداً منه على شجاعته واتكاله على الله .

وكان معه الفواطم وهن . . . فاطمة الزهراء بنت محمد عليه الصلاة والسلام . .

---

(١) ينابيع المودة . للقندوزي الحنفي . ص . ٢١٩ .

books.rafed.net

وفاطمة بنت الحمزة . . . وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب . وكان معه ايضاً : ام ايمن وابو واقد الليثي . . .

فجعل أبو واقد يجد السير مخافة ان تلحق بهم قريش ، وتحول بينهم وبين اتمام المسير . فقال له علي (ع) :

أرفق بالنسوة يا أبا واقد وتمهل . . وارتجز علي يقول :

ليس إلا الله فارفع ظنكا يكفيك رب الخلق ما اهمكا

وقد روي عن هجرة الزهراء (ع) الى المدينة غير هذا النحو تقول الدكتورة بنت الشاطىء : [1] .

« هاجر النبي الى يثرب وعلى أثره هاجر علي بن ابي طالب وكان قد تمهل ثلاثة أيام بمكة ريثما أدى عن النبي المهاجر الودائع التي كانت عنده للناس .

وبقيت فاطمة واختها ام كلثوم حتى جاء رسول من ابيهما فصحبهما الى يثرب ، واغلقت دار محمد بمكة كما أغلقت دور المسلمين فيها هجرة ، ليس فيها ساكن .

ولم تمر رحلتها بسلام : فما كادتا تودعان أم القرى وينفصل الركب بهما ، مستقبلاً طريق الشمال ، حتى طاردهما اللئام من مشركي قريش ، وباء الحويرث بن نقيذ بن عبد بن قصي ، وكان ممن يؤذي أباهما النبي بمكة باثم اللحاق بهما حتى نخس بعيرهما فرمى بهما الى الأرض .

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة . الدكتورة بنت الشاطىء : وقد ذكروا هجرتها (ع) على عدة أوجه والله العالم .

books.rafed.net

وكانت فاطمة (ع) يومئذ ضعيفة نحيلة الجسم قد أنهكتها الأحداث الجسام التي لقيتها قبل ان تمتلىء شبعاً ورياً .

وترك الحصار المنهك أثره في صحتها ، وان زاد في معنويتها قوة على قوة . فلما نخس بها « الحويرث القرشي » فرمى بها واختها على اديم الصحراء الاوعث ، سارت بقية الطريق متعبة الى ان بلغت المدينة . وما تكاد ساقاها تنهضان بها .

فلم يبق هناك من لم يلعن الحويرث . وسوف تمر السنوات وابوها الرسول (ص) لا ينسى الفعلة الشنعاء الآثمة ، بل سنراه في العام الثامن للهجرة . يذكر « الحويرث » يوم الفتح الاكبر . ويسميه مع النفر الذين عهد النبي الى امرائه ان يقتلوهم وان وجدوا تحت استار الكعبة .

وكان علي بن ابي طالب احق هؤلاء الامراء بقتل الحويرث وقد فعل . » .

books.rafed.net

زواج فاطمة من علي عليهما السلام :

في المدينة المنورة ، وفي بيت الرسول العظيم أقامت فاطمة عليها السلام ، تملأ بيت أبيها بعد الوحشة ، وتسهر على راحة ، ذلك الوالد العظيم ، بكل سرور واعتزاز . وقد سبحت عليها السلام شاكرة الباري سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه وهي ترى أباها النبي عليه وآله الصلاة والسلام في أعز موضع مع أصحابه الذين يفدونه بالمهج والأرواح .

وكان رسول الله (ص) قبل وصول الزهراء إلى المدينة بمدة وجيزة آخى بين المهاجرين والأنصار وذلك لحكمة بالغة حتى لا يشعرون بوحشة الاغتراب وتجتمع كلمتهم ويشد ازر بعضهم بعضاً .

وفي السنة الثانية للهجرة من شهر رمضان المبارك ، زوج النبي (ص) ابنته فاطمة من علي عليه السلام وبذلك أصبح علي صهر النبي . . وابن عمه . وأخاه .

ويذكر أهل السير ، انه لما عزم النبي على تزويج علي بن أبي طالب من ابنته فاطمة الزهراء عليهما السلام ، جمع الصحابة وخطب فيهم قائلاً [1] « الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع سلطانه ، المرغوب عن عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد (ص) وإن الله تبارك وتعالى اسمه وتعالت عظمته ، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وانتهج بها الارحام وانتظم بها الانام وقال عز من قائل : « **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ**

---

(١) ينابيع المودة . للقندوزي . الحنفي . ص . ٢٠٧ .

رَبُّكَ قَدِيرًا » فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قدر اجل ولكل اجل كتاب ، يمحو الله ويثبت ويحكم ما يريد وعنده أم الكتاب » .

ثم قال عليه الصلاة والسلام : « ان الله امرني ان أزوج فاطمة بعلي ابن ابي طالب ابن عمي ، فاشهدوا اني قد زوجته بها » . ثم قال :

« يا علي إن الله تبارك وتعالى أمرني ان ازوجك فاطمة ، اني قد زوجتكما على اربعمائة مثقال فضة » فقال علي : « قد رضيتها يا رسول الله ورضيت بذلك عن الله العظيم ورسوله الكريم » ثم ان علياً خر ساجداً لله شكراً ، فلما رفع رأسه قال له رسول الله (ص) جمع الله شملكما وأعز جدكما واطاب نسلكما وجعل نسلكما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وامن الأمة وبارك الله لكما وبارك فيكما وبارك عليكما وأسعدكما وأخرج منكما الكثير الطيب .

« اللهم انهما مني وأنا منهما ، اللهم كما اذهبت عني الرجس وطهرتني فاذهب عنهما الرجس وطهرهما . . . وطهر نسلهما » .

وقد ذكر جميع المؤرخين زواج فاطمة الزهراء عليها السلام بنفس المعنى وبالفاظ مختلفة .

وبعد الخطبة قال النبي (ص) : يا علي لا بد للعرس من وليمة ، فقال سعد بن عبادة : عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار اصوعاً من الاذرة فلما كانت ليلة البناء قال النبي عليه الصلاة والسلام : يا علي لا تحدث شيئاً حتى آتيك ، فأتى اليهما فدعا بماء فتوضأ منه ثم انضحه على علي وفاطمة وقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما وبارك في شملهما [1] .

---

(١) ينابيع المودة . للقندوزي . الحنفي .

books.rafed.net

وفي طبقات ابن اسعد قال : « احتفل بنو عبد المطلب بهذا الزواج كما لم يحتفلوا بزواج مثله من قبل وجاء حمزة عم محمد وعلي بشارفين فنحرهما وأطعم الناس .

ولما انقضى الحفل وانصرف المهنئون دعا الرسول أم سلمة . . . وعائشة وبعض أمهات المؤمنين وطلب منهن أن يمضين بالعروس إلى بيت علي (ع) .

وبعد صلاة العشاء ذهب النبي (ص) إلى بيت علي وهناك تجلت عاطفة الأبوة الصحيحة ، وحنانه الفياض وحبه لفاطمة وزوجها عليهما السلام .

دعا الرسول بماء فقرأ عليه بعض آي الذكر الحكيم ثم أمر العروسين أن يشربا منه وتوضأ بالباقي ونثره على رأسيهما وهو يقول : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما » [1] .

لقد استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه الكريم في تلك الساعة فبارك الله لعلي وفاطمة عليهما السلام في هذا الزواج السعيد وحصر ذرية النبي المختار في أولاد ابنته وحبيبته فاطمة الزهراء .

لم يتمالك الرسول إلا أن أرسل دموعه عندما قبل فاطمة وهي تبكي شأن كل انثى فارقت بيت أبيها ومرتع طفولتها وملاعب صباها .

ولما هم عليه الصلاة والسلام بالانصراف انحنى على فاطمة بكل عطف وحنان قائلاً : لقد تركتك وديعة عند أول الناس إسلاماً وأقوى الناس ايماناً وأكثرهم علماً وأفضلهم اخلاقاً [2] « أما والله يا فاطمة لقد زوجتك سيداً في

---

(١) طبقات ابن سعد الكبرى .

(٢) طبقات ابن سعد الكبرى .

books.rafed.net

الدنيا والآخرة » [٣] .

بيت الزوجية :

انتقلت فاطمة إلى المرحلة الثانية من حياتها ربة البيت وأم الأولاد ، بيت متواضع يسرح الإيمان في اجوائه ، وترقد السعادة في جنباته ، يرعاه زوج كريم الخلق ، عظيم الشأن ، في الدنيا والآخرة .

وعلى مر السنين يمتلىء البيت بالأولاد من بنين وبنات يحوط الجميع رعاية الرسول الأعظم (ص) .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء : « لا أصف هنا ما كان لهذا الحب الأبوي من أثر عميق في اسعاد « فاطمة » التي أرهقها الحزن وانهكها العبىء شابة » .

بل لا اصف هنا مدى ما بعث في حياتها الزوجية التي عرفنا خشونتها وقسوتها مادياً ، من بهجة وانس وإشراق . فلقد اسعد « فاطمة » ان تكون أماً لهذين الولدين الاثيرين عند ابيها (ص) ، وارضاها أن تستطيع بفضل الله أن تهيء لأبيها الحبيب بعد ان انتقلت من بيته هذه المتعة الغامرة ، التي يجدها في سبطيه الغاليين .

ولم يكن « علي كرم الله وجهه » أقل منها سعادة وغبطة . لقد سره بل ازدهى ان تتصل به حياة ابن عمه النبي (ص) هذا الاتصال الوثيق . فيمتزج دمه بدم النبي الزكي ، ليخرج من صلبه ذرية سيد العرب ، وبنو بنته الزهراء ، ويذهب دون الناس جميعاً بمجد الأبوة لسلالة النبي وآل بيته الاكرمين » [٢] .

---

(١) ينابيع المودة . للقندوزي الحنفي .

(٢) تراجم سيدات بيت النبوة . الدكتورة بنت الشاطىء .

books.rafed.net

« وعن ابن عباس قال : لما نزلت الآية . « قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ » قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : علي . . . وفاطمة وابناهما وان الله تعالى اجرى عليكم المودة واني سائلكم غداً عنهم » [1] .

وعن علي قال : كنا مع النبي (ص) في حفر الخندق ، إذ جاءته فاطمة بكسرة من خبز . . . وقالت : اخبزت لابني وجئتك منه هذه الكسرة فقال : بنيه انها أول طعام دخل في فم ابيك منذ ثلاثة أيام [2] .

وفي رواية الحافظ الاصبهاني عن علي عليه السلام قال [3] : « كانت فاطمة ابنة رسول الله (ص) أكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجرت بالرحاء حتى اثرت الرحاء بيدها واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها ، وقمت البيت أغبرت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها ، وأصابها من ذلك ضر .

فاتت النبي (ص) تسأله خادماً ، فقال : لا اعطيك وأدع أهل الصفة [4] تطوي بطونهم من الجوع . أولا ادلك على خير من ذلك ؟ !

إذا آويت إلى فراشك ، تسبحين الله تعالى ثلاثا وثلاثين وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين ، وتكبرينه اربعاً وثلاثين » .

أقول : ان المشاق التي لاقت الزهراء (ع) وحياة الكفاح المستمرة زادتها

---

(١) ينابيع المودة . للقندوزي الحنفي .

(٢) ينابيع المودة . للقندوزي الحنفي .

(٣) حلية الأولياء . للحافظ الاصبهاني .

(٤) أهل الصفة . هم فقراء المسلمين المعدمين ، كانوا يجلسون في المسجد النبوي الشريف ينتظرون معونة الموسرين اليهم من طعام وغيره .

books.rafed.net

ايمانـاً ، وشـظف العـيش لم يـؤثر علـى صـحتها وهـي تكـدح في الليـل والنهـار جاهـدة في توفير أسباب الراحة لزوجها وبنيها .

كـل هـذه المتاعـب كانـت تتلاشـى بسـرعة الـبرق عنـدما تـرى والـدها الرسـول العظـيم ، يغمرهـا بفـيض مـن الحنـان الأبـوي الـذي يضـيء حياتهـا سـعادة وحبـوراً . وتأخـذها النشـوة وهـي تـرى أبيهـا المصـطفى في عظمتـه يحوطهـا برعايتـه ويغمرهـا مع ولديها السبطين بانقى الحب وأصفى الحنان .

وكيـف يغيـب عـن ناظريهـا مـرأى النـبي المختـار وهـو يمشـي في أسـواق المدينـة حـاملاً حفيـده علـى كتفـه ، حـتى إذا وصـل إلى المسـجد النبـوي الشـريف وقـام للصلاة ، وضعه إلى جانبه في رفق . . . وأقبل يؤم الناس .

وكيف لا تزهو وهي ترى أولادها يملؤن دنيا الرسول بهجة وسروراً . . .

الحسـنان ولـداه . . . وهـو الوالـد . . . النـبي البشـر ، الـذي يـرقص قلبـه الشـريف فرحـاً وهـو يسـمعهما وهمـا يقـولان جـداه . . أو يـا ابـتي ، هـذه اللفظـة السـحرية الـتي شـاءت الأقـدار أن تحـرم النـبي (ص) منهـا . . . ونـراه يتلهـف علـى سماعهـا ولنسـمعه يقـول دائمـاً . . . ولـداي هـذان سـيدا شـباب أهـل الجنـة . ولا يعـبر عـن الحسنين إلا بكلمة . ولداي . .

حب الرسول (ص) لابنته فاطمة :

لقـد ذكـر أكثـر أهـل التـاريخ حـب رسـول الله (ص) لابنتـه فاطمـة ففـي روايـة : دخـل النـبي (ص) علـى فاطمـة وهـي تطحـن وعليهـا كسـاء مـن وبـر الابـل ، فبكى وقال : « تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا . . . لنعيم الآخرة » .

books.rafed.net

واقبلت فاطمة فوقفت بين يدي أبيها عليه الصلاة والسلام فنظر اليها وقد ذهب الدم من وجهها ، وعليها صفرة من شدة التعب والجوع فقال الرسول (ص) : ادن مني يا فاطمة ، فدنت حتى قامت بين يديه ، ورفع يده الشريفة حتى وضعها موضع القلادة ، وفرج بين أصابعه ثم قال :

« اللهم مشبع الجماعة . رافع الضيق ، ارفع فاطمة بنت محمد . » [1]

وقالت عائشة : ما رأيت أحداً كان اشبه كلاماً وحديثاً برسول الله (ص) من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه قام اليها فقبلها ورحب بها ، كما كانت تصنع هي به (ص) .

وسئلت عائشة (رض) : أي الناس كان أحب إلى رسول الله (ص) ؟ قالت : فاطمة ؛ قيل : ومن الرجال ؟ قالت : زوجها .

وقالت عائشة (رض) ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها [2] .

« ان الزهراء (ع) لا تنسى موقف أبيها الرسول ، وقد أخذ بكتفي الحسين وهو صغير وقدماه على قدميه (ص) يرقصه قائلاً : « ترق . . . ترق » فما يزال الصبي الصغير حتى يضع قدميه على صدر جده الشريف ، فيقول له الرسول : افتح فاك . . . فيفتحه . . . فيقبله « ص » وهو يقول : « اللهم احبه فاني احبه » .

« محمد الإنسان البطل بشراً ورسولاً » [3] .

---

(١) طبقات ابن سعد الكبرى .

(٢) السيرة الحلبية . برهان الدين الحلبي .

(٣) تراجم سيدات بيت النبوة الدكتورة بنت الشاطىء .

books.rafed.net

وهل تنسى الزهراء « ع » أبيها الرسول « ص » وقد وقف يخطب بجمع من المسلمين فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان احمران ، وهما يمشيان ويعثران ، فما كان من الرسول الأعظم « ص » إلا ان قطع كلامه ونزل عن المنبر وحملهما ووضعهما بجانبه بكل رفق وحنان ثم التفت إلى الناس معتذراً :

« صدق الله سبحانه حيث يقول : « انما أموالكم وأولادكم فتنة لكم » ، لقد نظرت إلى هذين الصغيرين ، يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما إلي » .

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تواترت بها الانباء من أصحاب التواريخ وأهل السير . وكلها تحدثنا عن ذلك الحب الكبير الذي يكشف عن جانب من عظمة ذلك النبي المختار .

فاطمة الزهراء مع أبيها يوم فتح مكة :

مرت الأيام هنيئة صافية ، واحست سيدة النساء فاطمة الزهراء بالسعادة تغمر كيانها وهي ترى نور الإسلام قد أضاء القسم الأكبر من الحجاز ، وتشاهد أياها الرسول عليه الصلاة والسلام في جهاده المؤيد بنصر من الله سبحانه .

لقد احست بالغبطة عندما رأت جبابرة الجزيرة تخضع لسلطان الإسلام ، وتدين برسالة أبيها محمد « ص » .

وها هو الرسول العظيم ، يتأهب للسفر إلى فتح مكة . . حرب قريش الظالمة . إلى الوطن الحبيب الذي فارقه منذ ثمانية أعوام مهاجراً بعدما قاسى مر العذاب .

والزهراء « ع » لا تطيق البعد عن أبيها ، وقد اسبغ عليها من آيات

books.rafed.net

حبه « ص » ، وعلى زوجها وولديها ما لا نستطيع أن نصفه .

اتت الزهراء « ع » تطلب من أبيها « ص » مرافقته إلى البلد الأمين ، إلى مسقط رأسها مكة المكرمة ، فإذن لها ، حتى تظل بقربه تنعم بعطفه وحنانه . .

وطافت الذكريات ، وتوالت المرئيات أمام عيني بضعة الرسول ، وسيدة النساء ، وراحت تسائل نفسها وتقول : ترى هل تزال مكة كما تركناها منذ ثمانية أعوام ؟ . أم تغيرت . . . ودار الأهل والأحبة . . . هل محت يد الحدثان من معالمها شيئاً ؟ . . . أم غدا عليها العدو فصيرها خراباً بلقعاً .

وملاعب الصبا . . . أما تزال تذكر من رحل عنها من المؤمنين الأحباب الصالحين ؟ . . . أم نسيتهم على مر الأيام وتطاول الأعوام ؟

وتذكرت الكعبة الشريفة ، التي شهدت أول صلاة اقيمت . . . وشهدت قريشاً وهي تكيل الأذى لأبنها البار محمد « ص » . . .

وتذكرت عليها السلام ، قبر أمها خديجة الكبرى ، وقبر أبي طالب كفيل النبي « ص » ، وغير ذلك من سيرة الأهل والأحباب .

وفي غمرة ذكرياتها ، تراءت لها قريش مع عتوها وعنفوانها وكبريائها ، ترسل أحد زعمائها إلى المدينة المنورة لتفاوض النبي « ص » على تمديد الهدنة التي تم الاتفاق عليها في الحديبية في العام السادس من الهجرة .

أرسلت قريش زعيمها أبا سفيان إلى الرسول العظيم ليفاوضه ، ويستأمنه ، بعد ان اخلت قريش بالشروط التي تم الاتفاق عليها في (الحديبية) وساعدت بني بكر أحلافها . . . على خزاعة حليفة النبي « ص » .

books.rafed.net

وهـا هـو محمـد مـع المسـلمين قـد اصـبحوا قـوة لـيس بامكـان قـريش او غيرهـا مـن القبائل تجاهلها .

قريش تنتدب ابا سفيان لمفاوضة النبي (ص)

أرسـلت قـريش ابـا سـفيان بـن حـرب حامـل لـواء المشـركين ، وعـدو محمـد والمسـلمين ، وزوج آكلـة الاكبـاد « هنـد » الـتي صـنعت بشـهداء « أحـد » مـا تقشـعر لـه الابـدان . ومثلـت بحمـزة عـم النـبي ، ولاكـت كبـده فلـم تستسـيغها . عـلاوة علـى انهـا راحـت تغـري قومهـا ، بنـبش قـبر آمنـة بنـت وهـب . . . أم محمـد « ص » اشـتفاء . . . وحقداً [1] .

لقـد تـألم أبـو سـفيان لمـا رأى مـا بلـغ مـن نفـوذ النـبي وارادتـه الـتي اصـبحت هـي الارادة العامـة ، وسـاءه ان يـرى المسـلمين وقـد اصـبحوا قـوة هائلـة لا يمكـن لقـريش مقاومتها ، وراعه تأهب « محمد » لحرب قريش ، وفتح مكة .

اتـى ابـو سـفيان الى المدينـة سـفيراً لقـريش ، فـرأى مـن قـوة الاسـلام وضـخامة اسـتعداد الجـيش العظـيم ، المعبـأ للزحـف علـى قـريش وفـتح مكـة المكرمـة ، مـا روَّعـه واذهلـه ، فلـم يـدرِ مـا يفعـل ، او يقـول . . . بـل وقـف ذاهـلاً يشـحذ فكـره ، ويلـم شـتات رأيـه ، ليجـد لـه منفـذاً ، او حيلـة يصـل بهـا الى محمـد . . . ويكلمـه في أهل بلده وعشيرته .

دخـل ابـو سـفيان علـى ابنتـه رملـة « ام حبيبـة » وهـي زوجـة رسـول الله (ص) ، فمـا كـاد يهـم بـالجلوس علـى فـراش كـان بحجرتهـا ، حـتى اسـرعت وطوتـه ، فقـال لهـا :

---

(١) سيرة النبوية لابن هشام .

books.rafed.net

ارغبت بهذا الفراش عني . . . أم رغبت به عليّ ؟ فأجابته أم حبيبة : هذا فراش رسول الله (ص) طاهر ، وانت رجل مشرك نجس ، يعادي المسلمين ، ويكيد للاسلام :

خرج ابو سفيان من عند أم حبيبة وقد اظلمت الدنيا في عينيه ، وزاد غمه ، وحزنه ، لهوانه حتى على ابنته ، ولم يكن يتصور ان الاسلام يجعل للمسلمين هذه الصلابة .

وكاد ييأس . . . وعظمت عليه ان يرجع خائباً ، وكيف يقابل قريشاً ، وسخريتها به (وهو الآمر . . . الناهي) وكيف يغطي فشله الذي كاد ان يخنق انفاسه . . . وما الحيلة ؟

وفي خضم حيرته لمع في خاطره بارقة أمل . . . لماذا لا يذهب الى علي بن ابي طالب . . . فهو الوحيد الذي ربما يصغى اليه محمد (ص) .

ان علياً وزوجته الزهراء من اقرب الناس الى قلب محمد ، واحبهم اليه . وما ان وصل الى هذا الحد من التفكير ، حتى تنفس الصعداء ، وتوجه على الفور ، الى دار علي بن ابي طالب (ع) ، ولما دخل قال له :

« يا ابا الحسن انك اقرب الناس اليّ ، وامس القوم بي رحماً ، واني قد جئتك في حاجة ، لا أجد لها غيرك فلا تردني خائباً » .

فقال له الامام علي « ع » . . . تكلم ما حاجتك ؟ فقال حاجتي أن تشفع عند ابن عمك رسول الله (ص) في نجاح مهمتي حتى أرجع الى قريش . . .

ردَّ عليه الامام علي قائلا ! ويحك يا ابا سفيان ، والله ان رسول الله ان عزم على امر لا يستطيع احد من الناس ان يكلمه .

books.rafed.net

وقف ابو سفيان يتحرق لوعة وتوجه الى الباب لينصرف وقد اظلمت الدنيا في عينيه ، والتبست عليه الامور ، ثم لم يلبث ان وقف وقال بأنكسار :

« يا ابا الحسن ، اني ارى الأمور قد اشتدت علي ، وأرى الزمان الذي كنت فيه آمراً . . . وناهياً قد ولى ، فلا تبخل عليَّ في ارشادي ونصحي » . .

ولاحت لابي سفيان بارقة أمل اخرى ، لماذا لا يكلم الزهراء . . . ألم تشفع اختها زينب لزوجها ابي العاص بن الربيع يوم كان مشركاً . . .

ان الزهراء ابنة محمد ، واحب خلق الله اليه ، ذات القلب الرحيم ، وتوجه الى فاطمة ، وكان الحسن والحسين يدبان بين يديها ، ويعثران فقال لها :

« يا ابنة محمد ، هل لك ان تأمري احد ولديك هذين فيجير بين الناس ؟ . . . ويكون سيد العرب الى آخر الدهر . اجابت الزهراء (ع) بكل هدوء ووقار : والله ما بلغ ولدي هذا أن يجير بين الناس . وما يجير أحد على رسول الله (ص) .

وابت الزهراء أن تتدخل مع أبيها في مثل هذه الأمور ولكن أبا سفيان ظل يلح عليها ويتوسل اليها بولديها ، ونبرات صوته تتقطع من الفشل والخيبية وفاطمة « ع » بقيت على موقفها السلبي منه .

وعاد زعيم المشركين يتحدث مع علي ، وقلبه يتفطر ويقول له بكل انكسار : لا أدري بأي لسان ارجع إلى قريش ، وقد عقدت علي الأمال ، واوفدتني إلى محمد ، وهي ترجو ان لا ارجع اليها أجر أذيال الخيبة والخسران .

قال له الإمام (ع) : والله لا أرى لك مخرجاً غير ان تقوم على ملأ من الناس ، فتجير بين الفريقين من سادة كنانة ، ومع هذا فإني لا اظن ان

books.rafed.net

ذلك يجديك نفعاً .

خرج أبو سفيان حتى انتهى إلى جمع من المسلمين ، فصاح : ألا اني قد اجرت بين الناس ، ثم دخل على النبي وقال : لا اظنك ترد جواري يا محمد . . . فلم يزد النبي (ص) في جوابه على قوله : انت تقول ذلك .

واتجه أبو سفيان نحو مكة ، وهو يتعثر باذيال الفشل والخذلان .

حدث كل هذا وفاطمة « ع » واقفة تسبح الله وتمجده . وهي ترى ابا سفيان رأس الشرك ، يتململ ذليلاً بين أيدي المسلمين ، ويرجع أخيراً بالفشل والخسران المبين .

وقفت عليها السلام مزهوة بانتصار الحق على الباطل والإيمان بالله . . . على الشرك والضلال . وعادت بها الذاكرة يوم كانت مع أبيها بمكة قبل سنوات ثمان ، فتذكرت الزهراء مواقف قريش ، كيف كانت تطارد النبي وأصحابه المسلمين ، بشتى أنواع الاساءة والأذى . . حتى خرج صلوات الله عليه في جوف الليل متجها نحو يثرب التي وجد فيها أنصاراً له مخلصين عاهدوه على بذل المهج والأرواح ، ليمنعوه من قريش وأحلافها ، ومن كل من يضمر للاسلام كيداً .

دخول جيش المسلمين مكة

سار النبي (ص) في عشرة آلاف من المسلمين ، ميمماً شطر مكة المكرمة ، ولواؤه مع ابن عمه وصهره ووصيه علي ابن ابي طالب (ع) .

ومن قبل كان عليّ حامل « العقاب » في خيبر وهي اول راية للرسول

books.rafed.net

الأعظم . كما ورد في طبقات ابن سعد .

وكذلك حمل . علي . راية الرسول في غزوة بني قريظة . . . وحمل لواء المهاجرين يوم أحد . وحمل بعد ذلك لواء الرسول « ص » يوم حنين [1] .

وذكر الطبري في تاريخه : « أمر رسول الله سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء » [2] .

وقال سعد حين توجه داخلاً : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة » فسمعها رجل من المهاجرين فقال :

يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة ، وما نأمن أن تكون له في قريش صولة !

فقال رسول الله (ص) : لعلي ابن أبي طالب أدركه فخذ الراية منه ، فكن أنت الذي تدخل بها » .

ودخل رسول الله من اذاخر ، حتى نزل باعلى مكة ، ضربت له قبة هناك قريبة من مثوى خديجة .

كانت الزهراء معه ، خرجت فيمن خرج من النساء المؤمنات ، ترافق أبيها وتشاهد فتح مكة والنصر المبين ، وقد أنساها الفرح الأكبر كل ما ألم بها من تعب وعناء .

ولكن أطياف الماضي أخذت تحوم حولها وتتراآى لها .

---

(١) طبقات ابن سعد الكبرى .

(٢) كداء . جبل بأعلى مكة .

books.rafed.net

تـــذكرت أمهـــا خديجـــة (رض) . . . وعمهـــا أبـــا طالـــب ، واختيهـــا زينـــب ورقيـــة وقـــد هاجرتـــا مثلهـــا مـــن مكـــة ، ولكـــن إلى غـــير رجعـــة . . لقـــد رقـــدتا تحـــت ثرى المدينة المنورة .

وهـــا هـــي (الزهـــراء) ترجـــع وحـــدها مـــع أبيهـــا الفـــاتح العظـــيم وزوجهـــا البطـــل الكبـــير ، وكـــم تمنـــت لـــو أن أمهـــا . . . وعمهـــا وجميـــع الأحبـــاب المفقـــودين يشـــاركونها الفرحة الكبرى بالنصر المبين .

انهملـــت الـــدموع مـــن عينيهـــا غزيـــرة ، فقـــد هاجـــت بنفســـها الأشـــجان ، وبقيـــت مـــع أطيافهـــا وهـــي تقـــترب مـــن أم القـــرى وفي غمـــرة شـــجونها وأســـاها ، صـــحت مـــن تأملاتها على صوت الحق المنبعث من حناجر المسلمين الفاتحين .

كادت الجبال تتصدع خشية ورهبة . . من هتاف عشرة آلاف مسلم قائلين :

« الله أكـــبر ، الله أكـــبر ، لا إلـــه إلا الله وحـــده نصـــر عبـــده وأعـــز جنـــده ، وهـــزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله والله أكبر » .

وقفـــت عليهـــا الســـلام وهـــي تنظـــر إلى أهـــالي مكـــة ، وطواغيـــت قـــريش . . وهـــم يفـــرون مـــن وجـــه تلـــك الجمـــوع الدافقـــة . . وقـــد اســـتولى علـــيهم الـــذعر والخـــوف والجـــزع . وكـــاد قلبهـــا يطـــير فرحـــاً عنـــدما شـــاهدت أباهـــا النـــبي العظـــيم (ص) بـــين أصـــحابه ، يحفـــون بـــه وهـــو محـــني الـــرأس تواضـــعاً لله وشـــكراً لـــه علـــى مـــا أنعـــم عليـــه سبحانه .

ودخـــل الرســـول (ص) علـــى هـــذه الصـــورة ، حـــتى لتكـــاد جبهتـــه الشـــريفة تمـــس رحـــل الناقـــة . . ورأتـــه عليـــه الصـــلاة والســـلام يوصـــي قـــادة جيشـــه بعـــدم مقاتلـــة أحـــد . ويعلـــن العفـــو عـــن الجميـــع مســـتثنياً أفـــراداً قلائـــل مـــن الرجـــال والنســـاء ،

books.rafed.net

سماهم بأسماهم ، وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة [1] .

وقفت الزهراء (ع) فخورة مزهوة بنصر الله ، وكأن السماء ترعى ذلك الحشد الضخم من المسلمين المجاهدين ، وتحفظ تلك الجموع الملتفة حول القائد الرسول . . .

« وطافت الملائكة تبارك انتصار حزب الله على حزب الشيطان قال تعالى : (فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) » [2] .

وذكر الطبري في تاريخه وابن هشام في سيرته ، أن رسول الله (ص) قام قائماً حين وقف على باب الكعبة ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

الا كل مأثرة [3] او دم او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج . . . إلى قوله (ص) :

يا معشر قريش ، إن الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب . ثم تلا رسول الله (ص) : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم

---

(١) تحت استار الكعبة : مراده عليه الصلاة والسلام لعظيم الذنوب التي اقترفوها . منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح لأنه كان قد اسلم وارتد مشركاً . ومنهم عبد الله بن خطل من تميم ، لأنه قتل مسلماً وارتد مشركا . وكانت له قينتان تغنيان بهجاء الرسول (ص) .

والحويرث بن نقيذ كان ممن يؤذي الرسول (ص) .

ومقيس بن صبابة لأنه قتل الانصاري الذي قتل اخاه خطأ ورجع الى قريش مرتداً . وعكرمة بن ابي جهل . . . وغيرهم . . . ومن النساء : هند بنت عتبة « أم معاوية » التي مثلت بشهداء أحد ولاكت كبد الحمزة . . . وسارة مولاة عمر بن هاشم بن عبد المطلب وغيرهم .

(٢) سورة المائدة . آية . ٥٦ .

(٣) المأثرة : هي الخصلة . او العادة التي تتوارثها الناس ويتحدثون بها .

books.rafed.net

مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

يا معشر قريش ويا أهل مكة ، ما ترون إني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً . . . اخ كريم . . . وابن أخ كريم .

ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . . .

وكانت الزهراء واقفة وعيناها معلقتان بأبيها وقد رأته عليه وآله الصلاة والسلام وسط الجموع الزاخرة وطاف بالبيت الحرام سبعة اشواط ثم جلس برهة يستريح ، ريثما يطمئن الناس اثر موجة الفتح الدافقة .

وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه : « ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله (ص) على الإسلام فجلس لهم على الصفا » .

ولما فرغ رسول الله (ص) من بيعة الرِّجال بايع النساء واجتمع إليه نساء من نساء قريش ، فيهن هند بنت عتبة بن أبي ربيعة وكانت متنقبة . متنكرة لحدثها وما كان من صنيعها (بحمزة) يوم احد .

فهي تخاف أن يأخذها رسول الله (ص) بحدثها ذلك .

فلما دنون منه ، ليبايعنه ، قال رسول الله (ص) : تبايعني على ألا تشركن بالله شيئاً ؟ فقالت هند :

والله إنك لتأخذ علينا امراً ما تأخذه على الرجال ! وسنؤتيكه . قال : ولا تسرقن ؟ قالت : والله إن كنت لاصيب من مال ابي سفيان الهنة والهنة ، وما أدري أكان ذلك حلاً لي أم لا ؟ .

فقال رسول الله (ص) : وإنك لهند بنت عتبة ! ؟

فقالت : انا هند بنت عتبة ، فاعف عما سلف . . . عفا الله عنك .

books.rafed.net

قال : ولا تزنين . قالت : يا رسول الله هل تزني الحرة ؟ ! قال : ولا تقتلن أولادكن ؟ قالت : ربيناهم صغاراً ، وقتلتهم يوم بدر كباراً .

قال الرسول : ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وأرجلكن . قالت والله إن إتيان البهتان لقبيح . . . ولبعض التجاوز امثل .

قال : ولا تعصينني في معروف ؟ قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف . . . الخ .

أقبل المساء بعد نهار حار ، مشحون بالتعب ؛ فرجع الرسول البطل الظافر الى قبته ، حيث كانت تنتظره ابنته الزهراء عليها السلام بفارغ الصبر .

احلام . . . . وتصورات . . . . وذكريات :

لقد تمثلت روح امها الطاهرة تطل من عُلاها ؛ ترعى زوجها الحبيب النبي العظيم في هذا اليوم المشهود . . . يوم النصر .

التفتت الزهراء عليها السلام ، فرأت أبيها النبي بابتسامته المشرقة وعطفه وحنانه ، فهبت تتلقاه مرحبة مهنئة ، ثم تنفست الصعداء وأردفت تقول :

ألا ليت أمي (خديجة) التي بذلت جميع أموالها ، وضحت بالنفس والنفيس لتقوية الإسلام ، ودعم محمد . . . وإرساء قواعد الرسالة المقدسة .

ليتها بقيت الى هذا اليوم المشهود لتقر عينها بمرأى تحطيم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ؛ وجميع الاصنام التي كانت داخل الكعبة المشرفة وعلى سطحها ، وقد تكسرت تحت أقدام المسلمين ، وتحطمت بيد علي أمير المؤمنين .

وليت أمي (خديجة) بقيت الى هذا اليوم : لتشهد معي الفرحة الكبرى ،

books.rafed.net

وتـــرى اولئـــك الطغـــاة ، وقـــد تـــركتهم قبـــل ســـنوات قليلـــة يلاحقـــون النـــبي العظـــيم وأصحابه المسلمين المؤمنين ، ويكيلون لهم أنواع الأذى والاستهزاء .

ليتهـــا تـــراهم اليـــوم كيـــف ضـــرب الله علـــيهم الذلـــة . يلـــوذون بـــالنبي عليـــه وآلـــه الصلاة والسلام ، يتململون بين يديه بكل انكسار مخافة العقاب والقصاص .

ليتهـــا بقيـــت الـــى هـــذا اليـــوم ، لتســـمع صـــوت (بـــلال) تتجـــاوب اصـــداؤه في شـــعاب مكـــة ، وهـــو يهتـــف مـــن علـــى ســـطح الكعبـــة المشـــرفة . . . « أشـــهد أن لا إلـــه إلا الله . . . وأشهد أن محمداً رسول الله . . . » .

ليـــت (خديجـــة) بقيـــت الى الآن ، حـــتى تســـمع صـــوت بـــلال يـــؤذن لصـــلاة الصـــبح مـــن فـــوق الحـــرم الأقـــدس فيخشـــع الكـــون لجـــلال الأذان وروعـــة الـــدعاء . . . وهيبـــة المكـــان . . . ويهـــب المؤمنـــون مـــن مضـــاجعهم ، بكـــل نشـــاط ، ســـاعين الى المســـجد الحـــرام بقلـــوب طافحـــة بالايمـــان ونفـــوس قويـــة بالعقيـــدة ، يســـبحون للخـــالق الـــديَّان وألســـنتهم تلهـــج بالتهليـــل والتكبـــير ، ليـــؤدوا للمـــرة الأولى فريضـــة الإســـلام في البيت العتيق والكعبة المشرفة المطهرة من الأوثان . . . تجلت عظمة الخالق الديان .

لكـــن مشـــيئة البـــاري تعـــالى قضـــت علـــى (خديجـــة) أن ترحـــل عـــن الـــدنيا الزائلـــة وفي قلبهـــا حســـرة . . . وفي نفســـها لوعـــة ، ولكنهـــا رضـــي الله عنهـــا لشـــدة إيمانهـــا علـــى ثقـــة بـــأن النصـــر في النهايـــة حليـــف الإســـلام والنـــبي محمـــد . وأن النـــاس ســـيدخلون في دين الله افواجاً .

وتحلـــو الأيـــام للزهـــراء عليهـــا الســـلام ، لتقضـــي مـــع الرســـول في (مكـــة) أياماً حافلة .

وتســـعد لـــترى معاقـــل الشـــرك تنهـــار تحـــت اقـــدام ابيهـــا الرســـول وتـــرى ايضـــاً فلـــول المشركين لا تجد بديلاً لها عن قبول الدعوة الإسلامية .

books.rafed.net

جاءت نساء الأنصار الى الزهراء يتساءلن . . . هل سيقيم النبي بمسقط رأسه (مكة) وينسى المدينة وأهلها الأنصار ؟ ؟

إن ابتهاج الرسول (ص) بالفتح وإسلام قريش وحرصه على تآلفهم وغبطته بالرجوع الى (مكة) بعد الهجرة والاغتراب مما يثير بالأنصار نوازع القلق والحيرة .

خصوصاً بعدما رأى رجال الأنصار عفو النبي العظيم عن طواغيت قريش ومن والاها .

فقال قائلهم :

« لقد لقي والله رسول الله (ص) . . . قومه ! ! » .

عتب الانصار على الرسول (ص) :

أنشد الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري « يعاتب الرسول (ص) إيثاره قريشاً وغيرها من قبائل العرب « بالعطاء والفيء » دون الأنصار قال حسان ذلك في قصيدة منها :

وأت الرسول وقل يا خير مؤتمن

للمؤمنين إذا ما عُدِّد البشر

علام تدعى « سليم » وهي نازحة

قدام قوم هموا آوو وهم نصروا

سماهم الله أنصاراً بنصرهم

دين الهدى وعوان الحرب تستعر

وسارعوا في سبيل الله واعترفوا

للنائبات وما ضاقوا وما ضجروا

books.rafed.net

والنـــاس ألـــب علينـــا فيـــك ، لـــيس لنـــا

إلا الســـــــيوف وأطـــــــراف القنـــــــا وزر

فمـــا ونينـــا ، ومـــا خنـــا ، ومـــا خـــبروا

منـــا عثـــاراً وكـــل النـــاس قـــد عثـــروا !

وبلـغ سمـع سـيدة النسـاء (فاطمـة) مـا قالـه حسـان . . . ومـا أشـار إليـه مـن الوجـــد الـــذي خـــامر نفـــوس الأنصـــار . . . فقـــدرت أن لهـــذا العتـــاب الصـــريح تفاعلات . . . له ما بعده ، وقفت واجمة حيرى .

ولكنهـا عليهـا السـلام كانـت مطمئنـة إلى أن أباهـا الرسـول (ص) سـوف يجـد لـه مخرجاً ولا يدع الأنصار إلا أن يجعلهم في اطمئنان قريري العين .

ذكر الطبري في تاريخه عن أبي سعيد الخدري قال :

« لمـا أعطـى رسـول الله مـا أعطـى مـن تلـك العطايـا في قـريش وقبائـل العـرب ، ولم يكـن في الأنصـار منهـا شـيء ، وجـد هـذا الحـي مـن الأنصـار في أنفسـهم حـتى كثرت منهم القالة [1] وحتى قال قائلهم :

« لقي والله رسول الله قومه » .

فـدخل عليـه سـعد بـن عبـادة فقـال : يـا رسـول الله ، إن هـذا الحـي مـن الأنصـار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت .

قسـمت في قومـك ، وأعطيـت عطايـا عظامـاً مـن قبائـل العـرب ، ولم يكـن في هذا الحي من الأنصار شيء .

قال (ص) : فأين أنت من ذلك يا سعد . . ؟

---

(١) القالة : الكلام المتداول . السيء .

books.rafed.net

قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي . !

قال : فاجمع لي قومك في الحظيرة . . .

قال : فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة . . .

فجاءه رجال من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعد فقال :

قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله (ص) فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل .

ثم قال : يا معشر الأنصار ما . قالة . بلغتني عنكم ؟

وموجدة [1] وجدتموها في أنفسكم ! ؟

ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالة [2] فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم . ؟

قالوا : بلى . لله ولرسوله المن والفضل . . .

فقال : ألا تجيبوني يا معشر الأنصار . ؟

قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ، لله ولرسوله المن والفضل . . .

قال : أما والله ، لو شئتم لقلتم : فصدقتم ولصُدّقتم ، أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ، . . .

وجدتم في انفسكم يا معشر الانصار في لعاعة [3] من الدنيا ، تألفت بها قلوب قومٍ ليسلموا ، ووكلتكم الى اسلامكم ! ؟

---

(١) المعروف عند اهل اللغة . الموجدة اذا اردت الغضب .

(٢) عالة : جمع عائل . . . وهو الفقير .

(٣) لعاعة : بالضم . . . بقلة ناعمة . . .

books.rafed.net

أفــلا ترضــون يــا معشــر الأنصــار ان يــذهب النــاس بالشــاة والبعــير ، وترجعــوا برسول الله الى رحالكم .

فوالــذي نفــس محمــد بيــده ، لــولا الهجــرة لكنــت إمــرأ مــن الأنصــار ، ولــو ســلك الناس شعباً [1] وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . . . ثم قال :

« اللهمَّ ارحم الانصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا :

« رضــــينا برســــول الله قســــماً وحظــــاً » ثم انصــــرف رســــول الله (ص) ، وتفرقوا » [2] .

بقيت الزهراء (ع) الى جانب أبيها بمكة حوالي شهرين وبعض الأيام . . .

فقــد جــاءت مــع ابيهــا وزوجهــا وجــيش المســلمين الى البلــد الحــرام ، في شــهر رمضــان مــن العــام الثــامن للهجــرة ، وغادرتهــا مــع ابيهــا وزوجهــا والأنصــار الى المدينة المنورة في آخر شهر ذي الحجة من العام نفسه .

لقــد ســعدت الزهــراء (ع) عــامين كــاملين ، ونعمــت بالهــدوء والاســتقرار ، تستجلي طلعة أبيها النبي (ص) في الغدو والآصال تلك الطلعة البهية المشرقة .

وقــد ابتســمت لهــا الأيــام ، فاســتردت بعــض قواهــا ، الــتي ذهبــت بهــا الصــدمات الــتي لاقتهــا في حياتهــا الأولى ، واســتعادت نشــاطها فعكفــت تــوفر الراحــة لزوجهــا الإمــام علــي (ع) . وتبــذل مــا في وســعها لتربيــة أولادهــا « أحفــاد الرســول وأحبابــه وذريته وامتداد نسله » .

---

(١) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٢) كمــا ذكــر هــذه الروايــة الطــبري في تاريخــه ، كــذلك ذكرهــا ابــن هشــام في ســيرته ، وغيرهمــا من أهل التاريخ والسير . . .

books.rafed.net

تاركة شؤون الدار وخدمته لجاريتها (فضة) التي جاء بها الإمام علي (ع) من الغنائم التي نالها في المعارك .

الزهراء (ع) واليقظة المروِّعة :

امتد الحلم الهنيء . . . وابتسمت الأيام . . . وراحت « فاطمة » عليها السلام تنعم في غيبوبة من السعادة والحبور . .

ثم أفاقت من حلمها على ما هز كيانها وكانت اليقظة المروعة .

اشتكى النبي (ص) من مرض ألَّم به في أواخر شهر صفر في السنة الحادية عشر للهجرة .

وكان عليه وآله الصلاة والسلام قد جهز جيشاً لمحاربة الروم وأعدَّ لقيادة هذا الجيش العظيم « اسامة بن زيد » وكان في مطلع شبابه .

أمر النبي جميع المهاجرين والأنصار ان ينضموا إليه . . . وجعل يستحثهم على الخروج . . . ويلح . . . ويقول : « نفذوا جيش اسامة » .

وظن اكثر المسلمين وبنو هاشم انها وعكة طارئة لا تلبث ان تزول ولم يفكر أحد أو يخطر على باله أنه مرض الموت .

ويشتد المرض بالنبي العظيم . . . يوماً بعد يوم ولكن سيدة النساء فاطمة الزهراء لم تكد تسمع بشكوى أبيها ، حتى أجفلت وارتج قلبها . . . وانهارت اعصابها . . . وكأنها والموت على ميعاد .

ألم تسمعه عليه وآله الصلاة والسلام وقد وقف بين اصحابه يعظهم ويقول : أوشك أن ادعى فأجيب .

books.rafed.net

وسمعته في حجة الوداع على جبل عرفات وقد وقف بين المسلمين يقول لهم : (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا) .

ورأته مراراً يخرج الى زيارة القبور ويخاطبهم بكلمات تشعر بدنو أجله .

وما ان سمعت شكواه حتى أسرعت وقلبها يرتجف وقد استولى عليها الحزن . . . والخوف ، ولكنها كانت تتجلد صابرة .

رأته (ص) يجمع اصحابه ، ويوصيهم بأهل بيته خيراً بنصوص كثيرة وفي كتاب ظلال الوحي قوله :

« على ان حياة النبي كانت مفعمة بتلك النصوص ، منذ يوم الانذار في دار ابي طالب فما بعده من الأيام حتى سجي على فراش الموت والحجرة غاصة بأصحابه فقال :

أيها الناس ، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي ، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ، ألا وإني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي ، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال : هذا علي مع القرآن ، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض » [1] .

ورأته عليه الصلاة والسلام يطلب من أصحابه دواة وقرطاساً ، ويلح في طلبه ويكرر قائلاً : « آتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي ابداً . . » .

وخانها تجلدها واصطبارها ، وقد رأت اباها الرسول يتململ من شدة الألم ويأخذ الماء بيده الشريفة ليمسح به رأسه لعله يخفف وطأة الألم . ثم يتأوه قائلاً : واكرباه . . .

---

(١) عن كتاب في ظلال الوحي . للسيد علي فضل الله الحسني .

books.rafed.net

انكبت عليه (الزهراء) تشمه وتصيح . . . واكربي بك يا أبتاه واكربي لكربك يا ابتاه .

وينظر إليها بكل عطف . . . وحنان . . . وإشفاق . ينظر إليها نظرة مودع لهذه الدنيا الزائلة ، المليئة بالهموم والأحزان .

ثم يقول : لا كرب على أبيك بعد اليوم . ويوصيها عليه السلام بالصبر وتقوى الله سبحانه ، وأسرَّ إليها أنه قد حان اجله وأنها أول اهل بيته لحوقاً به . وقال لها « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الامة . فتجلدي . . . واصبري » .

الزهراء (ع) يوم وفاة النبي (ص) :

نزل القضاء الذي لا مفر منه ، ولحق الرسول العظيم بالرفيق الأعلى ، وبقيت الزهراء عليها السلام حزينة كئيبة يتيمة ، لا تجد للسلوان منفذاً إلى قلبها ، ولا تجد الى العزاء سبيلاً .

وعلا الصراخ . . . والعويل من البيت النبوي الشريف ، فعلم أهل المدينة بالمصاب الفادح الأليم ، وراحت الزهراء في غيبوبة أفقدتها الوعي .

ولما أفاقت من غيبوبتها ، وجدت الناس كالبركان الثائر سكارى من وقع المصاب ، حيارى من أمرهم ، فقد انصرف جماعة من الصحابة ، الى « سقيفة بني ساعدة » حيث الانصار قد اجتمعوا يتداولون في امر الخلافة ، وذلك بعدما تأكدوا ان المهاجرين قد اجتمعوا يبرمون الأمر حسب ميولهم وتخطيطهم ، ضد أصحاب الأمر الشرعيين ، الذين نصَّ عليهم الرسول الكريم . . .

وكان بين المهاجرين والأنصار حوار واسع وكلام كثير ، وأخذ ورد ، وكانت النتيجة لصالح « أبي بكر » .

books.rafed.net

وافتقدت الزهراء زوجها علياً عليه السلام ، وأين هو من هذا الخضم ؟ الذي تتعالى أمواجه ، وتتقاذف الناس من المسلمين حسب الأهواء . . . والأغراض . . .

وإذا به عليه السلام قد انصرف مع جماعة ، من خيار الصحابة عن كل شيء ، ولم يعد من هم لهم إلا تجهيز النبي لمثواه الأخير .

حدث كل هذا « وفاطمة » يغشى عليها ساعة بعد ساعة ، لكنها أخيراً جمعت كيانها المشتت . . . وتحاملت على نفسها ، وذهبت تسعى الى قبر الحبيب أبيها الرسول (ص) .

ويا له من منظر يفتت الأكباد ، ويتصدع له الصخر الأصم .

ألقت بنفسها على القبر ، ووقعت مغشياً عليها ، ولما أفاقت من غشيتها صاحت من قلب كئيب :

يا أبتاه . . . أجاب ربا دعاه . . . يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه .

وفي طبقات ابن سعد : أن فاطمة قالت : يا أبتاه ، إن جبريل ينعاه ، يا أبتاه ، مِن ربه ما أدناه ، يا أبتاه من جنان الفردوس مأواه ، يا أبتاه ، أجاب رباً دعاه .

وخنقتها العبرات ، فبكت عليها السلام ، حتى تقرحت أجفانها ، وبكى الناس لبكائها ، ثم استرجعت وقالت :

اغبرَّ آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يماني
وليبكه الطود المعظم جوده ... والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوءه ... صلى عليك منزل القرآن

واستعبرت باكية ، فبكى الناس رفقاً بها وتقطعت قلوبهم حزناً عليها ، وهم ينظرون اليها ، وهي تقلب التراب بين أناملها ، في حركة يائسة ، كمن فرغت من الدنيا ، ثم تأخذ حفنة من تراب القبر ، وتدنيها من عينيها اللتين قرحهما البكاء ثم راحت تشم ذلك التراب وهي تقول متفجعة :

ماذا على من شم تربة احمد ألا يشم مدى الزمان غواليا

صُبَّت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

ورجعت عليها السلام ، مع بعض النسوة الى البيت ، والناس تتبعها بعيون دامعة ، وقلوب متصدعة ، حتى إذا بلغت دارها ، استأذن عليها أنس بن مالك وراح يسألها الصبر والعزاء ، فقالت له معاتبة :

يا أنس ، كيف طابت نفوسكم ، أن تحثوا التراب على رسول الله ؟ ؟

ثم قالت وقد شرقت بدمعها :

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها

وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب

فليت قبلك كان الموت صادفنا

لما نعيت وحالت دونك الكثب

قال ابن شهر اشوب في مناقبه : إن الزهراء عليها السلام ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس ، ناحلة الجسم ، منهدة الركن ، باكية العين ، محترقة القلب ، يغشى عليها ساعة بعد ساعة : تقول لولديها : أين ابوكما [1] الذي كان يكرمكما ويحملكما ؟ أين ابوكما الذي كان من أشد الناس حباً لكما وشفقة عليكما ! !

---

(١) ابوكما : تعني جدهما رسول الله (ص) . كان يحبهما كثيراً وكان لهما بمنزلة الاب . وكان يقول : ولداي هذان سيدا شباب اهل الجنة .

books.rafed.net

ولا تزال تعدد معاملته لهما ، ومواقفه منهما ، حتى يغشى عليها .

جاء في كتاب الأمالي « للصدوق » عن الإمام الصادق (ع) : قال : البكاؤون خمسة : آدم ، ويعقوب ويوسف ، وفاطمة بنت محمد (ص) وعلي بن الحسين زين العابدين (ع) .

فأما آدم : فإنه بكى خوفاً من ربه لما خرج من الجنة .

وأما يعقوب : فإنه بكى على ولده يوسف حتى ذهب بصره ، وقيل له : « تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ » [1] .

وأما يوسف : فإنه بكى على ابيه حتى تأذى منه من كان معه في السجن .

وأما فاطمة بنت محمد (ص) فقد بكت على ابيها حتى تأذى منها أهل المدينة ، وقالوا لها : لقد آذيتنا بكثرة بكائك .

فكانت تخرج الى المقابر ، فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تعود الى بيتها .

وأما علي بن الحسين : فقد بكى على ابيه عشرين عاماً . وقيل اربعين عاماً . وما قُدم له من طعام وشراب ، إلا اشتد بكاؤه ، فيقال له : ألا تأكل ؟ فيقول : كيف آكل ، وأبو عبد الله مات جائعاً ، وكيف أشرب ، وأبو عبد الله مات عطشاناً . . . الخ .

بيت الأحزان :

وقد روى كثير من المؤرخين أن الإمام علي عليه السلام ، لما تضايق أهل المدينة من كثرة بكاء فاطمة ، بنى لها بيتاً في البقيع ، كانت تأوي إليه في

---

(١) سورة يوسف آية ٨٥ .

books.rafed.net

ساعات من الليل والنهار ، تبكي اباها الرسول (ص) ما شاء لها . وسمي هذا البيت بيت الأحزان .

وفي كتاب (أهل البيت) [1] ان بيت الأحزان ، هو الموضع المعروف بمسجد فاطمة ، من جهة قبة مشهد الحسن ، والعباس ، الى ان يقول : وإليه أشار ابن جبير بقوله : « ويلي القبة العباسية بيت فاطمة الزهراء بنت الرسول ، ويعرف ببيت الأحزان ويقال انه هو البيت الذي آوت إليه والتزمت الحزن فيه ، منذ وفاة ابيها الى ان لحقت به » .

وجاء بنو هاشم وخيار الصحابة الى الزهراء عليها السلام ، يسألونها الصبر . . والعزاء ومن أين لها بالصبر والعزاء . . . وكيف ؟ !

« وكل مصاب بعد مصابها لمم ! ! » .

وجلس بنو هاشم والصحابة الأخيار ، يتحدثون مع علي والزهراء وما كان من أمر البيعة . . . وكيف تمت لأبي بكر (رض) في سقيفة بني ساعدة .

ولم يكد يمضي على وفاة الرسول إلا يوم وساعات ، وأهله مشغولون عن كل شيء وهم منصرفون لتجهيزه لمقره الأخير . ونسمع علياً عليه السلام يقول : وفي نبرات صوته حزن عميق ، وألم دفين : « أفكنت ادع رسول الله في بيته مسجى . . . بلا غسل [2] . . . ولا تكفين ، . . . وأخرج أنازع القوم الخلافة » .

أليست الخلافة هي حق شرعي لي على ما نصه الرسول (ص) ؟

---

(١) تراجم اهل البيت . توفيق ابو علم .

(٢) ذكر ابن سعد في طبقاته . ج . ٢ ص . ٦٠ كان علي رضي الله عنه ، هو الذي تولى غسل الجسد الشريف .

books.rafed.net

وهنا تكلمت فاطمة عليها السلام وقالت : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ان يصنع . . . ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء : وأخذ الجمع يتذاكرون بلاء علي في نصرة الإسلام ، ومكانه من رسول الله : لقد شهد علي مع الرسول مشاهده كلها :

كان يحمل لواء المهاجرين يوم أحد ، ولواء الرسول يوم غزوة بني قريظة ، وحمراء الاسد ، ويوم حنين .

وحمل يوم خيبر ، اول راية في الإسلام . . . وكان (ص) ، قد اتخذها من برد لزوجه « عائشة » ، ام المؤمنين وقال : « لأدفعنَّ الراية الى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ويفتح عليه . . » .

فتطاول عمر بن الخطاب لها واستشرف ، رجاء أن يدفعها الرسول اليه ، فلما كان الغد ، دعا الرسول (علياً) ودفعها له .

ويوم الفتح كانت الراية مع (سعد بن عبادة) فقال الرسول لـ (علي) « ادركه فخذ الراية منه ، فكن انت الذي تدخل بها » .

وقاد سرايا الرسول الى « فدك » في شعبان من السنة السادسة للهجرة . والى « الفلس : صنم طيء » في السنة التاسعة .

والى اليمن في السنة العاشرة . . وعاد منه جميعاً مظفراً منصوراً . .

وعلى « القصواء » ناقة الرسول المباركة ، خرج « علي » الى الحج بعد الفتح بعام . . .

ويوم آخى بين المهاجرين والانصار ، اصطفى « علياً » اخاً له . .

ويوم خرج الى « بدر » غازياً ، ومعه أصحابه ، كل ثلاثة على جمل ، اختار

books.rafed.net

علياً وأبا لبابة زميلين ، وقد عرضا عليه (ص) أن يمشيا ليستريح في مركبه ، فأبى وقال :

« ما أنتما أقوى على المشي مني ، وما أنا أغنى عن الأجر منكما » .

وتذاكر القوم أحاديث الرسول لعلي وفي علي :

« أنت مني بمنزلة هرون من موسى » .

« أنت مني وأنا منك » .

« أنت ولي كل مؤمن بعدي » .

« من كنت مولاه ، فعلي مولاه » .

« لا يحبه إلا مؤمن ، ولا يبغضه إلا منافق » .

أهناك من هو أحق بالخلافة من « علي » ربيب النبي ، وابن عمه أبي طالب ، وزوج ابنته الزهراء وأبي الحسنين ريحانتي الرسول ، وأول الناس إسلاماً ، وأطولهم في الجهاد باعاً ، وفتى قريش شجاعة . . . وعلماً . . ؟ ؟

وأمسكت الزهراء صامتة لا تعقب ، ومضت أيام وهي في عزلة عن الناس ، لا تنشط للنضال عن ميراثها الذي أباه عليها ابو بكر . . وهل أبقى لها الحزن من قوة تسعفها على نضال . . . ؟

وكانت بحيث تظل منطوية على جراحها وحزنها ، لو لم يدعها الواجب ، أن تؤدي حق زوجها وولديها عليها ، فتسعى في رد الأمر الى أهل بيت الرسول . . . . [1] .

---

(١) نقلت الدكتورة بنت الشاطىء عن طبقات ابن سعد والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجة ، وابن حنبل هذا الحديث .

books.rafed.net

كلام الزهراء لنساء المهاجرين والأنصار :

مرضت الزهراء (ع) ، ولم يتحمل جسمها النحيل الكوارث التي ألَّمت بها بعد وفاة ابيها .

وما أن فشا الخبر بالوعكة التي اصابتها ، حتى سارع حشد من نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها ، وتوافدن للاطمئنان عن صحتها .

التفتت عليها السلام وقالت لهن معاتبة ، وذلك عندما قلن لها : كيف اصبحت من علتك يا بنت رسول الله ؟

ذكر الاستاذ عمر رضا كحالة كلام الزهراء (ع) لمن اتين لعيادتها من النساء قالت : [1]

« اصبحت والله عائفة لدنياكم ، قالية لرجالكم ، لفظتهم بعد ان عجمتهم ، وشنأتهم بعد أن سبرتهم ، فقبحاً لفلول الحد ، وخور القنا أو كسره ، وخطل الرأي ، وبئسما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم ، . . . إلى أن تقول :

لا جرم لقد قلدتهم ربقتها ، وشنت عليهم عارها ، فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين .

ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين . . . الطبن [2] بامور الدنيا والدين .

ألا ذلك هو الخسران المبين .

---

(١) اعلام النساء . للاستاذ عمر رضا كحالة .

(٢) ألطبن : لغة الفطين والطبنة : الفطنة جمع طِبن .

books.rafed.net

ومـــا الـــذي نقمـــوه مـــن أبي الحســـن ، نقمـــوا والله منـــه نكـــير ســـيفه ، وشـــدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله .

وبـــالله لـــو تكـــافؤا علـــى زمـــام نبـــذه رســـول الله (ص) لســـار بهـــم ســـيراً ســـجحاً ، لا يكلم خشاشه ، ولا يتعتع راكبه .

ولأوردهـــم مـــنهلاً رويـــاً فضفاضـــاً تطفـــح ضـــفتاه ولأصـــدرهم بطانـــاً قـــد تحـــرى بهـــم الـــري غـــير منحـــل مـــنهم بطائـــل بعملـــه البـــاهر ، وردعـــه ســـورة الســـاغب ولفتحـــت عليهم بركات من السماء ، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون .

ألا هلممـــن . . . فـــاسمعن . . . ومـــا عشـــتن أراك الـــدهر عجبـــاً . . . الى أي لجـــأ لجـــأوا ! واســـندوا ، وبـــأي عـــروة تمســـكوا ، ولبـــئس المـــولى ، ولبـــئس العشـــير . . . الخ الى أن تقول :

والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خاتم النبيين وسيد المرسلين » .

إن الزهـــراء عليهـــا الســـلام لم تكـــن تطالـــب ببقعـــة مـــن أرض . . . أو بـــأرث مـــادي وهي الزاهدة العابدة ، المنصرفة عن ملذات الدنيا وطيبات الحياة .

بـــل كانـــت تطالـــب « بـــالحق » وإرجاعـــه الى أهلـــه الشـــرعيين . فقـــد جعـــل رســـول الله (ص) الخلافة في علي بن ابي طالب « زوجها » .

لقـــد عرفنـــا مـــا كانـــت عليـــه الزهـــراء (ع) مـــن خشـــونة الحيـــاة وشـــظف العـــيش ، وكانـــت الـــدنيا في عينيهـــا أحقـــر مـــن ذبابـــة طفيليـــة تنظـــر اليهـــا بـــاشمئزاز ، ولهـــذا كانـــت أكـــبر مـــن أن تنـــازع ، أو تخاصـــم أحـــداً لأجـــل الأرث المـــادي وغـــيره مـــن متـــاع الـــدنيا ، فهـــي تعلـــم علـــم اليقـــين بـــأن حياتهـــا قصـــيرة لا تبقـــى بعـــد أبيهـــا إلا أيامـــاً معـــدودات ، كمـــا أخبرها النبي بذلك .

books.rafed.net

أمضت الزهراء (ع) حياتها القصيرة ، المشحونة بالشجن والآلام ، وشظف العيش ، وخشونة الحياة ، المقرونة بالزهد والتقشف .

فكانت في ظل أب لم يشبع مرة واحدة من طعامه . . . ثم انتقلت الى بيت زوج كان أكثر أدامه الملح . . . والخل . . . والزيت ، والدنيا في عينيه لا تساوي شسع نعل .

ومما لا شك فيه ، ولا يتمكن المؤرخون من إنكاره ، وإن وضع بعضهم غشاوة على بعض النواحي لكن لا بد من القول « الواقع يفرض نفسه » .

فقد أثبت جميع المؤرخين ، وأهل السير ، أن الزهراء سلام الله عليها لم تكن تهمها « فدكا » ولا غيرها مما تركه والدها الرسول الكريم (ص) . . .

بل المقصود من تصرفاتها ، ومطالبتها « إثبات الخلافة لأصحابها الشرعيين » وإحقاق الحق ، والحفاظ على الإسلام .

فالزهراء وزوجها عليّ بن أبي طالب (ع) كانت الدنيا في حسابهما أوهى من بيت العنكبوت ، وأهون من عفصة قعرة « أي مرة » .

ولنسمع علياً يقول عندما كانت خيرات الدولة الإسلامية على سعتها ، تحت تصرفه . . . لا بل تحت قدميه : « فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من غنائمها وفراً ، وما أعددت لبالي ثوبي طمراً ولا حزت من ارضها شبراً . . . الخ .

خطبة الزهراء (ع) في المسجد النبوي الشريف :

إن الزهراء (ع) كانت من طينة محمد (ص) أحاطها الله سبحانه بهالة من

books.rafed.net

الجلال . . . والمهابة . . . وعصمها من شطط القول والفعل . . . وجموح الخيال .

نراها في محنتها ، ومصابها بموت أبيها ، والضوضاء والفوضى التي أعقبت الوفاة ، تستنكر ما حدث من المفاجآت . والنبي لا يزال جثة هامدة مسجى في بيته لم يوارى الثرى .

فسيدة النساء العاقلة الحكيمة ، التي هي باعتراف الجميع ذات العلم والعقل والفصاحة والبلاغة ، لم يوجد مثلها في النساء .

قالت السيدة عائشة : « ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله (ص) من فاطمة ، وقالت أيضاً ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير ابيها » [1] .

لقد كانت الزهراء (ع) حريصة على تضامن المسلمين ، وإعلاء كلمة الدين ، لهذا نراها (ع) تقف ذلك الموقف المتصلب ، وتبين للناس حق علي بالخلافة ، وتزيل الغشاوة عن اعين بعض المسلمين السابحين في لجج الضوضاء .

انها ترى خلافة علي التي نص عليها الرسول (ص) هي امتداداً لرسالة أبيها المقدسة وتقول بعض الروايات أن انتزاع (فدك . . . والعوالي) وسهم ذوي القربى من يد الزهراء ، وحرمانها من ميراث أبيها لم يكن داخلاً في حساب القوم لولا موقفها الحازم المتشدد من الخلافة .

اولاً : انما حرموها فدكا وغيرها ، حتى لا توفر على عليّ قسطاً من المال يعينه على المضي في موقفه المناوىء لهم .

ثانياً : إذا اعترف القوم للزهراء بالأرث وسلموا أمره لها ، يؤدي بهم الى

---

(١) اعلام النساء للاستاذ عمر رضا كحالة .

books.rafed.net

الاعـــتراف بـــأمر الخلافـــة لزوجهـــا « علـــي بـــن أبي طالـــب » صـــاحب الحـــق الشـــرعي علاوة على حجتها البالغة عليهم .

جـاء في بلاغـات النسـاء لابـن طيفـور قـال : لمـا أجمـع أبـو بكـر (رض) علـى منـع فاطمـة بنـت رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم وعليهـا « فـدك » وبلـغ ذلـك فاطمـة (ع) لاثـت خمارهـا علـى رأسـها ، وأقبلـت في لمـة مـن حفـدتها ، تطـأ ذيولهـا ، مـا تخـرم مـن مشـية ابيهـا رسـول الله (ص) شـيئاً ، حـتى دخلـت علـى ابي بكـر وهـو في حشـد مـن المهـاجرين والأنصـار ، فنيطـت دونهـا مـلاءة ، ثم أنَّـت أنـة ، أجهـش القـوم لهـا بالبكـاء ، وارتـج المجلـس فأمهلـت حـتى سـكن نشـيج القـوم ، وهـدأت فـورتهم ، فافتتحـت الكـلام بحمـد الله والثنـاء عليـه ، والصـلاة علـى رسـول الله (ص) فعـاد القـوم في بكائهم ، فلما أمسكوا عادت في كلامها ، فقالت :

لقـد جـاءكم رسـول مـن أنفسـكم ، عزيـز عليـه مـا عنـتم ، حـريص علـيكم ، بـالمؤمنين رؤوف رحـيم . فـإن تعرفـوه تجـدوه ابي دون آبـائكم ، وأخـا ابـن عمـي دون رجـالكم ، فبلـغ النـذارة صـادعاً بالرسـالة ، مـائلاً علـى مدرجـة المشـركين ضـارباً لثـبجهم ، آخـذاً بكظمهـم ، يهشـم الأصـنام ، وينكـث الهـام ، حـتى هـزم الجمـع ، وولـوا الـدبر ، وتفـرى الليـل عـن صـبحه ، وأسـفر الحـق عـن محضـه ، ونطـق زعـيم الدين وخرست شقاشق الشياطين .

وكنـتم علـى حفـرة مـن النـار ، مذقـة الشـارب ، ونهـزة الطـامع ، وقبسـة العجـلان ، ومـوطئ الأقـدام ، تشـربون الطـرق ، وتقتـاتون الـورق ، أذلـة خاشـعين ، تخـافون أن يـتخطفكم النـاس مـن حـولكم ، فأنقـذكم الله برسـوله (ص) بعـد اللتيـا والـتي ، وبعدما مني ببهم الرجال وذؤبان العرب . ومردة أهل الكتاب . .

كلمـا حشـوا نـاراً للحـرب أطفأهـا ، ونجـم قـرن للضـلال وفغـرت فـاغرة مـن المشـركين قـذف بأخيـه في لهواتهـا ، فـلا ينكفـىء حـتى يطـأ صـماخها بأخمصـه ، ويخمـد

books.rafed.net

لهبهـــا بحـــده ، مكـــدوداً في ذات الله ، قريبـــاً مـــن رســـول الله ، ســـيداً في أوليـــاء الله ، وأنتم في بلهنية وادعون . . . آمنون .

حـــتى اختـــار الله لنبيـــه دار انبيائـــه ، وظهـــرت خلـــة النفـــاق ، وسمـــل جلبـــاب الـــدين ، ونطـــق كـــاظم الغـــاوين ، ونبـــغ خامـــل الآفلـــين ، وهـــدر فنيـــق المبطلـــين ، فخطـــر في عرصـــاتكم ، وأطلـــع الشـــيطان رأســـه مـــن مفـــرزه صـــارخاً بكـــم ، فوجـــدكم لدعائـــه مســـتجيبين ، وللغـــرة فيـــه ملاحظـــين فاستنهضـــكم فوجـــدكم خفافـــاً ، وأجمشـــكم فألفاكم غضاباً ، فوسمتم غير ابلكم ، وأوردتموها غير شربكم .

هـــذا والعهـــد قريـــب ، والكلـــم رحيـــب ، والجـــرح لمـــا ينـــدمل بـــدار زعمـــتم خـــوف الفتنة ، ألا في الفتنة سقطوا . . .

فهيهـــات مـــنكم ، وأنى بكـــم ، وأنى تؤفكـــون ، وهـــذا كتـــاب الله بـــين اظهـــركم ، وزواجره بينة ، وشواهده لائحة وأوامره واضحة .

أرغبـــة عنـــه تـــدبرون ، أم بغـــيره تحكمـــون ، بـــئس للظـــالمين بـــدلاً ، ومـــن يبتغـــي غـــير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

ثم لم تتريثـــوا إلا ريـــث ان تســـكن نفرتهـــا ، تشـــربون حســـواً ، وتســـرون في إرتقاء ، ونصبر منكم على مثل حز المدى .

وأنـــتم الآن تزعمـــون أن لا أرث لنـــا ، أفحكـــم الجاهليـــة تبغـــون ! ؟ ومـــن أحســـن مـــن الله حكماً لقوم يوقنون .

ويـــا معشـــر المهـــاجرين ، أأبتـــز إرث ابي ، أفي الكتـــاب أن تـــرث أبـــاك ؟ ولا أرث ابي ؟ لقد جئت شيئاً فرياً .

فـــدونها مخطومـــة مرحولـــة ، تلقـــاك يـــوم حشـــرك ، فـــنعم الحكـــم الله ، والـــزعيم

books.rafed.net

محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولكل نبأ مستقر ، وسوف تعلمون ، ثم انحرفت إلى قبر النبي (ص) وهي تقول :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة وكنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

قال : فما رأينا يوماً أكثر باكياً ، ولا باكية منا ذلك اليوم » [1] .

إن خطبة الزهراء عليها السلام ، وما تحتويه من جميل المعاني ، وعظيم الحكم ، وما تتضمنه من حسن البيان وبلاغة الكلام ، جديرة بأن تستجيب لها القلوب ، وتتفهمها الأفئدة قبل الألسن .

فلا غرابة في هذا ، فهي صادرة عن سيدة النساء ، ابنة سيد البشر ، وزوجة سيد البلغاء بعد محمد (ص) .

وهنا نقف نتساءل . . . لماذا وقف القوم من الزهراء وزوجها هذا الموقف ! ؟ مع علمهم بأنها بضعة الرسول ، يغضبه ما يغضبها ، ويرضيه ما يرضيها .

واحسب أنهم لو حاولوا معالجة الامور بالتعقل والروية ، لمواجهة موضوع الميراث وغيره لاستطاعوا الوصول إلى نتائج أعمق ، وأبعد من الحالة التي وصلوا اليها ارتجالاً من أقرب الطرق ، وربما اتيح لهم الربط بين أطراف المسلمين ، ولَمّ أشتات الفوضى العارمة .

ولكن شاء القدر ، وحكمت الأيام ، أن يلتوي تاريخ الإسلام ، في أيديهم ، ويأخذ شكلاً آخر ، ويصطبغ بصبغة ثانية .

لا نلومهم عليها ، وهم غير معصومين . . . بشر لا يبرأون . . . ونحن ايضاً

---

(١) خطبة الزهراء عليها السلام ذكرها ابن طيفور كذلك ذكرها اكثر المؤرخين .

books.rafed.net

بشر لا نبرأ . . . من ضعف وميول ، وهوى ، وإن كنا في الوقت نفسه ، نأسف لما ضاع على المسلمين من جهود وأتعاب ، وفرص لا تعوض ، وما يضيع على العلماء ، من صبر على البحث ، ودأب على الدرس وثبات على التحقيق . كانت هذه الاتعاب جديرة بأن تؤتي أحسن الثمر ، لو برىء الإنسان من شوائب الضعف البشري . . . وهيهات . . .

ومما لا شك فيه ، أن حرص الزهراء على مصلحة المسلمين ، واجتماع كلمتهم ، وتفانيها في خدمة الرسالة المقدسة . مما جعلها تذهب الى المهاجرين ، تخاطبهم بمنطقها البليغ ، الذي يشبه منطق الرسول (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ . . .) .

ثم تتوجه عليها السلام ، نحو الأنصار . . . وتؤنبهم ، وقد اجتمعوا في المسجد الشريف حيث قالت :

يا معشر البقية ، وأعضاد الملة ، وحضنة الإسلام ، ما هذه الفترة عن نصرتي ؟ والونية عن معونتي ، والغمزة في حقي ، والسنة عن ظلامتي ، أما كان رسول الله (ص) يقول :

« المرء يحفظ في ولده » سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ما أتيتم ، الآن مات رسول الله (ص) ، أمتم . . . دينه . . . ! !

ها ان موته لعمري خطب جليل ، استوسع وهنه ، واستبهم فتقه ، وفقد راتقه ، وبعد وقته ، وأظلمت الأرض له ، وخشعت الجبال ، وأكدت الآمال ، وأضيع بعده الحريم ، وهتكت الحرمة ، وتلك نازلة أعلن عنها كتاب الله قبل موته ، وأنبأكم بها قبل وفاته فقال :

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » .

books.rafed.net

أيهـا بـني قيلـة . . ؟ اهتضـم تـراث ابي وأنـتم بمـرأى ومسـمع ، تـبلغكم الـدعوة ويشـملكم الصـوت ، وفـيكم العـدة . . . والعـدد . . . والأداة . . . والقـوة وأنـتم نخبة الله التي انتخب وخيرته التي اختار .

بـاديتم العـرب ، وبـادهتم الأمـور ، وكـافحتم الـبهم حـتى دارت بكـم رحـى الإسـلام ، ودر حلبـه ، وخبـت نـيران الحـرب ، وسـكنت قـوة الشـرك ، وهـدأت دعـوة الهـرج ، واسـتوثق نظـام الـدين ، فتـأخرتم بعـد الإقـدام ونكصـتم بعـد الشـدة وجبنـتم بعـد الشـجاعة ، عـن قـوم نكثـوا أيمـانهم مـن بعـد عهـدهم [1] الى أن قالـت : ألا وقـد قلـت مـا قلـت لكـم علـى معرفـة مـنِّي بالخذلـة ، الـتي خـامرتكم وخـور القناة وضعف اليقين .

فـدونكموها ، فاحتووهـا ، مـدبرة الظهـر ، ناقبـة الخـف ، باقيـة العـار ، موسـومة الشـعار ، موصـولة بنـار الله الموقـدة الـتي تتطلـع علـى الأفئـدة ، فبعـين الله مـا تعملـون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

إن سـيدة النسـاء فاطمـة الزهـراء ، كانـت لا تهمهـا الجهـة الماديـة (وهـي الزاهـدة العابـدة) مـن الأرث ، بقـدر مـا كـان يهمهـا مـن سـير الـدعوة الاسـلامية ، ووصـول الحـق الى أهلـه . وهـي تـرى أن مصـلحة الاسـلام العليـا تقتضـي خلافـة « علـي » الـتي هي امتداد لصالح الاسلام . . . والمسلمين .

وممـا يـدل علـى أن مصـلحة الاسـلام ، ونشـر الرسـالة المقدسـة ، وتركيـز دعـائم الدين ، كل هذه الأشياء كانت في نظر الزهراء فوق كل شيء .

ذلـك مـا جـاء في كثـير مـن الروايـات مـن سـيرة علـي وفاطمـة عليهمـا السـلام كشـرح

---

(١) إشـارة الى ان النـبي عليـه الصـلاة والسـلام ، اخـذ العهـد مـن المسـلمين بالبيعـة والخلافـة لعلـي عليه السلام وذلك في حجة الوداع . في مكان يقال له غدير خم . .

books.rafed.net

النهج وغيره ، بما مضمونه ومعناه :

أن الزهـــراء عليهـــا الســـلام عنـــدما رجعـــت مـــن المســـجد الشـــريف الى منزلهـــا ، مهضـــومة الحـــق . . . كســـيرة القلـــب ، حزينـــة ، وذلـــك بعـــدما خاطبـــت المهـــاجرين والأنصـــار ولم تجـــد تجاوبـــاً مـــنهم ، لم تتمالـــك مـــن أن توجـــه اللـــوم الى زوجهـــا ابي الحســـن علي عليه السلام ، بكلام تبدو عليه . . . القسوة . . . والشدة . . . والملامة .

وفيمـــا هـــي تحدثـــه وتخاطبـــه لائمـــة إيـــاه علـــى تقاعـــده وســـكوته عـــن حقـــه الشـــرعي والمطالبة به وإذا بصوت المؤذن يتعالى :

« الله أكبر . . . أشهد أن لا إله إلا الله . . . وأشهد أن محمداً رسول الله » .

عنـــدها قـــام علـــي الى الســـيف . . . واســـتله مـــن غمـــده ، والتفـــت الى الزهـــراء قـــائلاً : ما معناه . . .

يـــا بنـــت رســـول الله ؟ لـــو نازعـــت القـــوم في طلـــب حقـــي . . وحـــاربتهم عليـــه وطـــالبتهم بحقـــك مـــن الأرث ، لثـــارت ثـــائرتهم ، وذهبـــوا أشـــتاتاً ، ولم يبـــق للإســـلام إسم . . . ولا رسم . واختفى هذا الصوت الذي يتعالى في الأجواء مردداً :

« الله اكبر . . . أشهد أن لا إله إلا الله . . . أشهد أن محمداً رسول الله » .

عنـــدها هـــدأت ثـــورة الزهـــراء وســـكنت ، وتعلَّقـــت بالإمـــام عليـــه الســـلام ، ودموعهـــا تنســـاب علـــى خـــديها وهـــي تقـــول : بـــل اصـــبر يـــا ابـــن عـــم . . . حســـبي . . . وغـــايتي . . . بقـــاء هـــذا الصـــوت والحفـــاظ علـــى بقـــاء رســـالة ابي . . . وتركيـــز دعـــائم الاسلام ونشره .

books.rafed.net

وفاة الزهراء (ع)

يـــذكر المؤرخـــون ان الزهـــراء « ع » استســـلمت للحـــزن فلـــم تـــرى قـــط منـــذ وفـــاة والدها النبي « ص » إلا باكية العين كسيرة الفؤآد .

الزهـــراء رافقـــت دعـــوة أبيهـــا منـــذ بـــدايتها ، وتأصـــلت في نفســـها أركـــان الرســـالة حـــتى أصـــبحت وكأنهـــا جـــزء مـــن حياتهـــا وقاعـــدة عظيمـــة مـــن كيانهـــا ، تمـــدها بالثبـــات على الحق ، والدفاع عن المظلومين والضعفاء والمحرومين والمعذبين .

تضـــحي بكـــل مـــا لـــديها لإســـعاد البشـــر ، وإقامـــة العـــدل ولا تتـــواني مهمـــا كـــان الثمن غالياً .

وكانـــت عليهـــا الســـلام تتمثـــل دائمـــاً بابيـــات مـــن الشـــعر تتـــذكر بهـــا أيـــام أبيهـــا فتقول :

صـــبت علـــي مصـــائب لـــو أنهـــا ... صـــبت علـــى الأيـــام عـــدن لياليـــا

قـــد كنـــت أرتـــع تحـــت ظـــل محمـــد ... لا اختشـــي ضـــيماً وكـــان جماليـــا

واليـــوم اخضـــع للـــذليل واتقـــي ... ضـــيمي وادفـــع ظـــالمي بردائيـــا

واخـــيراً مرضـــت الزهـــراء (ع) ، وســـاء حالهـــا ، فبـــادرت نســـاء المســـلمين لعيادتها . .

نظرت اليهن ثم أشاحت بوجهها عنهن قائلة :

books.rafed.net

اجـــدني كارهـــة لـــدنياكن مســـرورة بفـــراقكم ، وسأشـــكوا إلى الله ورســـوله مـــا لقيـــت مـــن بعـــده . . فمـــا حفـــظ لي حـــق ، فخـــرجن مـــن عنـــدها كســـيرات ، يـــتلاومن . . وقد ادهشهن ما سمعن ورأين .

وصية الزهراء (ع) :

ذكـــر أصـــحاب التـــاريخ وأهـــل الســـير وصـــية الزهـــراء (ع) علـــى عـــدة أوجـــه ، ففـــي روايـــة : انهـــا لمـــا احســـت عليهـــا الســـلام بـــدنو أجلهـــا ، اســـتدعت اليهـــا زوجهـــا « عليـــا » امـــير المـــؤمنين (ع) فاوصـــته وصـــيتها ، وطلبـــت منـــه . . وألحـــت عليـــه ان يـــواري جثمانهـــا في غســـق الليـــل ، حـــتى لا يحضـــر جنازتهـــا أحـــد مـــن الـــذين ظلموهـــا ، وجحدوا حقها ، وان يعفى موضع قبرها .

واوصـــته أيضـــاً أن يتـــزوج ابنـــة اختهـــا « امامـــة » لتقـــوم علـــى رعايـــة ابنائهـــا ، قالت له :

« يـــا ابـــن عـــم لا بـــد للرجـــال مـــن النســـاء ، فـــإذا انـــا مـــت ، فعليـــك بابنـــة اخـــتي « امامة » فانها تكون لأولادي . . مثلي . .

يقـــول ابـــن ســـعد في طبقاتـــه : « ان فاطمـــة احبـــت ان يصـــنع لهـــا نعشـــاً يـــواري جثمانهـــا ، لأن النـــاس كـــانوا يومـــذاك يضـــعون الميـــت علـــى ســـرير مكشـــوف لا يســـتر . فكرهـــت ذلـــك ، واحبـــت ان لا ينظـــر جثمانهـــا أحـــد وهـــي محمولـــة علـــى أكتـــاف الرجال .

فاســـتدعت « أسمـــاء بنـــت عمـــيس » وشـــكت اليهـــا نحـــول جســـمها وقالـــت لهـــا : اتستطيعين ان تواريني بشيء ؟

قالـــت اسمـــاء اني رأيـــت الحبشـــة يعملـــون الســـرير للمـــرأة ، ويشـــدون الـــنعش

books.rafed.net

بقـــوائم الســـرير ، فـــأمرتهم بـــذلك وعمـــل لهـــا نعـــش قبـــل وفاتهـــا ، ولمـــا نظـــرت اليـــه قالت :

« سترتموني ستركم الله » .

وفي روايـــة : لمـــا نظـــرت اليـــه ابتســـمت ، وكانـــت هـــذه أول ابتســـامة لهـــا بعـــد وفاة ابيها » .

والـــذي وعـــاه التـــاريخ ، ان الزهـــراء (ع) ، كـــان يبـــدو عليهـــا الارتيـــاح في اليـــوم الاخـــير مـــن حياتهـــا ، فقامـــت مـــن فراشـــها ونـــادت أولادهـــا ، فعـــانقتهم طـــويلاً وقبلـــتهم ثم أمرتهم بالخروج إلى زيارة قبر جدهم رسول الله (ص) .

وكانـــت أسمـــاء بنـــت عمـــيس تتـــولى خـــدمتها وتمريضـــها [1] فطلبـــت منهـــا بصـــوت واه ضعيف ، ان تهيء لها ماء لتغتسل .

وبكـــل ارتيـــاح ، بـــادرت أسمـــاء إلى احضـــار طلبهـــا ، فاغتســـلت (ع) ولبست أحسن ثيابها وبدا عليها الحبور ، فظنت أسماء انها تماثلت للشفاء .

ولكـــن تبـــددت ظنونهـــا عنـــدما طلبـــت منهـــا ان تنقـــل لهـــا الفـــراش إلى وســـط البيـــت . وقفـــت أسمـــاء والدهشـــة باديـــة علـــى وجههـــا ، وقـــد ســـاورها قلـــق شـــديد عنـــدما رأت الزهـــراء قـــد اضـــطجعت علـــى الفـــراش ، واســـتقبلت القبلـــة ، ثم التفتـــت اليهـــا قائلة :

« اني مقبوضـــة الآن وراحلـــة عـــن هـــذه الـــدنيا ، إلى جـــوار رب رحـــيم ، لاحقـــة بابي الرسول الكريم . . » .

---

(١) وفي روايـــة ثانيـــة أن أم رافـــع مـــولاة الرســـول صـــلى الله عليـــه وســـلم هـــي الـــتي كانـــت تســـهر عليها ، وتتولى تمريضها .

books.rafed.net

وتسمرت أسماء في مكانها وقد عقدت الدهشة لسانها لما رأت وسمعت . . .

لقد اذهلها الخطب العظيم ، واستبد بها القلق والجزع والخوف على الزهراء وما هي إلا دقائق معدودات حتى حم القضاء وعلت صفرة الموت وجه سيدة النساء .

صاحت أسماء وناحت ، وعلا الصراخ ، فاسرعت زينب والحسنان لاستفسار الخبر ، فوجدوا أمهم قد فارقت الحياة . .

واجتمع الناس على صوت البكاء والعويل ، واحاطوا بدار علي بن أبي طالب وهم بين باك وباكية ، ومتفجع ومتفجعة وقد اشتد بهم الحزن والاسى على بضعة الرسول فاطمة الزهراء (ع) .

وعن ينابيع المودة عن أم سلمة (رض) قالت :

اشتكت فاطمة في وجعها ، فخرج « علي » لبعض حاجته فقالت لي فاطمة :

يا اماه اسكبي لي ماء ، فسكبت لها ماء ، فاغتسلت أحسن غسل ، ثم قالت : يا اماه ناوليني ثيابي الجدد ، فناولتها ثم قالت : قدمي فراشي وسط البيت ، فاضطجعت ووضعت يدها اليمنى تحت نحرها ، واستقبلت القبلة ثم قالت : يا اماه اني مقبوضة الآن ، فلا يكشفني أحد ، ولا يغسلني أحد .

قالت أم سلمة : فقبضت مكانها صلوات الله وسلامه عليها .

قالت : ودخل « علي » فاخبرته بالذي قالت ، فقال علي : والله لا يكشفها

books.rafed.net

أحد . فدفنها بغسلها ولم يكشفها أحد . ولم يغسلها أحد [1] .

واختلفت الروايات ، فقيل : « لما توفيت غسلتها أسماء بنت عميس وعلي (رضي الله عن الجميع) ودفنها ليلاً [2] .

ورحم الله القائل :

ولأي الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويعفى ثراها

ضاقت الدنيا على علي بن أبي طالب (ع) ، واشتد به الحزن على أم الحسنين زوجته فاطمة بنت الرسول (ص) .

وبعد دفنها هاج به الألم ، فوقف على القبر يتحسر ، وقلبه يعتصر اسى ولوعة ثم قال : [3]

« السلام عليك يا رسول الله ،عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك ، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ، ورق عنها تجلدي ، إلا ان لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك فإنا لله وانا اليه راجعون .

فلقد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم .

وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها ، فاحفها السؤال ، واستخبرها

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي . . .

(٢) مرآة الجنان . لليافعي المكي . ج . ١ . ص . ٦٠ .

(٣) اعلام النساء للاستاذ عمر رضا كحالة .

books.rafed.net

الحـــال ، هـــذا ولم يطـــل العهـــد ولم يخلـــق منـــك الـــذكر . والســـلام عليكمـــا ســـلام مـــودع لا قـــال ، ولا ســـئم ، فـــإن انصـــرف فـــلا عـــن ملالـــة ، وإن اقـــم فـــلا عـــن ســـوء ظـــن بمـــا وعـــد الله الصابرين .

ثم تمثل علي (ع) عند قبرها فقال :

ارى علـــــل الـــــدنيا علـــــي كثـــــيرة وصـــــاحبها حـــــتى الممـــــات عليـــــل

لكـــل اجتمـــاع مـــن خليلـــين فرقـــة وكـــل الـــذي دون الممـــات قليـــل

وان افتقـــادي فاطمـــاً بعـــد احمـــد دليـــل علـــى ان لا يـــدوم خليـــل

وخشـع الإمـام عليـه السـلام ، ولم يتمالـك مـن البكـاء وهـو يسـوي الـتراب ، ففاضـت عبراتـه ، وأخـذ يـنفض يديـه بحركـة يائسـة ، وكأنـه قـد فـرغ مـن الـدنيا بعـد مـا وارى تحـت الثـرى ، زوجتـه الحبيبـة ، وشـريكة حياتـه الـتي مـلأت عليـه دنيـاه ووقفـت بجانبـه تشـده وتـوآزره في السـراء والضـراء . كمـا كانـت أمهـا « خديجـة » تناضـل وتكـافح وتضـحي في كـل غـال ورخـيص مجاهـدة مـع الرسـول الأعظـم صلى الله عليه وآله وسلم .

الذكريات

وطافت الذكريات بالإمام علي (ع) واستولى عليه الحزن واستسلم لذكريات الماضي الحبيب ، وأخذت تمر هذه الصور في مخيلته متلاحقة تذكره بالراحلة الطاهرة الزكية التي كانت أشبه الناس بأبيها .

تذكرها يوم وقفت تلك الوقفة العظيمة ، تُذكِّر المسلمين ما أنساهم إياه الدهر . . . أو تناسوه كما جاء في كتاب الغدير [1] . حيث قالت : نسيتم قول رسول الله (ص) يوم غدير خم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وقوله أيضاً (ص) : يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى .

وكانت من أقرب الناس الى أبيها في الجود والسخاء والكرم ؛ ألم تسمعه يقول :

« السخاء شجرة من أشجار الجنة ، أغصانها متدلية الى الأرض ، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن الى الجنة » .

وقالت أيضاً : السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد عن النار ، وإن الله جواد يحب كل جواد .

---

(١) الغدير . للشيخ الاميني . ج . ١ ص . ١٩٧ .

books.rafed.net

وبلغ من جودها (ع) وسخائها العظيم ، انها كانت تؤثر المحتاجين على نفسها ، وتعطي الفقراء قوتها الذي لا تملك سواه كما كان يفعل ابوها النبي وزوجها علي وبهم نزلت الآية الكريمة : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [1] .

وبدا الإمام (ع) في حزنه كسير القلب ، متصدع الأركان مع أنه ذلك الأسد الهصور ، والبطل الهمام .

وتذكر الزهراء (ع) ، والحسرة تعصر قلبه . . . لما لاقته في حياتها من أتعاب ، وآلام وأفراح وأحزان ، صاحبة النفس الرحيمة والقلب الكبير التي قضت حياتها وأفنت عمرها القصير في الجهاد والتضحية لخدمة الإسلام والمسلمين .

فكيف ينسى الإمام (ع) زوجته ، هذه الإنسانة الحورية . . . وينسى مواقفها البطولية ، وشجاعتها وبلاغتها وعلمها وفصاحتها ، مع ثباتها على الحق .

وإذا اشتد به الأسى والألم نجده عائداً إلى بيته وألم الحزن يحز في نفسه .

وكيف لا يكون ذلك وقد فقد شخصين عظيمين من أعز الناس عليه وهما « محمد . . . وفاطمة » تلك الشجرة الطيبة والغمامة ذات الظل الوارف ، والعلم الزاخر والغضل الذي لا يدرك مداه .

---

(١) سورة الحشر . آية . ٩ .

books.rafed.net

لقد ظلت الزهراء عليها السلام ، بعد وفاة ابيها « ص » ، تكافح من أجل احقاق الحق ، وارجاعه لاهله ، وتثبيت ، دعائم العدل ، ودفع الظلم الذي أحيط بها وبزوجها « علي » ، وبقيت تناضل الى ان فارقت الدنيا ، تاركة احسن صورة للانوثة الكاملة . . . المقدسة .

ما اجمل تعبير الاستاذ العقاد حيث يقول :

(ان في كل دين صورة للانوثة الكاملة المقدسة ، يتخشع بتقديسها المؤمنون ، كأنما هي آية الله من ذكر وانثى .

فاذا تقدست في المسيحية صورة « مريم العذراء . » ففي الاسلام لا جرم أن تتقدس صورة « فاطمة الزهراء . . البتول » .

وسيظل ذكر الزهراء على لسان المؤمنين ، يخلدونه ، ومركزها ومكانتها وجلال قدرها الرفيع بين اعلام النساء ، وعباد الله المكرمين) .

واختلف في تاريخ وفاتها ، فقد ذكر ابن سعد في طبقاته ، انها توفيت بعد ابيها بثلاثة أشهر ، وعمرها عشرون عاماً ، وقيل بستة أشهر ، وقيل لحقت بأبيها بعد خمسة وسبعين يوماً ، وذلك في اليوم الثالث من شهر رمضان الى غير ذلك من الروايات .

وضم ثرى المدينة المنورة ، جثمان الصديقة الطاهرة ، فاطمة الزهراء كما احتوى من قبل على جثمان ابيها الرسول « ص » .

وأوحشت ديار بني هاشم بعد النبي وابنته وافتقد اهلها النور الذي كانوا يهتدون به والركن القويم الذي اليه يستندون ويلجأون .

books.rafed.net

حزن علي على فراق زوجته الزهراء « ع » :

تقول المرويات كان علي بن ابي طالب عليه السلام يزور قبر زوجته الزهراء في كل حين ، واقبل ذات يوم فانكب على القبر ، وبكى بكاء مراً وانشأ يقول :

ما لي مررت على القبور مسلماً ... بر الحبيب فلم يرد جوابي

يا قبر ما لك لا تجيب منادياً ... أمللت بعدي خلة الاحباب ؟

فأجابه هاتف يقول :

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم ... وانا رهين جنادل وتراب

أكل التراب محاسني فنسيتكم ... وحجبت عن اهلي وعن اترابي

فعليكم مني السلام تقطعت ... مني ومنكم خلة الاحباب

وبات أهل المدينة والمسلمون وقد خيم عليهم الحزن وظللتهم الكآبة لفقد الزهراء بضعة الرسول .

ماتت الزهراء بجسمها ، ولكنها بقيت بروحها ، ولا تزال حية في قلوب المؤمنين . . . ورمزاً حياً للمرأة المسلمة ، وقدوة صالحة للمقتدين . .

بقي صدى كفاحها عليها السلام ، وثباتها على الحق وجهادها في سبيل الاسلام يقضُّ مضاجع حكام السوء ، وطغاة العصور على مر الأيام والسنين .

روت عن ابيها الرسول الاعظم « ص » الكثير من الاحاديث والروايات ،

books.rafed.net

فقد ولدت في بيت الوحي ومهد النبوة وترعرعت تحت ظل صاحب الرسالة . ورافقتها حتى آخر حياتها الشريفة .

وعت الاسلام ووقائعه وانتصاراته . وقد روى عنها ولداها الحسن والحسين ، ووالدهما علي بن ابي طالب « ع » .

كذلك روت عنها السيدة عائشة ام المؤمنين والسيدة ام سلمة وسلمى أم رافع ، وانس بن مالك وغيرهم الكثير من كبار الصحابة ومشايخ وعلماء المسلمين الصالحين . . .

وما عساني ان اكتب عن الزهراء عليها السلام . . . ولكن اكتفي بالقول ان قلمي عاجز . . .

يحق لي ان اعترف بالعجز عن الاحاطة بما كتب عن حياتها التي قضتها في الجهاد والكفاح في سبيل الاسلام والعقيدة مع ابيها النبي . . . وزوجها الامام علي وولديها السبطين الحسن والحسين « ع » .

واعترف ايضاً بالقصور عن ادراك معرفتهم ، وسبر غورهم ، والاحاطة بصفاتهم وفضائلهم . . .

« وفوق كل ذي علم عليم » .

بآل محمد عرف الصواب ... في ابياتهم نزل الكتاب

وهم حجج الاله على البرايا ... وبهم وبجدهم لا يستراب

books.rafed.net

المرأة في صدر الاسلام :

ان صدر الاسلام ليس له تحديد معين بارقام سنين لا يتعداها ، ولكننا نقصد به ذلك الزمن الذي مضى من بدء دعوة محمد « ص » عهد الرسول الكريم وخلفائه الراشدين [1] .

ذلك العهد الذي كان الناس يتقيدون باحكام الشرع العظيم ، وتعاليم الدين القويم .

وصدر الاسلام هو عهد انتقال من البداوة وعاداتها وتقاليدها ، وجاهليتها الى الاسلام وشريعته السمحاء ونظمه الحضارية وقوانينه المدنية .

وقد بذل المسلمون الجهود الجمة الجبارة ، ولاقوا المتاعب والمصاعب لسلوك الطريق الافضل ، بين التقاليد الموروثة والاعتقادات والعادات القديمة . . . وبين ما جاء به الاسلام من تنظيم ديني . . ومدني . . وتوحيد لله سبحانه ، بالاضافة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ونحن اذ نتكلم أو نكتب عن المرأة في صدر الاسلام وما بعده حتى الآن ، ونشرح ما اصاب المرأة واخلاقها من التبدل والتطور ، يجب ان نشير ايضاً الى الرجل وما طرأ عليه من تطور وتبدل .

أليس كلاهما عضو فعال في الهيئة الاجتماعية الواحدة يؤثر فيها . . . ويتأثر بها ؟ !

---

(١) الخلفاء الراشدين . . . حسب اصطلاح المؤرخين .

books.rafed.net

ولا يمكننا ان نتجاهل تأثير الرجال الشديد بصورة خاصة على المجتمع النسائي .

اخلاق المرأة المسلمة في صدر الاسلام :

ان شمائل المرأة العربية واخلاقها الحميدة ، لهي اجمل صفة كانت تتحلى بها ، فقد كانت بحكم البيئة والمجتمع القديم رغم تسلط الرجل عليها ، وتعسفه واستئثاره ، تحتفظ بمزايا فطرية عظيمة ونبيلة .

كالشجاعة . . . والجرأة الادبية . . . والعفاف . . . والكرم . . . والوفاء . . . وحفظ الجوار . . . واغاثة الملهوف . . . والعفو عن المقدرة . . . الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة ، والمزايا الحميدة . . .

فلما جاء الاسلام أبقى على هذه المزايا والشمائل ، وتعهدها واضاف اليها صفات جديدة . . .

كالتقى والايمان . . . والورع . . . والتدين . وكان الاسلام حريصاً على مكارم الاخلاق كما ورد في الحديث الشريف عن الرسول الاعظم (ص) « انما بعثت لأتم مكارم الاخلاق » .

وحتى نتمكن من الاحاطة بما فعله الاسلام من تبديل وتطوير وتأثير على اخلاق المرأة وسير حياتها ، لا بد لنا من استعراض بعض مآثرها في النواحي الاجتماعية لتوضيح ما كان من سيرة حياتها في ذلك العهد .

جهاد المرأة في الاسلام :

لقد كانت الشجاعة في ايام الجاهلية عنوان القوم ، ومدار اهتمامهم ،

books.rafed.net

والمحور الذي تدور عليه مفاخرهم واشعارهم وغزواتهم وحروبهم .

ولما ظهر الاسلام بنور تعاليمه الساطعة ، انبرت المرأة للمساهمة بنصيبها الاكبر في الجهاد .

فكانت مع الرجل جنباً الى جنب تروي ظمأه اذا عطش وتضمد جراحه اذا اصيب ، وتثير الحماس في رؤوس المقاتلين .

واذا اضطرت للدفاع ، او تعرضت للاهوال ، وقفت وقفة الابطال ، واقبلت على محاربة الاعداء ، غير هيابة ولا وجلة ، بشجاعة وثبات . . . وصلابة وعقيدة .

في حين نرى ان بعض الرجال البارزين ، يعجز . . . أو يهاب ان يقف موقفها .

جهاد الهاشميات :

ان جهاد بني هاشم في سبيل الاسلام معروف ومشهور لا ينكره احد .

فكما كان للرجال جهاد ، كان للنساء مواقف سجلها التاريخ على صفحاته وفي مقدمة النساء كن الهاشميات فقد ساهمن في سبيل الدفاع عن الاسلام ، واعلاء كلمته ما وسعهن المساهمة . سواء بالشجاعة والاقدام . . . او بالخطب والكلام . واولهن الصحابية الجليلة سليلة البيت الهاشمي الرفيع . « صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول » .

books.rafed.net

صفية بنت عبد المطلب :

لقد حدثنا التاريخ عن بطولة وجهاد سيدة عظيمة هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم (عمة الرسول) .

ذكر ابن هشام في سيرته [٢] .

« كان رسول الله (ص) ، اذا خرج لقتال عدوه ، اصطحب بعض نسائه معه ، ففي غزوة (الخندق) رفع ازواجه ونساءه في حصن حسان بن ثابت ، وكان من احصن آكام المدينة .

فمر رجل يهودي وجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله « ص » والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا الى ذلك الحصن إن اتاه آت .

فقالت صفية : يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من ورائنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله (ص) واصحابه ، فانزل اليه فاقتله .

فقال حسان : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا .

---

(١) ذكر هذا الحديث جميع اهل التاريخ والسير .كالسيرة الحلبية . والسيرة النبوية لابن هشام .كتاب الدر المنثور لزينب فواز . اعلام النساء عمر رضا كحاله وغيرهم .

books.rafed.net

فلما سمعت صفية كلام حسان ، قامت فأخذت عموداً ثم نزلت من الحصن الى ذلك اليهودي فضربته في العمود فقتلته .

ثم رجعت الى الحصن فقالت : يا حسان . انزل اليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل .

فقال لها حسان : « ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب » .

وتقول بعض المرويات : ان صفية لما قتلت اليهودي ، وقطعت رأسه ، قالت لحسان :

« قم فاطرح رأسه على اليهود وهم أسفل الحصن » .

فقال : والله ما أستطيع ذلك . قالت : فقمت فرميت رأسه على اليهود ، فأدهش ذلك اليهود وقالوا :

« لقد علمنا أن هذا (محمداً) لم يكن ليترك أهله خلواً ليس معهم أحد . فتفرقوا خائفين » .

وهذه الراوية تشهد لصفية بنت عبد المطلب بالشجاعة الفائقة والاقدام على نصرة الاسلام .

ولكنها لم تنقص من قدر حسان بن ثابت شاعر الرسول الأعظم (ص) ولم يكن خاملاً . . .

حسان بن ثابت ليس رجل حرب . . . وليس بمقدوره مقارعة الفرسان . . .

بل إن جهاده في سبيل إعلاء كلمة الحق ونشر راية الاسلام كان بشعره ولسانه وبيانه . . . لا بسيفه ورمحه وسنانه .

أجل إن شاعر الرسول « حسان بن ثابت » وإن كان جباناً في القتال ،

books.rafed.net

لكن له مواقفه الجليلة ، حيث يصنع اللسان ما يعجز عنه السنان .

ومما يروى عن الرسول الأعظم (ص) ، انه كان ينصب المنبر لحسان بيده الشريفة ويقول : « اللهمَّ أيد حساناً بروح القدس . . . ما دافع عن رسولك » .

ولحسان بن ثابت أشعار كثيرة في تأييد الرسول (ص) والرسالة وتأييد الوصية لعلي بن أبي طالب (ع) فمن ذلك قوله في يوم غدير خم .

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم واسمع بالنبي مناديا
فقال فمن مولاكم ونبيكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا	ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له : قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهمَّ وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا

« وشهدت صفية (عمة الرسول) غزوة (أحد) ولما انهزم المسلمون قامت وبيدها رمح تضرب في وجوه الناس وتقول :

انهزمتم عن رسول الله ؟ !

فلما رآها رسول الله (ص) قال لابنها الزبير بن العوام : إلقها فارجعها حتى لا ترى ما بشقيقها الحمزة بن عبد المطلب . فلقيها الزبير فقال لها : يا أماه . . . إن رسول الله (ص) يأمرك أن ترجعي ، فقالت : ولمَ ؟ . . فقد بلغني أنه مثل بأخي « حمزة » وذلك في الله عز وجل قليل ، فما أرضانا بما كان من ذلك . لأحتسبن ولأصبرن إنشاء الله تعالى .

فلما جاء الزبير رسول الله (ص) فأخبره بذلك قال : خل سبيلها .

books.rafed.net

فأتـــت صـــفية الحمـــزة ، فنظـــرت اليـــه ، وصـــلت عليـــه ، واســـترجعت ، واستغفرت له .

ثم أمر رسول الله (ص) به فدفن [1] وقالت تبكي أخاها الحمزة وترثيه .

أســـائلة أصـــحاب أحـــد مخافـــة بنـــات ابي مـــن أعجـــم وخبـــير

دعـــاه إلـــه الحـــق ذو العـــرش دعـــوة الى جنـــة يحيـــا بهـــا وســـرور

فـــوالله لا أنســـاك مـــا هبـــت الصـــبا بكـــاء وحزنـــاً محضـــري ومســـيري

فيـــا ليـــت شـــلوي عنـــد ذاك واعظمـــي

لـــدى أضـــبع تعتـــادني ونســـور

كانـت صـفية شـجاعة مقدامـة ، عملـت جهـدها في سـبيل نصـرة الاسـلام والمسـلمين ، وتوفيت رحمها الله في سنة عشرين للهجرة ، ودفنت في البقيع .

---

(١) أمـــر رســـول الله (ص) بـــدفن عمـــه الحمـــزة رضـــي الله عنـــه حيـــث قتـــل ولا يـــزال قـــبره الى الآن عند جبل احد .

واحد . جبل قرب المدينة المنورة . دارت قربه المعركه المشهورة . بوقعة احد .

books.rafed.net

فاطمة بنت اسد بن هاشم

سيدة جليلة حافظت على رسول الله (ص) حفاظ الصدر على جنانه ، والطرف على إنسانه ، كانت تؤثره عليه الصلاة والسلام على أولادها ، وترعاه بعناية تامة ، وتحنو عليه أكثر من حنو الوالدة على رضيعها .

لذلك نرى النبي (ص) قابل صنيعها الجميل ، وما قامت به من خدمات أحسن مقابلة .

روي عن الرسول (ص) لما توفيت فاطمة بنت اسد بن هاشم [1] زوجة أبي طالب ، ووالدة علي أمير المؤمنين (ع) كفنها رسول الله (ص) في قميصه وصلى عليها ، وكبر عليها سبعين تكبيرة ، ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ، ويسوي عليها ، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان . وجثا في قبرها ، فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب :

يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد ؟ فقال : يا عمر إن هذه المرأة كانت بمنزلة امي التي ولدتني .

---

(١) ذكر السيد الامين في كتابه أعيان الشيعة . أن فاطمة بنت اسد سبقت الى الاسلام وهاجرت الى المدينة في أول الهجرة . وروى الحاكم في المستدرك قال : كانت فاطمة بنت اسد اول هاشمية ولدت من هاشمي ، وكانت يمحل عظيم من الإيمان ، في عهد رسول الله وتوفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

books.rafed.net

إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه .

روى صاحب أعلام النساء : أن فاطمة بنت أسد لما توفيت بالمدينة ، ألبسها رسول الله (ص) قميصه ، واضطجع معها في قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ؟

فقال : إنه لم يكن أحد بعد ابي طالب أبر بي منها ، إنما ألبستها قميصي لتكتسي من حلل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها الحساب [1] .

أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم :

كانت أروى مثال المرأة المسلمة ، جاهدت في سبيل الله بلسانها وبيانها ، في كل دور من أدوار الإسلام الذي مرَّ عليها ، ولم تأل جهداً في أداء النصيحة وإرشاد الناس الى سلوك طريق العدل والانصاف ، وإرجاع كل ذي حق حقه ، بكل ما تقدر عليه ، غير هيابة ولا وجلة ، لا تأخذها في الله لومة لائم .

ولا غرابة فقد كانت السيدة أروى فريدة زمانها ، وبليغة عصرها إذا خطبت أعجزت ، وإن تكلمت أوجزت لانها إبنة البلاغة ومعدن الفصاحة .

ومن جملة نصحها للإسلام ، وإرجاع الحق الى أهله ، دخولها على معاوية بن أبي سفيان وهو في أبهة سلطانه ، وشموخه بأنفه بين أعوانه .

---

(١) ذكر صنيع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكثر المؤرخين وأصحاب السير ، كالسيد الامين في ايمان الشيعة وعمر رضا كحالة في أعلام النساء والسيد علي فضل الله الحسني في كتابه الاخلاق الاسلامية وغيرهم .

books.rafed.net

دخلت عليه تؤنبه وتقرعه لتنكبه جادة الحق ، وسلوكه طريق الباطل واغتصابه الخلافة من أهلها الشرعيين .

حديث اروى بنت الحارث بن عبد المطلب مع معاوية :

ذكر ابن طيفور مروياً عن أنس بن مالك قال :

« دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، على معاوية بن أبي سفيان بالموسم ، وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها قال : مرحباً بك يا عمة قالت :

كيف أنت يا ابن أخي ، لقد كفرت بعدي بالنعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك . وأخذت غير حقك ، بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام .

ولقد كفرتم بما جاء به محمد (ص) ، فأتعس الله منكم الجدود ، وأسعر منكم الخدود ، حتى رد الله الحق الى أهله ، وكانت كلمة الله هي العليا ونبينا محمد (ص) هو المنصور على من ناواه ولو كره المشركون .

فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ونصيباً وقدراً حتى قبض الله نبيه (ص) مغفوراً ذنبه مرفوعاً درجته شريفاً عند الله مرضياً ، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم .

وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول : « يا ابن ام إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » ولم يجمع بعد رسول الله (ص) لنا شمل ، ولم يسهل لنا وعر ، وغايتنا الجنة ، وغايتكم النار .

قال عمرو بن العاص : أيتها العجوز الضالة أقصري من قولك وغضي من

طرفك ، قالت : ومن أنت لا أمَّ لك قال : عمرو بن العاص . قالت : يا ابن اللخناء النابغة ، اتكلمني . . ! اربع على ظلعك ، وأعن بشأن نفسك ، فوالله مما أنت من قريش في اللباب من حسبها ، ولا كريم منصبها ، ولقد ادعاك ستة من قريش كلهم يزعم أنه ابوك ، ولقد رأيت امك أيام منى مع كل عبد عاهر (أي فاجر) فأتمَّ بهم فإنك بهم أشبه .

فقال مروان بن الحكم : أيتها العجوز الضالة ، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك ، فلا تجوز شهادتك ، قالت : يا بني أتتكلم ! فوالله لأنت إلى سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم ، وإنك لشبهه في زرقة عينيك وحمرة شعرك مع قصر قامته ، وظاهر دمامته ، لقد رأيت الحكم ماد القامة ظاهر اللامة سبط الشعر ، وما بينكما من قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المقرب ، فاسأل امك عما ذكرت لك فإنها تخبرك بشأن ابيك إن صدقت .

ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ما عرضني لهؤلاء غيرك ، وإن أمك القائلة في يوم أحد في قتل حمزة رحمة الله عليه :

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب يوم الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... أبي وعمي وأخي وصهري
شفيت وحشي غليل صدري ... شفيت نفسي وقضيت نذري
فشكر وحشي علي عمري ... حتى تغيب أعظمي في قبري

فأجبتها بقولي :

يا بنت رقّاع عظيم الكفر ... خزيت في بدر وغير بدر
صبحك الله قبيل الفجر ... بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعلي صقري

books.rafed.net

إذ رام شـــــبيب وأبـــــوك غـــــدر أعطيـــت وحشـــياً ضـــمير الصـــدر

هتَّـــكَ وحشـــي حجـــاب الســـتر مـــا للبغايـــا بعـــدها مـــن فخـــر

فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما أنتما عرضتماني لها ، وأسمعتماني ما أكره .

ثم قـال لهـا : يـا عمـة اقصـدي قصـد حاجتـك ، ودعـي عنـك أسـاطير النسـاء . قالت : تأمر لي بألفي دينار ، وألفي دينار ، وألفي دينار .

قـال : مـا تصـنعين يـا عمـة بـألفي دينـار ؟ قالـت : أشـتري بهـا عينـاً خرخـارة ، في أرض خوارة تكون لولد الحارث بن عبد المطلب .

قـال : نعـم الموضـع وضـعتها ، فمـا تصـنعين بـألفي دينـار ؟ قالـت : ازوج بهـا فتيان عبد المطلب من أكفائهم . . .

قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟

قالت : أستعين بها على عسر المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام .

قال : نعم الموضع وضعتها ، هي لك نعم وكرامة .

ثم قال : أما والله لو كان علي ما أمر لك بها . .

قالـت : صـدقت إن عليـاً أدَّى الأمانـة ، وعمـل بـأمر الله وأخـذ بـه ، وأنـت ضـيعت أمانتـك وخنـت الله في مالـه ، فأعطيـت مـال الله مـن لا يسـتحقه وقـد فـرض الله في كتابـه الحقـوق لأهلهـا ، وبينهـا فلـم تأخـذ ، ودعانـا (أي علـي) الى أخـذ حقنـا الـذي فـرض الله لنـا . فشـغل بحربـك عـن وضـع الامـور مواضـعها ، ومـا سـألتك مـن مالك شيئاً فتمنَّ به ، إنما سألتك من حقنا ، ولا نرى أخذ شيء غير حقنا .

أتذكر علياً فضَّ الله فاك . . . وأجهد بلاءك ، ثم علا بكاؤها وقالت :

books.rafed.net

ألا يـــا عـــين ويحـــك أســـعدينا ألا وابكـــــي أمـــــير المؤمنينـــــا

رزينـــا خـــير مـــن ركـــب المطايـــا وفارســـها ومـــن ركـــب الســـفينا

ومـــن لـــبس النعـــال او احتـــذاها ومـــن قـــرأ المثـــاني والمئينـــا

إذا اســـتقبلت وجـــه ابي حســـين رأيـــت البـــدر راع الناظرينـــا

ولا والله لا أنســـــى عليـــــاً وحســـن صـــلاته في الراكعينـــا

أفي الشـــهر الحـــرام فجعتمونـــا بخـــير النـــاس طـــرّاً أجمعينـــا [1]

وفي رواية : قال لها معاوية : عفا الله عما سلف يا خالة ، هات حاجتك .

قالت : ما لي إليك حاجة ، وخرجت عنه .

فقـال معاويـة لأصـحابه : والله لـو كلمهـا مـن في مجلسـي جميعـاً ، لأجابـت كـل واحـد بغير ما تجيب به الآخر . وإن نساء بني هاشم لأفصح من رجال غيرهم .

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور والعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي وغيرهما .

books.rafed.net

مساهمة المرأة في نصرة الاسلام

لقد سارعت المرأة إلى نصرة الإسلام ، مندفعة بكل ما تملكه من شجاعة وإقدام وتضحية في سبيل الدين والعقيدة .

ولا بأس بأن نذكر بعض النساء اللواتي ساهمن مساهمة فعالة ، في نصرة الحق والدفاع عنه ، بما يتلاءم مع كيانهن وطبيعتهن ، وذلك ضمن نطاق الحشمة والأدب والشرع الشريف .

أم رعلة القشيرية :

« سيدة من ربات الفصاحة والبلاغة . وفدت على النبي « ص » فقالت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . . . أنا من ذوات الخدور ، ومحل ازر البعول ، ومربيات الأولاد ، وممهدات المهاد ، ولا حظّ لنا في الجيش الأعظم ، فعلمنا شيئاً يقربنا من الله عز وجل .

فقال لها النبي « ص » : عليكن بذكر الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار ، وغض البصر وخفض الصوت .

ثم أقبلت بعد وفاة النبي « ص » الى المدينة فحزنت عليه حزناً شديداً وأخذت بالحسن والحسين تطوف بهما بأزقة المدينة ، وهي تبكي بكاءً مراً ، وترثيه برثاءٍ مؤلم منه :

books.rafed.net

يـــا دار فاطمـــة المعمـــور ســـاحتها هيجـــت لي حزنـــاً حييـــت مـــن دار

فهاجت المدينة لمأتمها ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وأهلها يبكون [1] .

ام ورقة بنت عبد الله بن الحارث الانصارية :

كانـــت مـــن فواضـــل نســـاء عصـــرها ، وكـــان رســـول الله « ص » يزورهـــا ويســـميها الشـــهيدة . ولمـــا غـــزا رســـول الله بـــدراً قالـــت لـــه : إيـــذن لي أن اخـــرج معكـــم ، أداوي جراحكم ، وأمرض مرضاكم ، لعل الله يهدي إلي الشهادة .

فقـــال لهـــا رســـول الله « ص » : إن الله يهـــديك الشـــهادة ، وقـــري في بيتـــك فإنـــك شهيدة . . .

وكانـــت جمعـــت القـــرآن فأمرهـــا النـــبي « ص » أن تـــؤم أهـــل دارهـــا ، وكـــان لهـــا مـــؤذن . . . وكانـــت تـــؤم أهـــل دارهـــا ، حـــتى قتلـــت . . . فقـــالوا : صـــدق رســـول الله . . . إنها شهيدة [2] .

سبيعة بنت الحرث الاسلمية :

قـــال ابـــن عبـــاس : [3] صـــالح رســـول الله (ص) بالحديبيـــة مشـــركي مكـــة ، علـــى مـــن اتـــاه مـــن اهـــل مكـــة ، رده علـــيهم ، ومـــن اتـــى اهـــل مكـــة مـــن اصـــحاب رســـول الله (ص) فهو لهم ، ولم يردوه عليه . وكتبوا بذلك كتاباً ، وختموا عليه .

فجـــاءت ســـبيعة بنـــت الحـــرث الأســـلمية ، مســـلمة بعـــد الفـــراغ مـــن الكتـــاب ،

---

(١) الاصابة لابن حجر . وأعلام النساء لعمر رضا كحالة وغيرهما .

(٢) طبقات ابن سعد الكبرى . تهذيب التهذيب لابن حجر .

(٣) عن مجمع البيان في تفسير القرآن . للطبرسي .

books.rafed.net

والنبي (ص) بالحديبية ، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم قال مقاتل هو « صيف بن الراهب » في طلبها وكان كافراً فقال :

يا محمد اردد علي امرأتي . . . فإنك قد شرطت لنا ، ان ترد علينا من اتاك منا ، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد . . . فنزلت الآية :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » [1] .

قال ابن عباس : إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفار ، الى دار الإسلام ، فامتحنوهن . . . امتحانهن أن يستحلفن ، ما خرجت من بغض زوج ، ولا رغبة عن ارض الى ارض ، ولا التماس دنيا ، وما خرجت إلا حباً لله ورسوله .

فاستحلفها رسول الله (ص) : ما خرجت بغضاً لزوجها ، ولا عشقاً لرجل منا ، ولا خرجت إلا رغبة في الإسلام .

فحلفت . . . بالله الذي لا إله إلا هو . . . على ذلك فأعطى رسول الله (ص) زوجها مهرها ، وما أنفق عليها ، ولم يردها عليه .

ام كلثوم بنت عقبة :

قال الجبائي : [2] إن ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، جاءت مسلمة ،

---

(١) سورة الممتحنة . آية . ١٠ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي .

books.rafed.net

مهاجرة من مكة ، فجاء اخواها الوليد . . . وعمارة ، الى المدينة فسألا رسول الله ردها عليهما .

فقال رسول الله (ص) ان الشرط بيننا في الرجال لا في النساء . فلم يردها عليهما .

قال الجبائي : وإنما لم يجر هذا الشرط في النساء ، لأن المرأة إذا اسلمت ، لم تحل لزوجها الكافر ! ! فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينهما .

زينب بنت رسول الله (ص) :

قال الشعبي : [1] كانت زينب بنت رسول الله (ص) امرأة أبي العاص بن الربيع ، فأسلمت ، ولحقت بالنبي « ص » في المدينة .

وأقام ابو العاص مشركاً بمكة ، ثم أتى الى المدينة فأمنته زينب ، ثم أسلم فردها عليه رسول الله « ص » .

وقال الجبائي : لم يدخل في شرط صلح الحديبية ، إلا رد الرجال دون النساء المسلمات ، ولحقن بالرسول « ص » ، أمثال : أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأميمة بنت بشر وغيرهن كثيرات مما يضيق المجال عن ذكرهن .

ام رميثة بنت عمر بن هاشم بن عبد المطلب :

مجاهدة جليلة ، وسيدة عاقلة ، اسلمت ، وبايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتح خيبر ، وأطعمها رسول الله أربعين وسقاً تمراً وخمسة اوسق شعير [2] .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن . للطبرسي .

(٢) سيرة ابن هشام . تاريخ الطبري . الإصابة لابن حجر .

books.rafed.net

ام حكيم بنت الحارث المخزومية :

مجاهدة جليلة ، أسلمت يوم الفتح ، واستأمنت لزوجها عكرمة بن ابي جهل ، فأمنه النبي ﷺ وخرجت في طلبه وقد هرب الى اليمن فأدركته في ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر . فجعلت تصيح إليه وتقول :

يا ابن عم ، جئتك من أوصل الناس ، وأبر الناس ، وخير الناس ، لا تهلك نفسك ، وقد استأمنت لك منه ، فأمنك . فقال : أنتِ فعلت ذلك ؟ قالت : نعم أنا كلمته فأمنك . فرجع معها .

ولما وصل عكرمة ، وانتهى الى باب رسول الله ﷺ وزوجته معه ، فسبقته ، فاستأذنت على الرسول ، فدخلت وأخبرت النبي ﷺ بقدوم عكرمة ، فدخل عكرمة وأسلم .

وشهدت أم حكيم وقعة اليرموك [1] وأبلت فيها بلاءً حسناً فقاتلت فيها أشد القتال .

وفي وقعة مرج الصغر ، خرجت بعمود الفسطاط ، فقتلت سبعة من الروم [2] .

ام حبيب بنت العاص القرشية :

مجاهدة جليلة ، أدركت عصر النبي ، ولها صحبة ، وشهدت اليرموك ، وحرضت الرجال على القتال ، لما شدَّ طرف من الروم على عمرو بن العاص ، فانكشف هو وأصحابه ، حتى دخلوا أول المعسكر وهم في ذلك يقاتلون ويشدون .

---

(١) اليرموك : وادٍ بناحية الغور . ومرج الصغر واقع بنواحي دمشق .

(٢) تاريخ الطبري . طبقات ابن سعد . سيرة ابن هشام .

books.rafed.net

عند ذلك نزل النساء من التل ، بعمد الحديد يضربن وجوه الرجال .

وقادت ام حبيب الناس قائلة : قبح الله رجلاً يفر عن حليلته . . . وقبح الله رجلاً يفر عن كريمته . . فتراد المسلمون ، فزحف عمرو واصحابه حتى عادوا الى قريب مواقفهم [1] .

بركة بنت ثعلبة ام ايمن :

هذه المهاجرة ، هي مولاة النبي (ص) ، وحاضنتهُ ، وكانت من المهاجرات الاول :

هاجرت الهجرتين الى ارض الحبشة . والى المدينة ، وقد شهدت أم ايمن حنيناً . . . واحداً . . . وخيبراً . . . وكانت في أحد تسقي الماء [2] .

بما انني ما زلت في صدد ذكر بعض المسلمات المجاهدات اللواتي رافقن الرسالة النبوية الشريفة ، وما قمن به من خدمات جليلة ، وما ادين من واجبات نحو الاسلام والمسلمين وهن كثيرات منهن :

حمنة بنت جحش :

مهاجرة جليلة ، جاهدت مع رسول الله (ص) وشهدت أحداً ، فكانت تسقي العطاش .

وقد اطعمها رسول الله (ص) في خيبر ثلاثين وسقاً . . . مثل الرجل [3] .

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر . اعلام النساء لعمر رضا كحالة .

(٢) طبقات ابن سعد . تاريخ الطبري .

(٣) طبقات ابن سعد . تاريخ الطبري .

books.rafed.net

ليلى الغفارية :

مجاهدة وغازية ، كانت تخرج مع النبي ﷺ في مغازية ، وكان يسهم لها .

ولما خرج علي بن ابي طالب الى البصرة ، خرجت معه ، وأتت عائشة ام المؤمنين فقالت لها : هل سمعت من رسول الله ﷺ فضيلة في علي ؟

قالت : نعم . . . دخل علي على رسول الله وهو معي ، وعليه جرد قطيفة ، فجلس بيننا ، فقلت : أما وجدت مكاناً هو أوسع لك من هذا ؟ . .

قال النبي ﷺ : يا عائشة . . . دعي لي اخي فإنه أول الناس اسلاماً ، وآخر الناس بي عهداً ، وأول الناس لي لقياً يوم القيامة [1] .

ام ذر الغفاري :

هي زوجة ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ، الصحابي الجليل الذي ذكره الرسول الكريم بقوله : « ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر » .

كانت شاعرة من شواعر العرب ، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبتسم قال لأبي ذر : يا أبا ذر . . . حدثني عن بدء إسلامك ؟

قال أبو ذر : كان لنا صنم يقال له « نهم » فأتيته فصببت له لبناً ، ووليت فحانت مني التفاتة ، فإذا كلب يشرب ذلك اللبن فلما فرغ ، رفع رجله فبال على الصنم ، فأنشأت أقول :

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر . أعلام النساء لعمر رضا كحالة .

books.rafed.net

ألا يـــــأنهم اني قـــــد بـــــدا لي مـــدى شـــرف يبعـــد منـــك قربـــا

رأيـــت الكلـــب ســـامك حـــط خســـف فلـــم يمنـــع قفـــاك اليـــوم كلبـــا

فسمعتني أم ذر فقالت :

لقد اتيت جرماً ، وأبت عظماً ، حين هجرت نهماً ؟ !

فلما أخبرتها الخبر . . . فقالت :

ألا فابغنـــــا ربـــــاً كريمـــــا جـــواداً في الفضـــائل يـــا وهـــب

فمـــا مـــن ســـامه كلـــب حقـــير فلـــم يمنـــع يـــداه لنـــا بـــرب

فمـــا عبـــد الحجـــارة غـــير غـــاوٍ ركيـــك العقـــل لـــيس بـــذي لـــب

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : صدقت ام ذر . . . « فما عبد الحجارة غير غاوٍ » [1] .

---

(١) اعلام النساء : عمر رضا كحالة .

انتعاش المرأة اجتماعياً في صدر الاسلام

تتطور أخلاق الناس بتطور أفكارهم ومقاييسهم وتتأثر بالبيئة . . . والمجتمع .

وفي صدر الإسلام ، لما اتيح للمرأة الحرية . . . وشعرت بمكانتها وشخصيتها ، وما انعم عليها الباري سبحانه وتعالى من الخير ، وما اوجب لها الإسلام من الحقوق ، أصابها ما يصيب الناس الذين ينتقلون فجأة من حال إلى حال .

لقد انتقلت المرأة بفضل تعاليم الاسلام وتشريعاته من الذل والهوان . . . الى العزة والكرامة . . . من الحرمان والاضطهاد . . . الى الحرية والنور واحترام الشخصية والعطاء . . . من الجهل والانزواء ، والجهالة العمياء . . . الى الدين والتقى والورع والانطلاق ، والتحرر من العادات والتقالية الظالمة والطقوس المشينة .

انتعشت المرأة ، وانطلق كل من الرجال والنساء على قدم المساواة كل فرد بحسب طبيعته وعلى قدر استطاعته ، وفق القوانين الإسلامية والتعاليم النبوية الشريفة .

ولقد كان الحافز إلى النهضة والتفاني بالجهاد ، الايمان بالله العظيم ورسالة النبي الكريم بالإضافة الى حلاوة الإسلام ، وزهو النصر المؤيد من الله رب العالمين . وكان من بين النساء التقيات الورعات ، المجاهدات ذوات العقل والدين المتحدثات بكل جرأة وأدب وانطلاق يبدين الرأي ، ويتحدثن بتفهم وروية . . .

books.rafed.net

جـــزلات بـــأجوبتهن المســـكتة ، وأحـــاديثهن الممتعـــة وعلـــى ســـبيل المثـــال نـــذكر قصـــة قيلـــة بنـــت مخرمـــة مـــع حريـــث بـــن حســـان وافـــد بكـــر بـــن وائـــل الى رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قيلة بنت مخرمة

ذكـــر ابـــن طيفـــور في كتـــاب بلاغـــات النســـاء « قيلـــة بـــن مخرمـــة » مـــن ربـــات الفصـــاحة والبلاغـــة ، أســـلمت قـــديماً ولهـــا صـــحبة ، قـــدمت علـــى رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسمعت منه وصلت معه ، ولها حديث طريف قالت [1] .

« لقـــد انطلقـــت الى اخـــت لي في بـــني شـــيبان ، أبتغـــي الصـــحابة الى رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبينمـــا أنـــا عنـــدها ذات ليلـــة تحســـب اني نائمـــة إذ جـــاء زوجهـــا مـــن الســـامر فقـــال : وأبيـــك لقـــد اصـــبت لقيلـــة صـــاحب صـــدق ، قالـــت : مـــن هـــو ؟ قـــال : هـــو حريـــث ابـــن حسان ، غادياً ذات صباح وافد بكر بن وائل الى رسول الله (ص) .

قالـــت : يـــا ويلهـــا ، لا تخـــبر بهـــذا اخـــتي ، فتتبـــع أخـــا بكـــر بـــن وائـــل بـــين سمـــع الأرض وبصـــرها ، لـــيس معهـــا مـــن قومهـــا رجـــل . قـــال : لا تذكريـــه ، فـــإني لســـت ذاكره لها .

فلمـــا أصـــبحت ، وقـــد سمعـــت مـــا قـــالا : شـــددت علـــى جملـــي فانطلقـــت الى حريـــث ابـــن حســـان ، فســـألت عنـــه فـــإذا بـــه وركابـــه مناخـــة فســـألته الصـــحابة الى رســـول الله (ص) فقال : فقال : نعم . . . وكرامة .

فخرجـــت معـــه ، صـــاحب صـــدق ، حـــتى قـــدمنا علـــى رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فـــدخلنا المســـجد حـــين شـــق الفجـــر ، وقـــد اقيمـــت الصـــلاة فصـــلى والنجـــوم شـــابكه ، والرجـــال

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور . أعلام النساء لعمر رضا كحالة وغيرهم .

books.rafed.net

لا تكاد تعارف من ظلمة الليل ، فصففت مع الرجال وكنت امرأة وحديثة عهد بالجاهلية فقال لي رجل جنبي : امرأة أنت أم رجل ؟

قلت : امرأة : قال : « كدت تفتنيني ، عليك بالنساء وراءك » . فإذا صف من النساء قد حدث عند الحجرات ، لم أكن رأيته حين دخلت ، فصففت معهن .

فلما صلينا جعلت أرمي ببصري الرجل ذا الرداء والفثرد لأرى رسول الله ﷺ ، حتى دنا رجل فقال : السلام عليك يا رسول الله .

فإذا هو جالس القرفصاء ، ضام ركبتيه الى صدره ، عليه اسمال ملسين ، كانتا مصبوغتين بزعفران فنعصا ، وبيده عسيب مقشور غير خوصتين من أعلاه فقال : وعليك السلام ورحمة الله .

فلما رأيت رسول الله ﷺ ، والتخشع في مجلسه أرعدت من الفرق ، فقال له جليسه : يا رسول الله . . . أرعدت المسكينة [1] .

فقال بيده : « يا مسكينة عليك السكينة » فذهب عني ما كنت اجد من الرعب .

قالت : فتقدم صاحبي أول من تقدم ، فبايعه على الإسلام . . . وعلى قومه ، ثم قال :

يا رسول الله ، اكتب لنا بالدهناء ، لا يجاوزها من تميم إلينا إلا مسافر . . . او مجاور . . .

فقال : يا غلام اكتب له الدهناء .

---

(١) أرعد الرجل من الخوف : أنزل به الرعدة . صيره يرتعد ! ارتعد : اضطرب واهتز . ترجرج . المنجد في اللغة .

books.rafed.net

قالت : فلما رأيت ذلك شخص بي وهي داري . . . ووطني .

فقلت : يا رسول الله إنه لم يسلك السوية من الأمر ، هذه الدهناء عندك مقيد الجمل ، ومرعى الغنم ، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك .

قال : صدقتِ . . . امسك يا غلام . . . المسلم أخو المسلم يسعهم الماء والشجر يتعاونان على الفتان كذا . . .

قالت : فلما رأى حريث وقد حيل دون كتابه ، صفق بإحدى يديه على الاخرى ثم قال :

كنت أنا وأنتِ كما قال الأول : « حتفها حملت ضان بأظلافها » .

قالت : فقلت أما والله لقد كنت دليلاً في الليلة الظلماء ، جواداً لدى الرحل ، عفيفاً عن الرفيقة ، صاحب صدق ، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ . عليَّ أسأل حظي . . . إذا سألت حظك .

قال : وما حظك من الدهناء لا أباً لك ؟ قالت : قلت مقيد جملي . . . سله لجمل امرأتك .

قالت : فقال : اما اني اشهد رسول الله صلى الله عليه ، اني لكِ أخ ما حييت إذ أثنيت هذا عليَّ عنده » .

هذه قيلة بنت مخرمة وغيرها كثيرات من النساء ، ذوات الفهم والتعقل ، قد أمدها الإسلام بالجرأة والإقدام .

وقفت في بادئ الأمر ترتعد خوفاً . . . ورهبة من هيبة الرسول حتى طمأنها عليه الصلاة والسلام بقوله (يا مسكينة . . . عليك السكينة) .

سكنت . . . واطمأنت عندما شاهدت النبي العظيم بتواضعه وأخلاقه

books.rafed.net

السامية وحلمه وسعة صدره وشريعته السمحاء .

أقدمت على المطالبة بحقها وحق قومها ، غير هيابة ولا وجلة ، فلا مداهنة ولا تدجيل ، ولا رياء . . . أليس حرية الرأي والصدق والصراحة والديمقراطية من بنود شريعة محمد ؟

ثم نراها تثني على صاحبها ودليلها « حريث بن حسان وافد بكر بن وائل » مع وقوفها قبل برهة أمامه موقف الخصم (ولكن الحق يعلو ولا يعلو عليه شيء) .

ومما لا شك فيه من أن المرأة المسلمة عندما استنشقت روح الحرية ، وتذوقت معنى الكرامة وسمعت قول الرسول الأعظم ﷺ وهو يوصي بالنساء خيراً ، سارعت الى مساعدة الرجل المسلم الصحيح ، وأخذت بعضده ، وسارت معه بكل إخلاص وإيمان لسلوك الصراط المستقيم .

فيا ليت فتيات العصر الحاضر . . . يلتفتن قليلاً الى الماضي حيث جداتهن القدامى المجاهدات اللواتي لا يزال أريج ذكرهن عابقاً يعطر اجواء التاريخ على مرِّ الليالي والعصور .

ويا ليت فتيات العصر الحاضر ينصفن انفسهن وينظرن بمنظار الحق والعدل ، لتتضح لهن الحقائق . ويرجعن إلى رشدهن ، ويتركن كل ما أزرى بهن من عادات مخلة بالأدب ، وتقاليد مشينة بالأخلاق .

books.rafed.net

عقيلة الهاشميين زينب بنت علي (ع)

من المنبت الزاكي والشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء .

في بيت تجمعت فيه صفات الإنسانية ، وخصال الرحمة والوفاء .

في المنزل الذي تتهادي في جنباته شمائل الشرف والبطولة والكرم والحياء .

في السنة الخامسة للهجرة ولدت لسيدة النساء فاطمة الزهراء ابنتها عقيلة الهاشميين « زينب » .

في هذا الجو العابق بالتقى والورع والإيمان ، تفتحت هذه الوردة الزكية المنبت ، الكريمة المحتد ، فرأت النور مشرقاً في وجه جدها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتفتحت عيناها على بسمة أبيها علي (ع) وحنان امها فاطمة سيدة نساء الأنام .

استقبل بيت الرسول الوليدة المباركة ، يفوح عبيرها في المهد ، عبير المنبت الطيب ، سلالة الأشراف ، ويرتسم في قسمات وجهها المضيء ملامح الأجداد الكرام ، والآباء العظام . وتلوح في طلعتها المشرقة هيبة امها الزهراء ، التي حباها الباري سبحانه بمنزلة عالية . . . فكانت أحب الناس الى قلب أبيها الرسول ، وأشبههن به خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً ، « فاطمة مني » وميزها سبحانه فكانت الوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة ، الأئمة الأطهار .

وقد ذكر المؤرخون وأهل الأخبار : أن ظلالاً حزينة ارتسمت على مهد

books.rafed.net

الوليـــدة تشـــير الى مـــا ســـتلاقيه مـــن المصـــائب والـــويلات في حياتهـــا المشـــحونة بالأحداث .

وتنقـــل المرويـــات : عـــن جـــدها الرســـول الكـــريم عليـــه الصـــلاة والســـلام وكيـــف انحـــنى علـــى الوليـــدة ، حفيدتـــه الغاليـــة ، يقبلهـــا بقلـــب حـــزين وعينـــين دامعتـــين ، لأنـــه كان عالماً بتلك الأيام السوداء التي تنتظر الطفلة في المستقبل القريب .

ويقـــول أحـــد الكتـــاب : [1] « تـــرى إلى أي مـــدى كـــان حزنـــه صلى الله عليه وآله وسلم حـــين رأى بظهر الغيب ، تلك المذبحة الشنعاء التي تنتظر سبطه الغالي ! !

وكـــم اهتـــز قلبـــه الرقيـــق الحـــاني وهـــو يطـــالع في وجـــه الوليـــدة الحلـــوة ، صـــورة المصير الفاجع ؟ » .

ويـــذكر المؤرخـــون أيضـــاً : أن ســـلمان الفارســـي أقبـــل علـــى « علـــي بـــن أبي طالـــب » يهنئـــه بمولـــد الطفلـــة الجديـــدة ، فوجـــده واجمـــاً قـــد ارتســـم الحـــزن علـــى جبينـــه ، ثم أخـــذ يتحدث بكل مرارة عما سوف تلقى ابنته من الفواجع في كربلاء .

لقد أخبره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : فبكى ولم يتمالك . . .

أجـــل لقـــد بكـــى « علـــي » الفـــارس الشـــجاع ، والمقـــدام الهمـــام ، وخـــائض غمـــرات الحروب ، والملقب بأسد الإسلام الهصور .

وتمـــر الأيـــام تطـــوي الليـــالي . . . بالنهـــار ، والطفلـــة المباركـــة تنمـــو كالزنبقـــة العطـــرة ، مغمـــورة بالحنـــان والعطـــف والـــدلال تـــدب في رحـــاب البيـــت العلـــوي الشـــريف متنقلـــة كالفراشـــة مـــن حضـــن جـــدها العظـــيم الى ذراعـــي أبيهـــا الكـــريم لترجـــع وتلـــوذ بصـــدر والدتها الحنون .

وتنتقـــل الحـــوراء زينـــب في مـــدارج صـــباها ، تحوطهـــا رعايـــة الإم والســـيدات

---

(١) الكاتب الهندي (محمد الحاج سالمين) في كتابه سيدة زينب Sayyedah Zeinab .

books.rafed.net

الجليلات من البيت الرفيع ، بيت النبوة والوحي والإلهام .

نشأت « زينب » ترافق أخويها « الحسن . والحسين » ريحانتي رسول الله ، فنمت أفضل نمو . . . وأورقت أيما إيراق .

رضعت من ثدي الإيمان . . . وتغذت بعصارة الدين واقتبست المعرفة عن جدها الرسول صاحب الرسالة المقدسة .

انتهلت العلم والفهم من أبيها « علي » البحر الزاخر الذي تتلاطم أمواجه ، سيد البلغاء . . . وأمير البيان .

وجدت أمامها أعظم من أنجبتهم الجزيرة ، من المسلمين والعلماء ، وصفوة الفقهاء ، والأبطال الكرام .

ترعرعت عليها السلام . . طاهرة السريرة ، عريقة الإيمان ، كريمة الخلق ، ذات عقل راجح وعقيدة ثابتة مع علم وأدب ، وفطنة وذكاء . . . وصبر على البلاء وكما قيل :

حاكيت شمس الضحى والبدر مكتملاً

أباً وأماً وكان الفضل للحّاكي

أبوك حيدرة والأم فاطمة

والجد أحمد والسبطان صنواكِ

المصاب الأليم . . . والنبأ العظيم :

استيقظت عقيلة بني هاشم على النبأ المروّع الذي اهتزت له أرجاء الجزيرة من أقصاها الى أقصاها ، ألا وهو موت جدها العظيم والرسول الكريم « محمد » صاحب الرسالة .

ارتاعت الطفلة عندما سمعت صراخ المفجوعين ، واستقيظت على عويل الباكيات ، والباكين .

ثم هي ترى جدها الأعظم ، صامتاً لا يتكلم ، ساكناً لا يتحرك ، والدنيا من حوله في ضجيج وصخب وهياج ، وكأنما زلزلت الأرض أو اجتاحها إعصار رهيب .

ارتاعت الحوراء زينب الطفلة الذكية وهي ترى هذه المشاهد المؤلمة وترى جدها العزيز الجليل يحمل على آلة حدباء ويرحل الرحلة المحتومة على كل إنسان من بني البشر .

كم روع قلبها الخلي هذا الموقف وهي تسمع لحن الموت الحزين وترى موكب الرحيل الأليم .

وتعود الطفلة لتجد امها الزهراء عليها السلام حزينة القلب ، باكية العين ، فاقدة الصبر ، مصدعة الكيان ، كسيرة الفؤاد .

وتتوالى الأحداث والهموم والكوارث على البيت العلوي الشريف .

وتدور الأيام ثقيلة حزينة والحوادث تتلو بعضها بعضاً . . . والحوراء « زينب » وإن كانت صغيرة السن ولكنها سلام الله عليها كبيرة العقل ، راجحة الإدراك .

تفهم وتعي جميع ما يدور حولها من أحداث . . . ومفاجآت ومؤامرات نفثت سمومها وكادت نيرانها تحرق البيت الذي طهَّره الله من الرجس ورفعه عالي الأركان بالدين مبجَّلاً بالعالمين .

تأخذني الأفكار لأتمثل الحوراء « زينب » وهي طفلة لم تودّع عامها السادس ، لتشهد موت جدها الرسول وتعي مشاهد الذهول والحزن والجزع ، من هذه المصيبة التي ألمت بالمسلمين ، تجرُّ وراءها قافلة الهموم والأحداث والوقائع .

books.rafed.net

فمن سقيفة بني ساعدة وكيف مثّلت أدوارها إلى احداث الخلافة وشحناءها ، الى الميراث و « فدك » ثم تلا هذا كله الوقائع . . . والحروب الى جميع الأمور التي يتفطر القلب لها حزناً وتمزقّ الأفكار جزعاً وتودع النفوس رعباً وتترك الحسرات والألم الدفين .

أجل أتمثل « زينب » في خضم المأساة المروعة تلوذ بأمها الزهراء فتجدها ذاهلة حزينة يغشى عليها من حين لآخر ، فتنعطف مذعورة لتحتمي بأبيها الإمام فتراه حزيناً كئيباً .

أي طائف من الحزن اجتاح قلب الطفلة المدللة ؟ .

وأي خوف غامض غزا قلبها الخلي وروع روحها السَّاذجة البريئة ؟

عادت مع أخويها السِّبطين إلى البيت بيت أبيها أمير المؤمنين الذي تراكمت عليه الأحداث المفجعة ، وتوالت عليه المصائب المؤلمة فأحالت زهوه وضياءه الى ليل موحش مظلم .

لزمت « زينب » فراش امها الثكلى ، التي اعتلت بعد وفاة أبيها النبي . . . تنظر اليها بإشفاق ، بادية اللهفة والخوف على حياة والدتها بضعة الرسول .

يحق للحوراء « زينب » إن فقد الام جدير بأن يجرع الطفلة مرارة الكأس .

لم يمض على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أشهر او ستة أشهر على أبعد الرّوايات ، حتى رحلت الزهراء عن هذه الدنيا الفانية .

وتمضي الى جوار ربِّها راضية مرضية . . وتترك تلك الصبية التي روّعت بماساة الموت مرتين ، وفي أعز الناس لديها وأحبهما إليها جدها ووالدتها .

books.rafed.net

دور الزهراء تمثله زينب (ع)

ما أروع الشبه بين الأم والبنت إذا أردنا المقارنة وخصوصاً في الصمود أمام الكوارث في المواقف الحرجة والظروف الصعبة حيث يتحكم العقل ، تأمر الإرادة ، ويملي الدين .

بالأمس وقفت الزهراء عليها السلام تنظر الى موكب الموت وهو يحدو بعمها « أبي طالب » كفيل رسول الله ، وتلحقه امها « خديجة » الكبرى أم المؤمنين زوجة الرسول وساعده القوي .

ويبقى رسول الله يعاني مرارة الوحشة والفراق واضطهاد قريش ينوء تحت أعباء الرسالة المقدسة .

وتتوالي الأيام وتكر الأعوام ويعيد الماضي نفسه ، فتقف زينب بنت أمير المؤمنين كأنها الزهراء .

تمثل نفس الدور على مسرح الحياة ، وهي تعيش المأساة بكل مرارتها عندما فقدت جدها وأمها في عام واحد .

أجل وقفت زينب تنظر بلوعة وأسى الى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وهو يرزح تحت كابوس من الحزن والألم ، بعد أن فقد عزيزين غاليين عليه محمد وفاطمة .

books.rafed.net

كانا له الملجأ والمفزع ، كما يكون المطر للزرع غيثاً وعطاءً .

افتقد « علي » صاحب الرسالة الذي كان له الأخ والعم والمعلم ، وبعدها تتبعه ابنته « الزهراء » الزوجة الوفية المخلصة . ويبقى وحيداً حزيناً قد تنكر له الجميع .

وليس بمستغرب أن تتحمل زينب مسؤولية الأم في بيت أبيها وتحتل مكانة عالية فقد انضجتها الأحداث ، وهيأتها لأن تشغل مكان الراحلة الكريمة فتكون للحسن والحسين وباقي إخوتها اماً حنوناً ، لا تعوزها عاطفة الامومة بكل ما تحتويه من إيثار وإن كانت صغيرة السن يعوزها الاختبار .

لقد حفظت وصية امها ، وهي على فراش الموت (بأن تصحب أخويها ، وترعاهما وتكون أماً لهما) .

تحملت السيدة زينب مسؤولية عظيمة وقامت بها خير قيام ، ولا عجب فهي ليس كباقي الفتيات ، تسرح مع لداتها ، وتقضي وقتها باللعب والسمر الذي يتطلبه عمرها الصغير .

كانت تربية « زينب » عالية فهي فرع من تلك الدوحة المقدسة ، وكلما تقدم بها الزمن ، انضجتها الأحداث ، وعلمتها النوائب كيف تستقبلها بقلب ثابت ملؤه البطولة والإيمان .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء : « ولم تظفر صبية من لداتها فيما نحسب ، بمثل ما ظفرت به في تلك البيئة الرفيعة ، من تربية عالية » .

وكان هذا كله بحيث يرضي « زينب » في صباها ، ويتيح لنا أن نراها مرحة مزهوة . ولكنها لا تكاد تشب عن الطوق حتى يقال انها عرفت النبوءة الأليمة .

books.rafed.net

وقيل انها كانت تتلو شيئاً من القرآن الكريم ، بمسمع من ابيها ، فبدا لها ان تسأله ، عن تفسير الآيات ففعل ، ثم استطرد ، متأثراً بذكائها اللامع يلمح الى ما ينتظرها في مستقبل أيامها ، من دور ذي خطر .

ولشد ما كانت دهشته حين قالت له « زينب » في جد رصين : « اعرف ذلك يا ابي . . . أخبرتني به امي . . . كيما تهيئني لغدي » .

ولم يجد الأب ما يقول ، فأطرق صامتاً وقلبه يخفق رحمة وحناناً .

books.rafed.net

الزواج المبارك

تفتحت زهرة آل البيت ، وبلغت « زينب » سن الزواج ، وذاع صيتها في المجتمعات ، فتوافد الطلاب من كل حدب وصوب . . . من ذوي الشرف والجاه والمال .

لكن الامام علي عليه السلام : لا يخدعه المال او متاع الدنيا أليس هو قائل : « يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري » .

ولا بحاجة الى ذوي الجاه ، فهو ذو الشرف الرفيع الذي لا يجارى .

وإنما يريد الكفؤ الكريم .

تقدم إليه ابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله هو الفتى الهاشمي الكفؤ . . . والزوج المختار .

أليس هو ابن جعفر الطيار ؟ ذو الجناحين . . . وأبو المساكين وحبيب رسول الله ، وأمير المهاجرين الى الحبشة ؟ ؟

تقول المرويات : انه صادف وصول جعفر من الحبشة الى المدينة يوم فتح خيبر . فاعتنق رسول الله ﷺ جعفراً وأخذ يقبله بين عينيه وهو يقول :

« لا أدري بأيهما أنا أشد فرحاً ، بقدوم جعفر أم فتح خيبر ؟ » [1] .

---

(١) تاريخ الطبري . طبقات ابن سعد الكبرى .

books.rafed.net

وفي موقعة (مؤتة) كان أمير القوم ، وقطعت يداه في تلك المعركة ، وأخيراً احتضن الراية وظل يقاتل حتى استشهد [1] .

وكان النبي ﷺ لآل جعفر راعياً ، وأباً ، يرعاهم بعطفه ، ويفيض عليهم بحنانه .

وفي رواية : ان رسول الله ﷺ قال في عبد الله بن جعفر : « وأما عبد الله فيشبه خلقي وخلقي » ثم أخذ بيمينه فقال :

« اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه . قالها ثلاثاً . وأنا وليهم في الدنيا والآخرة » .

كان عبد الله فتى في مقتبل شبابه ، قد لاحت شمائل سؤدده ، وتميزت مخايل شخصيته التي لفتت أنظار المؤرخين ، وتغنت بها الشعراء . . .

قال عبد الله بن قيس الرقيات :

وما كنت إلا كالأغرّ ابن جعفر
رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا

وقال الشماخ معقل بن ضرار :

إنك يا ابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى
ورُبّ ضيفٍ طرق الحي سُرى
صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

وام عبد الله بن جعفر هي « أسماء بنت عميس » من المهاجرات الى الحبشة ،

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير .

books.rafed.net

واحـــدى الأخـــوات المؤمنـــات اللـــواتي سمـــاهن الرســـول عنـــدما قـــال : الأخـــوات المؤمنـــات هـــن : أسمـــاء بنـــت عمـــيس وميمونـــة ام المـــؤمنين ، وســـلمى زوج حمـــزة بـــن عبد المطلب ، ولبابة زوج العباس بن عبد المطلب .

اقـــترن ســـليل دوحـــة الشـــرف عبـــد الله بـــن جعفـــر ، بحفيـــدة الرســـول (ص) عقيلـــة الهاشميين « زينب » .

ضم عش الزوجية تحت جناحيه أنبل شخصين هما . . .

عبـــد الله بـــن جعفـــر بمروئتـــه . . . ونبلـــه . . . وكرمـــه . . . وسماحـــة خلقـــه . . . وسخائه ، حتى لقب « ببحر الجود . أو قطب السخاء » .

و « زينـــب » ابنـــة علـــي الـــتي كانـــت تشـــبه امهـــا الزهـــراء لطفـــاً ورقـــة ، وانوثـــة ، وتشبه أباها « علياً » علماً ، وتقى ، وفصاحة ، وبلاغة .

انتقلـــت « زينـــب » إلى بيـــت ابـــن عمهـــا لتضـــيء فيـــه شموعـــاً تنـــير الـــدنيا مـــن حولها . . . وتنجب البنين والبنات .

وتقـــول أكثـــر المرويـــات : أن الســـيدة « زينـــب » مكثـــت في خـــدرها محجبـــة تقيـــة ، عالمـــة ورعـــة ، كـــان لهـــا مجلـــس حافـــل تقصـــده جماعـــة مـــن النســـاء اللـــواتي يـــردن التفقه في الدين .

books.rafed.net

بداية الاحداث

انتقلت الحوراء « زينب » الى بيت ابن عمها عبد الله بن جعفر ولكنها عليها السلام لم تتخل عن تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها من إدارة بيت أبيها والاهتمام بشؤون أخويها ، اولاً . . . وآخراً . . (وصية امها الزهراء) .

وشاءت الأقدار أن تعيش « زينب » فصول الأحداث والمصاعب ، فما كانت تطبق جفنها على مأساة أو حادثة تلمّ بالبيت العلوي الطاهر ، حتى تلوح لها حادثة جديدة ، ومأساة اخرى ، فتقف بكل شجاعة صامدة بقلبها الكبير وصبر وإيمان على تقلبات الزمان رغم انها امرأة .

وألف رجل لا يعادل امرأة مثل « زينب » حملت البطولة على كتفها تجسدها بأجلى مظاهرها ، وتتحمل الكوارث ، وتصمد للنوائب بأفضل ما يصمد له الأبطال ، في معامع الحروب وساحات الوغى .

نراها واقفة تراقب ما رافق خلافة أبيها أمير المؤمنين بعد أن خذله الناس فيما مضى ، رغم النص على خلافته من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكان ما كان . . . من الأحداث .

وبعد مقتل (عثمان بن عفان) ألقت الخلافة بمقاليدها اليه رغم انه كان يحاول تجنب المشاكل ، التي يعلم حق العلم انها ستحدث حتماً .

books.rafed.net

فالإمام علي سيسير بالناس على غير ما يشتهون وسيحملهم على جادة الحق (والحق مرّ) لا يرضاه القوم .

قبض عليه السلام على بيت المال ، والناس عنده سواء لا محل للعواطف . . . ولا مجال للأهواء ، أو الجاه ، أو القربى . . .

ولا لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى .

وكانت البداية المؤلمة ، إن أبا الحسن لا يعطي من دينه لدنياه ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

لم يوافق هذا العمل الكثير من الناس ، أمثال طلحة والزبير وهما اللذان نكثا بيعة « علي » على أنهما على معرفة تامة بالإمام وسيرته . . . وبلائه .

وكانت الفتنة الكبرى ، والنكسة العظمى التي ابتلي الإسلام بها إنها وقعة « الجمل » تلك التي جرت وراءها الأحداث والويلات ، ورمت المسلمين ببلاء عظيم .

وترتفع راية الحق « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » [1] .

ويرجع المسلمون بالندامة والملامة ، وقلوبهم دامية على اقتتال المسلمين وتمزيق شملهم .

ولست بصدد إعادة حوادث التاريخ المؤلمة ، فالحديث شجون . . . فهناك الكثير من الناس ممن اتخذ الإسلام له ذريعة للوصول إلى السلطة أمثال معاوية بن

---

(١) سورة الاسراء آية ٨١ .

books.rafed.net

أبي سفيان الذي لم تعجبه نتيجة وقعة « الجمل » بل آلمه انتصار « علي » .

أليس معاوية بن أبي سفيان سليل البيت الاموي المعروف بعدائه للبيت الهاشمي من قديم الزمان .

أليست العداوة والبغضاء متأصلة يتوارثها الأبناء عن الآباء ؟

ولقد صدق من قال :

عبد شمس قد أضمرت لبني هاشم حرباً يشيب منها الوليد

فابن حرب للمصطفى ، وابن هند لعلي ، وللحسين يزيد

أجل لم يتمكن « معاوية » من كبح جماح أطماعه التوسعية ورأى بدهائه أن الفرصة مؤاتية لمحاربة « علي » إذن ليتخذ من مقتل الخليفة « عثمان » ذريعة للوقوف بوجه (الإمام الحق) .

لم يتوانى عميد بني أمية عن اغتنام الفرصة ، فقام بالاتفاق مع عمرو بن العاص « الداهية الماكر » الذي باع دينه بدنياه كما هو معروف عند أكثر أهل التاريخ والسير .

جاء في كتاب ظلال الوحي [1] . قال : إن الكثير من سلاطين المسلمين ساروا على جادة الانصاف ، بخلاف معاوية الذي أفرغ وسعه وعمل جهده في صنع الخديعة حتى يسلب الحق من أهله ، وهذا يعرف من إرساله خلف عمرو بن العاص ، وقد كان عمرو انحرف عن عثمان ، لانحرافه عنه وتوليته مصر غيره ،

---

(١) في ظلال الوحي : السيد علي فضل الله الحسني .

books.rafed.net

فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي ، كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان .

وكان فيما كتب به إليه :

« ما كنت صانعاً إذا قشرت من كل شيء تملكه ؟ فاصنع ما أنت صانع » .

فبعث إليه معاوية : فسار إليه .

فقال له معاوية : بايعني . . . قال : لا والله ، لا اعطيك من ديني حتى أنال من دنياك .

قال : سل ؟ قال : مصر طعمة .

فأجابه الى ذلك ، وكتب له به كتاباً .

وقال عمرو بن العاص في ذلك : كما رواه المسعودي في « مروج الذهب » .

معاوية لا اعطيك ديني ، ولم أنل

به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع

فإن تعطني مصراً ، فاربح بصفقة

أخذت بها شيخاً يضر وينفع

أجل لقد استغل معاوية وعمرو بن العاص « سذاجة الشاميين » فقد انطلت الحيلة على أهل الشام ، الحيلة والمكر والخديعة وهي « المطالبة بدم عثمان . »

ولو سأل أهل الشام أنفسهم : ترى لو لم يتبوأ « علي » منصب الخلافة ، أكان معاوية سيحمله على دم عثمان ؟

كلا . . . إنها خديعة . . . وغايته محاربة علي فقط .

books.rafed.net

وكانت وقفة « صفين » التي شتتت أمر المسلمين ، وفتكت بهم ، ولم تزل نيرانها تكوي جباههم .

دارت رحى الحرب في « صفين » وأبطال المسلمين يجندل بعضهم بعضاً ؛ وكان ممن قتل يوم ذاك الصحابي الجليل « عمار بن ياسر » الذي قال الرسول له : يا عمار تقتلك الفئة الباغية .

وعندما مني معاوية بالهزيمة . لجأ إلى الخديعة والمكر مرة ثانية ، فاحتال « برفع المصاحف » حتى اضطر الإمام عليه السلام قبول التحكيم ، رغم أنه يعلم أنها خدعة ، كما صرَّح بذلك .

وانتهت المأساة ، وقتل ما ينوف على مئة وعشرين ألفاً من المسلمين ، وأدرك زعيم بني أمية بعض ثأره من الهاشميين .

تمر الأيام بـ « زينب » وهي بالكوفة « مقر الخلافة » تراقب بعين ساهرة أبيها الإمام وأخويها السبطين عليهم السلام فلا يغمض لها جفن ، ولا يهدأ لها بال ، حتى تراهم .

وعلى توالي خمسة أعوام و « عقيلة الهاشميين » تتألم وهي ترى الإمام عليه السلام يخوض المعارك ، وقد ذرف على الستين ، وهو الذي حمل سيف الجهاد ، ولما يبلغ الحلم كما ورد في خطبة الجهاد وعند قوله عليه السلام مخاطباً أصحابه :

« لله أبوهم ؛ وهل أحد منهم أشد مراساً ، وأقدم فيها مقاماً مني ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا قد ذرَّفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع » [1] .

---

(١) نهج البلاغة . شرح ابن ابي الحديد .

books.rafed.net

العاصفة الهوجاء والاحداث المؤلمة

لا أريد أن القي بنفسي في غمار الأحداث التاريخية ، والتحدث عن الوقائع التي خاضها المسلمون ، لو أن السيدة « زينب » كانت بعيدة قابعة في مدينة جدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، شأن غيرها من النساء لا تهتم إلا بشؤونها الخاصة .

ولكن عقيلة بني هاشم تختلف عن غيرها ، فهي دائماً في صميم الدوامة التي تلف الدولة الإسلامية بالعاصفة الهوجاء .

نراها عليها السلام قد رحلت إلى الكوفة (مقر خلافة علي (ع) مع زوجها عبد الله بن جعفر ، الذي كان أميراً من أمراء جيش صفين . ثم تعود إلى المدينة بعد مقتل الإمام علي . وصلح الحسن لترافق أخيها الحسين عليه السلام إلى العراق فتساهم في موقعة الطف وتكون « بطلة كربلاء » .

صحيح ان السيدة « زينب » لم تكن من حملة السيوف ، ولا نراها في ساحة الوغى حيث الضجة والدوي الذي يصم الآذان .

لكن نجدها هناك . . في ميدان السياسة وقد ظهرت على مسرح الأحداث . بطلة من الأبطال .

ان صلتها بالقادة والأبطال وثيقة ، ومكانتها من البيت الهاشمي رفيعة ، ومواقفها شهيرة علاوة عن اصالة الرأي وسلامة التفكير .

books.rafed.net

ومن هنا أقدم عذري ، إذا تكلمت عن بعض المعارك بايجاز لأنه لا مندوحة من ذلك .

لقد شاءت الأقدار للسيدة زينب ان ترافق الأحداث فترى الأمر الذي كان مقرراً لأبيها ينتقل إلى « أبي بكر » ثم إلى « عمر » ثم إلى « عثمان » ثم إلى « علي » وتشتعل نار الفتن التي لم تخب حتى مدة طويلة من الزمن .

خمس سنوات قضتها السيدة زينب بالكوفة ترافق الإمام « علي » الذي لم يهدأ له بال ، ولم يستقر له قرار فمن وقعة « الجمل » الى حرب « صفين » الى محاربة الخوارج في « النهروان » يجاهد في سبيل الرسالة المقدسة لعله يتمكن من هداية الناس إلى طريق الصواب ، وحملهم على المحجة البيضاء . . . والصراط المستقيم .

يشاء القدر ان يجرع السيدة زينب مرارة اليتم ويروع قلبها الكبير ، بفقد الأب العطوف .

ففي اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك ، عام اربعين للهجرة ، توجه الإمام عليه السلام نحو المسجد بالكوفة للصلاة ، وآذان الفجر يشق عنان السماء ، ويتعالى في الاجواء .

وهناك في ناحية المسجد ، كمن عدو الله « ابن ملجم » الخارجي ليضرب الإمام بسيفه المسموم ، ويصرعه وهو ساجد في محرابه منقطع إلى خالقه .

وتتجلى حكمة الباري عز وجل . . ومشيئته حيث التشابه بولادة الإمام واستشهاده .

books.rafed.net

ولـــد الإمـــام علـــي عليـــه الســـلام « بالكعبـــة المشـــرفة » بيـــت الله بمكـــة وقتـــل في مسجد الكوفة « بيت الله » .

تقـــف عقيلـــة الهـــاشميين وقلبهـــا يتفطـــر اســـى ولوعـــة ، حـــين تـــرى اباهـــا الحبيـــب ، الإمام العظيم محمولاً على الأعناق .

جمعـــت عليهـــا الســـلام كيانهـــا المتـــداعي مـــن هـــول الصـــدمة ، وتحاملـــت علـــى نفســـها ، واكبت على أبيها تغسل جرحه بدموعها المنسابة .

ونراهـــا واقفـــة تســـمع أباهـــا أمـــير المـــؤمنين ، وقـــد جمـــع اولاده وأوصـــاهم وصـــيته التي ذكرها التاريخ المملؤة بالحكم والمواعظ الصادرة عن سيد البلغاء .

وصية الامام علي بن ابي طالب (ع) :

ذكـــر الطـــبري في تاريخـــه : لمـــا حضـــرت علـــي بـــن أبي طالـــب الوفـــاة ، أوصـــى فكانت وصيته :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هـــذا مـــا أوصـــى بـــه علـــي بـــن ابي طالـــب اوصـــى انـــه يشـــهد ان لا الـــه الا الله وحـــده لا شـــريك لـــه وأن محمـــداً عبـــده ورســـوله ، أرســـله بالهـــدى وديـــن الحـــق ، ليظهـــره علـــى الـــدين كله ، ولو كره المشركون .

ثم ان صـــلاتي ، ونســـكي ومحيـــاي ومـــاتي لله رب العـــالمين ، لا شـــريك لـــه ، وبذلك امرت وأنا من المسلمين :

ثم اوصـــيك يـــا حســـن وجميـــع ولـــدي وأهلـــي بتقـــوى الله ربكـــم ولا تمـــوتن إلا وأنتم مسلمون .

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول :

(ان صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام) .

انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم ، يهون الله عليكم الحساب .

الله الله : في الأيتام فلا تُغبّوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم .

والله الله : في جيرانكم فانهم وصية نبيكم (ص) ما زال يوصي به حتى ظننا انه سيورثه .

والله الله : في الجهاد في سبيل الله باموالكم وانفسكم .

والله الله : في الزكاة فإنها تطفىء غضب الرب .

والله الله : في ذمة نبيكم ، فلا يظلمن بين أظهركم .

والله الله : في أصحاب نبيكم ، فإن رسول الله اوصى بهم .

والله الله : في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معايشكم .

والله الله : فيما ملكت ايمانكم .

الصلاة الصلاة : لا تخافن في الله لومة لائم يكفيكم من ارادكم ، وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولي الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم وعليكم بالتواصل والتباذل وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ان الله شديد العقاب .

حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم .

استودعكم الله ، واقرأ عليكم السلام ، ورحمة الله وبركاته .

books.rafed.net

ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنه . وذلك في شهر رمضان سنة أربعين ، وغسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر [1] .

سمعت زينب وصية أبيها ، ووعتها بكل جوارحها لتقوم بتنفيذها لأن سلسلة الأحداث لم تزل في البداية .

وعن محمد بن عمر قال :

ضرب علي عليه السلام ليلة الجمعة ، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت وتوفى ليلة الأحد لاحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة [2] .

وفي رواية ثانية : انه عليه السلام دعا الحسن والحسين فقال : اوصيكما بتقوى الله ، وألا تبغيان الدنيا وان بغتكما ، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما وقولا الحق ، وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف ، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم ناصراً ، واعملا بما في كتاب الله .

ولا تأخذكما في الله لومة لائم . ثم نظر إلى محمد بن الحنيفة فقال : هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال نعم ، قال : فإني اوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير اخويك ، لعظم حقهما عليك فاتبع أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما .

ثم قال أوصيكما به فإنه شقيقكما ، وابن ابيكما وقد علمتما ان اباكما كان يحبه .

وقال للحسن : اوصيك أي بني بتقوى الله ، وأقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء

---

(١) تاريخ الطبري . ج . ٥ . ص ١٤٧ . ١٤٨ .

(٢) تاريخ الطبري . ج . ٥ . ص . ١٥٣ .

books.rafed.net

الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا صلاة إلا بطهور .

ولا تقبل صلاة ، من مانع زكاة ، واوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عند الجهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الأمر ، والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش [1] .

هذا بعض ما ذكره المؤرخون من وصية الإمام علي عليه السلام لأولاده أو لولديه الحسن والحسين عليهما السلام .

ان أمير المؤمنين الإمام علي يعلم حق العلم ان الحسن والحسين هما سيدا شباب أهل الجنة كما مر معنا مراراً عن لسان الرسول الاعظم ﷺ وعلى هذا فلا يعقل أن يصدر من سيدي شباب أهل الجنة أي ذنب يخل بالسيادة ولكن أمير المؤمنين اراد من هذه الوصية وأمثالها ارساء قواعد الدين ومكارم الاخلاق للعالم اجمع وليسير على طبقها الخلف بعد السلف ليس غير ذلك وان ابناء علي عليه السلام كما قال فيهم الشاعر :

مطهرون نقيات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا

وفاة أمير المؤمنين عليه السلام :

جلجل الخطب ، ولبى الإمام عليه السلام نداء ربه ، فارتجت الكوفة لهذا النبأ المروع ، نبأ وفاة امام الهدى « علي بن ابي طالب » .

رحل الإمام إلى جوار ربه ، وترك زينب تندب أباها البطل الهمام ، باكية متفجعة ، تتجرع الحسرات .

---

(١) تاريخ الطبري . ج . ٥ . ص ١٤٧ .

books.rafed.net

وقفت عليها السلام تذرف العبرات بصمت كئيب ، فدورها لم يحن بعد . . ينتظرها في كربلاء .

امسكت قلبها تعتصره في ذعر وهلع ، واصغت في وجوم إلى الضجة ، وإلى صيحات الألم واللوعة ، المنبعثة من حناجر المؤمنين تعلن . . . مات أمير المؤمنين .

نرى عقيلة بني هاشم ترعى الإمام الحسن وقد وقف بين الجمع يقول :

« لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولا يدركه الآخرون بعمل . ولقد كان يجاهد مع رسول الله (ص) فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح عليه ، وما خلف صفراء ولا بيضاء . . ثم خنقته العبرة فبكى ، وبكى الناس معه [1] .

وقال أبو الأسود الدؤلي :

الا ابلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً اجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمبينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بانك خيرها حسباً ودينا

---

(١) تاريخ الطبري .

books.rafed.net

عقيلة بني هاشم مع اخيها الامام الحسن (ع) :

رحل الامام امير المؤمنين الى جوار ربه مشيعاً بالحسرات وترك العقيلة « زينب » تطوى احزانها بين اضلاعها وتحتسب عند الله كل ما تلاقيه .

لكن سلسلة الاحداث لم تفرغ حلقاتها ، والاحزان لم تنته ، والبيت الهاشمي لا تهدأ له زفرة ولا تجف له دمعة .

لأن حقد الامويين متغلغل في الأعماق ، ونفوسهم المنطبعة على الكراهية لآل بيت الرسول مشرئبة ، تتحين الفرص لأخذ الثأر من آل النبي المختار .

بويع الامام الحسن عليه السلام بالخلافة ، (وهو الخليفة الحق) والبيعة له تؤثر على معاوية المشرئبة نفسه للخلافة .

« معاوية » الداهية يوآزره عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وامثالهما من طلاب الدنيا الذين شيمتهم الخداع والمكر والغدر .

يجيدون حبك المؤامرات ، ويشترون ضمائر الناس بالاموال تارة وبالوعود والاماني طوراً .

والحسن عليه السلام : الامام المعصوم كأبيه علي لا يحيد عن الحق ، ولا يسعه ان يشتري الناس بالاموال ، كما يفعل معاوية .

ان بيت المال للمسلمين فلا يجوز ان يصرف منه شيء الا في سبيل مصلحة الاسلام والمسلمين .

books.rafed.net

والنـــاس عبيـــد الـــدنيا ، الا فئـــة قليلـــة هـــداهم البـــاري الى طريـــق الرشـــاد يقـــول الطبري [1] :

« بـــايع النـــاس الحســـن بـــن علـــي عليـــه الســـلام بالخلافـــة ، ثم خـــرج بالنـــاس حـــتى نزل المدائن ، وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر الفاً .

واقبـــل معاويـــة في أهـــل الشـــام حـــتى نـــزل مســـكن ، فبينمـــا الحســـن في المـــدائن ، اذ نـــادى منـــادٍ في العســـكر : « الا ان قـــيس بـــن ســـعد قـــد قتـــل ، فـــانفروا ، فنفـــروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته .

تخـــدر النـــاس بمـــال معاويـــة ، فتخـــاذلوا عـــن الامـــام الحســـن عليـــه الســـلام واضـــطر الى الصلح الذي عقده مع معاوية .

وبعـــدها رجـــع الى مدينـــة جـــده الرســـول ، بصـــحبة أخيـــه الامـــام الحســـين واخته العقيلة زينب وزوجها عبد الله بن جعفر .

كـــل هـــذه المواقـــف والمشـــاهد ، عاشـــتها عقيلـــة بـــني هاشـــم وفي قلبهـــا الـــف غصـــة ، وفي عينيها تترقرق الدمعة .

تتـــابع تطـــورات الموقـــف بأهتمـــام ، وتحســـب للمســـتقبل الـــف حســـاب وتـــرى اخويهـــا السبطين بلهفة وشفقة .

معاويـــة يخشـــى الحســـن ومهمـــا خـــدر أعصـــاب النـــاس بـــالاموال فـــالحق دائمـــاً هـــو الأعلى ، اذن لماذا لا يرتاح من هذا الخصم العظيم ؟

ووجـــد المخـــرج ، لقـــد دس الســـم للامـــام الحســـن عليـــه الســـلام بواســـطة زوجتـــه

---

(١) تاريخ الطبري . ج ٥ . ص ١٥٩ . حوادث سنة ٤٠ .

books.rafed.net

« جعدة بنت الاشعث » لعنها الله .

ارتاعت الحوراء زينب عندما سمعت بخبر سم اخيها الحسن فوقفت ترمق السبط الكريم وهو يلفظ كبده قطعاً من شدة السم .

تجلدت عليها السلام ، وكتمت الحسرات ، واخفت الزفرات زينب البطلة لم تخلق للبكاء والنحيب .

انها رمز الصمود ، الانسانية النبيلة ، والمؤمنة الصابرة انها بنت علي ، ومن بني هاشم الذين « القتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة » .

ولكن فراق الأحبة صعب ومرير .

شيع المسلمون ، الامام الحسن الى مثواه الأخير مصحوباً باللوعة والأسف .

ورجعت زينب الى البيت الحزين ، بعد ان وُسِّد شقيقها الغالي في ملحودة قبره ، ورقد الفقيد الراحل الى جوار امه الزهراء « بالبقيع » عام ٤٩ هجرية وهو في الثامنة والاربعين من عمره كما جاء في مقاتل الطالبين .

في خضم الاحداث :

لم تنته المصاعب ، والحوادث المؤلمة ، بموت الامام الحسن عليه السلام ، وما رافق دفنه من الحزازات والآلام بل أخذت التيارات السياسية العاتية ، تلوح بالافق ، وتنذر بمأساة لها خطرها الجسيم .

والسيدة زينب تعيش في دوامة التيارات بكل مآسيها وتقف الى جانب

books.rafed.net

اخيها الحسين القائم بأمر الرسالة المقدسة ، التي انتقلت اليه ، بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام .

جاء دور الحسين سلام الله عليه ، فوقف في وجه معاوية السلطان الداهية الذي افرغ جعبة دهائه . . . وخداعه ، ومكره ليأخذ البيعة لولده يزيد ، ويجعل من الخلافة الإسلامية ، ملكاً عضوداً وارثاً موروثاً .

فوجىء المجتمع الاسلامي بهذا التدبير .

يزيد حفيد « هند » يتولى خلافة المسلمين . . . يرثها من الأجداد . . . كلما مات هرقل قام هرقل . . .

شمَّر زعيم بني أمية « معاوية » عن ساعديه ليصرف الخلافة عن الحسين حفيد « خديجة » أم المؤمنين والمسلمة الأولى ، الطاهرة الزكية . . . وسبط الرسول الأعظم (ص) .

ليجعلها في ولده يزيد حفيد « هند » آكلة الأكباد .

لكن معاوية فكر ودبر ، وعزم على أخذ البيعة ليزيد مهما كان الثمن . . . لقد قرر تذليل جميع العقبات التي تعترضه ، ودفع بكل اساليبه الجهنمية الى تمهيد السبيل .

وتحت وطأة الأرهاب تارة والرشوة وبذل المال والحيلة والدهاء تارة أخرى ، تمت المؤامرات ، وبايع أهل الشام .

وكتب معاوية الى عماله في الأمصار ، يأمرهم بأخذ البيعة بالخلافة لولي عهده يزيد المتهتك .

books.rafed.net

ويأمرهم ايضاً باستعمال الشدة والعنف ممن لم يبايع أو لم يقبل الرشوة ثمن البيعة .

وتقول بعض المرويات : ان معاوية جلس ليأخذ البيعة ليزيد ، وعندما خطب بالناس وعرّفهم بما يريد . . .

هناك كثر اللغط . . . وتعالت الهمسات بين الرفض والانكار . . . أو السكوت على مضض .

عندها قام أحد المقربين من معاوية فقال : يا معاوية انا لا نطيق ألسنة مضر . . . وخطبها ؟ ! انت امير المؤمنين ، فان هلكت فان يزيد من بعدك ، فمن ابى . . . فهذا وسل سيفه .

ومهما كانت السبل الملتوية التي سلكها معاوية بن ابي سفيان في تحقيق مآربه ، واستعملها في بلوغ اطماعه ، فقد استطاع في النهاية ان يجعل من يزيد المستهتر حاكماً للمسلمين .

أجل لقد افرغ معاوية حقده ، ونال ابن ابي سفيان مأربه من بني هاشم ، وتمادى في غيه غير مبالٍ لاوامر الباري سبحانه وسنة الرسول الأعظم (ص) .

بعد مقتل (علي) نقض معاوية شروط الصلح التي عقدها وابرمها مع الإمام الحسن (ع) وأمر بسب « علي » بن أبي طالب (اخي رسول الله . وابن عمه . وزوج الزهراء . واول القوم اسلاماً) على منابر المسلمين .

وقتل الكثير من الصلحاء ، والمؤمنين الابرياء امثال « حجر بن عدي الكندي » واصحابه ، ثم بعد هذا دس السمَّ للامام الحسن (ع) .

واخيراً ألحق زياد بن ابيه بابي سفيان ، مخالفاً حكم القرآن وسنة الرسول ، واجماع المسلمين على ذلك .

books.rafed.net

ولنستمع الى أحدهم يخاطب معاوية بعد الحاقه زياداً قال :

ألا ابلـــغ معاويـــة ابـــن حـــرب مغلغلـــة عـــن الرجـــل اليمـــاني

أتغضـــب ان يقـــال ابـــوك عـــفٌّ وترضـــى ان يقـــال ابـــوك زاني

ولم يكفـــه كـــل هـــذا ! بـــل أخـــذ يبـــدد امـــوال بيـــت المســـلمين يهبهـــا لأنصـــاره وأعوانـــه ، امثـــال المـــاكر الداهيـــة « عمـــرو بـــن العـــاص » وطريـــد رســـول الله « مـــروان ابن الحكم » والدعي الفاسق « زياد بن أبيه » .

ولم يخـــرج معاويـــة مـــن الـــدنيا إلا بعـــد ان ســـلط ولـــده يزيـــداً علـــى رقـــاب المسلمين .

books.rafed.net

نذر المأساة

انكـــر أهـــالي مدينـــة الرســـول ، وبقيـــة الصـــحابة الاخيـــار والمؤمنـــون حكومـــة يزيد ، وامتنع الكثير من البيعة .

ارســـل « يزيـــد » الى ابـــن عمـــه « الوليـــد بـــن عتبـــة بـــن ابي ســـفيان » والي المدينـــة ، يأمره ان يأخذ البيعة من الحسين بأي اسلوب كان ، او حيلة .

وذكر صاحب اعيان الشيعة : [1]

« فصـــار الحســـين (ع) الى الوليـــد فوجـــد عنـــده مـــروان بـــن الحكـــم ، فنعـــى اليـــه الوليـــد معاويـــة ، فاســـترجع الحســـين (ع) ثم قـــرأ عليـــه كتـــاب يزيـــد ، ومـــا امـــره فيه من اخذ البيعة منه ليزيد .

فلـــم يـــرد الحســـين (ع) ان يصـــارحه بالامتنـــاع مـــن البيعـــة ، واراد الـــتخلص منـــه بوجه سلمي ، فورى عن مراده وقال :

« أني اراك لا تقنع ببيعتي سراً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس » .

فقال له الوليد : اجل ، فقال الحسين (ع) تصبح وترى رأيك في ذلك .

فقال له الوليد : انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس .

فقـــال لـــه مـــروان بـــن الحكـــم : والله لـــئن فارقـــك الحســـين الســـاعة ولم يبـــايع لا قـــدرت منـــه علـــى مثلهـــا ابـــداً حـــتى تكثـــر القتلـــى بيـــنكم وبينـــه ، ولكـــن احـــبس الرجل ، فلا يخرج من عندك حتى يبايع او تضرب عنقه .

---

(١) اعيان الشيعة . السيد محسن الامين . ج . ٤ . ص . ٧٣ . .

books.rafed.net

فلما سمع الحسين (ع) هذه المجابهة القاسية من مروان صارحهما حينئذ بالامتناع من البيعة ، وانه لا يمكن ان يبايع ليزيد أبداً .

وثب الحسين (ع) عند ذلك وقال لمروان : ويلي عليك يا ابن الزرقاء . . . انت تأمر بضرب عنقي ؟ ! كذبت والله ولؤمت . . .

ثم أقبل على الوليد فقال : ايها الامير إنا اهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا ختم . . .

ويزيد فاسق ، وشارب الخمر ، قاتل للنفس المحرمة ، معلن بالفسق . ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون اينا احق بالخلافة والبيعة . »

ثم خرج عليه السلام يتهادى بين مواليه ، وهو يتمثل بقول يزيد بن المقرع :

لا ذعرت السوام في غسق الصبـ

ـح فقيراً ولا دعيت يزيدا

يوم اعطي مخافة الموت ضيماً

والمنايا يرصدنني ان احيدا

رجع الحسين (ع) الى منزله ، فوجد شقيقته « زينباً » ساهرة قلقة تنتظر عودته ، لتعرف منه موقفه مع الوليد ، وإن كانت عليها السلام تعلم حق العلم ان الحسين لا يلين ، نفس ابيه بين جنبيه ، لا يعطي بيده اعطاء الذليل ، ولا يقر لاحد اقرار العبيد .

وصل الامام الحسين الى البيت فتلقته اخته الحوراء « زينب » متلهفة ، وكانت جلسة طويلة ، اطلعها على كل شيء ، وصارحها بعزمه على المسير الى العراق ،

books.rafed.net

واعـــرب لهـــا عـــن قـــراره الاخـــير وقـــد اختارهـــا لتصـــحبه وتتحمـــل المســـؤولية الجســـيمة التي تنتظرها في غدها المظلم .

وكانـــت العقيلـــة زينـــب في وســـط هـــذه العاصـــفة الهوجـــاء ، تقـــف علـــى مســـرح الاحـــداث صـــامدة بقلـــب ابيهـــا « علـــي » ، ومعنويـــات امهـــا « الزهـــراء » وصـــبر اخيهـــا « الحسن » وبطولة وشجاعة سيد الشهداء « الحسين » .

وارتـــاع بنـــو هاشـــم لقـــرار الحســـين المفـــاجىء ، وعزمـــه الاكيـــد علـــى المســـير الى العـــراق . فـــاجتمعوا اليـــه يطلبـــون منـــه البقـــاء في حـــرم جـــده الرســـول صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم ، والعـــدول عـــن الســـفر الى الكوفـــة مـــع نســـائه واطفالـــه وجميـــع اهل بيته .

وخاطبـه في ذلـك « محمـد بـن الحنفيـة » وعبـد الله بـن عبـاس . وعبـد الله بـن جعفـر . وعبـد الله بـن مطيـع . وعبـد الله بـن عمـر . . . وغـيرهم لكـن الحسـين (ع) قـد عـزم ولا يـرده عـن عزمـه شـيء ، وقـرر فـلا يعدلـه عـن قـراره احـد . لقـد قـال : « ما قضي كائن لا محالة » .

وردد قول الشاعر :

سأمضـــي ومـــا بـــالموت عـــار علـــى الفـــتى

اذا مـــا نـــوى خـــيراً وجاهـــد مســـلما

وواســـى رجـــالاً صـــالحين بنفســـه

وخـــالف مثبـــوراً وفـــارق مجرمـــا

فـــان عشـــت لم انـــدم وان مـــت لم ألم

كفـــى بـــك ذلاً ان تعـــيش وترغمـــا

ومضـــت قافلـــة الحســـين عليـــه الســـلام في طريقهـــا الى العـــراق ، تاركـــة وراءهـــا

books.rafed.net

قلوبـــا ملتاعـــة ونفوســـا متحســـرة وأولئـــك الـــذين أشـــاروا عليـــه بالبقـــاء في الحجـــاز يأسفون والآسى يعتصر قلوبهم ، خوفا عليه من المصير المحتوم على أيدي الطغاة .

وجـــد الســـير وكانـــت العقيلـــة زينـــب مـــع النســـاء تلتفـــت مـــن حـــين لآخـــر تلقـــي نظرة على ربوع الأهل والاحباب ولسان حالها يقول :

وتلفتـــــــت عيـــــــني فمـــــــذ خفيـــــــت

تلـــــــك الطلـــــــول تلفـــــــت القلـــــــب

ثم اخـــذتها الـــذكريات ورجعـــت بهـــا الى الماضـــي لقـــد هـــاجرت الى العـــراق اول مـــرة يـــوم كـــان والـــدها امـــير المـــؤمنين خليفـــة المســـلمين حيـــث جعـــل مـــن الكوفـــة مقراً لدار الخلافة .

هاجرت الى العراق مع والدها العظيم الذي كان يملأ عليها دنياها .

وها هي تسير الى العراق مرة ثانية ولكن شتان بين الامس واليوم .

لقـــد مـــرت الاعـــوام الـــتي زادت علـــى العشـــرين مثقلـــة كئيبـــة مشـــحونة بالمصـــاعب والآلام فقـــدت فيهـــا والـــدها العظـــيم واخاهـــا الحســـن الامـــام الشـــفوق وفقـــدت بفقدهما المرح والعيش الهنيء .

وتســـيل الـــدموع مـــن مقلتيهـــا غزيـــرة وهـــي تلقـــي نظـــرة ملؤهـــا العطـــف والحنـــان على هذا الركب العظيم الذي يلغه الليل بسكونه .

هـــؤلاء احبابهـــا . . . . اخوهـــا الامـــام . . . وبنوهـــا . . . وبنـــو اخيهـــا . . . وبنو عمها . . . زهرة شباب بني هاشم الصفوة من آل الرسول الكرام .

books.rafed.net

السيدة زينب في يوم الطف

وصل الركب الى العراق ، وحط رحاله في كربلاء ، وقف الحسين عليه السلام : يسأل : ما اسم هذه الارض ؟ فقيل له نينوى . . . قال : هل لها اسم آخر ؟ قيل له : الغاضرية . . . قال : اولها اسم غير ذلك ؟ قيل له : كربلاء . . فقال : ارض كرب وبلاء هنا محط رحالنا . . . ومقتل رجالنا .

نزل الامام عليه السلام وضرب فسطاطه ، ونصب اصحابه الخيام . . .

وكان في الجهة الثانية جيش عمر بن سعد عليه لعنة الله .

وهنا يظهر التفاوت بين الجيشين ! ! . .

الامام الحسين بن علي (ع) ، مع آل الرسول الاطهار واصحابه العلماء الابرار .

وعمر بن سعد لعنة الله عليه مع رعاع أهل الكوفة وطلاب المال .

جمع الحسين اصحابه وقال لهم : [٢]

« أما بعد فاني لا أعلم اصحابا اوفى ولا أخير من اصحابي « ولا أهل بيت ابر ولا اوصل ، من اهل بيتي ، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً الا واني لا اظن

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير . ج . ٣ . ص ٢٨٥ .

books.rafed.net

يومنا من هؤلاء الاعداء غداً ، واني قد اذنت لكم جميعاً ، فانطلقوا في حل ليس عليكم من ذمام ، هذا الليل قد غشيكم ، فاتخذوه جملاً ، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً ، ثم تفرقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فان القوم يطلبوني ، ولو اصابوني لهوا عن طلب غيري .

فقال له أخوته وأبناؤه ، وابناء اخوته ، وابناء عبد الله بن جعفر :

لم نفعل هذا ؟

لنبقى بعدك ! ! لا ارانا الله ذلك ابداً .

فقال الحسين : يا بني عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم ، اذهبوا فقد اذنت لكم .

قالوا : وما نقول للناس ؟ ؟

نقول : تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الاعمام ، ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا .

لا والله . . . لا نفعل ، ولكنَّا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونقاتل معك حتى نرد موردك . فقبح الله العيش بعدك .

وقام اليه مسلم بن عوسجة الاسدي فقال :

انحن نتخلى عنك ؟ ولم نعذر الى الله في اداء حقك ، اما والله لا افارقك ، حتى اكسر في صدورهم رمحي ، واضربهم بسيفي ، ما ثبت قائمه بيدي ، والله لو لم يكن معي سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتى اموت معك .

وتكلم اصحابه بنحو ذلك فجزاهم الله خيراً .

وسمعته اخته زينب تلك العشية ، وهو في خباء له يقول وعنده مولى ابي

books.rafed.net

ذر الغفاري يعالج سيفه :

يـــا دهـــر اف لـــك مـــن خليـــل كـــم لـــك بالاشـــراق والاصـــيل

مـــن صـــاحب او طالـــب قتيـــل والـــدهر لا يقنـــع بالبـــديل

وانمـــا الأمـــر الى الجليـــل وكـــل حـــي ســـالك الســـبيل

فاعادهـا مـرتين او ثلاثـة ، فلمـا سمعتـه لم تملـك نفسـها ان وثبـت تجـر ثوبهـا حـتى انتهـت اليـه ونـادت : وا ثكـلاه ، ليـت المـوت اعـدمني الحيـاة . اليـوم ماتـت فاطمـة أمي ، وعلي ابي وحسن اخي ، يا خليفة الماضي ، وثمال الباقي .

فـذهب اليهـا وقـال : يـا اخيـة : لا يـذهبن حلمـك الشـيطان . قالـت : بـابي انـت وامـي . . . اسـتقتلت ؟ نفسـي لنفسـك الغـداء فـردد غصـته ، وترقرقـت عينـاه ثم قال : (لو ترك القطا ليلاً لغفا ونام) .

عنـدها لطمـت وجههـا وشـقت جيبهـا ، وخـرت مغشـياً عليهـا . فقـام اليهـا الحسـين ، فصـب المـاء علـى وجههـا ، وقـال : اتقـي الله يـا اختـاه ، وتعـزي بعـزاء الله ، واعلمـي ان أهـل الارض يموتـون ، واهـل السـماء لا يبقـون ، وان كـل شـيء هالـك إلا وجه الله .

ابي خـير مـني . . . وامـي خـير مـني . . . واخـي خـير مـني ، ولي ولهـم ولكـل مسلم برسول الله . اسوة .

فعزاها بهذا العزاء ونحوه ، ثم قال لها .

يـا اخيـة اني اقسـم عليـك (فـابري قسـمي) لا تشـقي علـيّ جيبـاً ، ولا تخمشـي عليّ وجها ، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور ان انا هلكت .

ثم خـرج الى اصـحابه ، فلمـا امسـوا قضـوا الليـل كلـه يصـلّون ويسـتغفرون ،

books.rafed.net

ويتضرعون ، ويدعون .

سمـــــة العبيـــــد مـــــن الخشـــــوع علـــــيهم

لله إن ضـــــــــــــــمتهم الاســـــــــــــــحار

فـــــاذا ترجلـــــت الضـــــحى شـــــهدت لهـــــم

بـــــــيض القواضـــــــب انهـــــــم احـــــــرار

وقـف الحسـين (ع) ونـادى بـأعلى صـوته : « يـا عمـرو بـن سـعد ، ويـا اصـحابه ، تبـاً لكـم ايتهـا الجماعـة وترحـا ، يـا عبيـد الأمـة وشـذاذ الاحـزاب ، ونبـذة الكتـاب ، ونفثـة الشـيطان وعصـبة الآثـام ، ومحـرفي الكتـاب ، ومصـطفي السـنن ، وقتلـة الانبياء . . . الخ في كلام يضيق المجال عن ذكره .

ثم قـال (ع) : إلا واني زاحـف بهـذه الأسـرة ، مـع قلـة العـدد وكثـرة العـدو ، وخذلان الناصر .

ثم وصل (ع) كلامه بأبيات فروة بن مسيك المرادي فقال :

فـــان نهـــزم فهزامـــون قـــدما	وان نغلـــب فغـــير مغلبينـــا
ومـــا ان طبنـــا جـــبن ولكـــن	منايانـــا ودولـــة آخرينـــا
فـــأفنى ذلكـــم ســـروات قـــومي	كمـــا افـــنى القـــرون الأولينـــا
فلـــو خلـــد الملـــوك اذن خلـــدنا	ولـــو بقـــي الكـــرام اذن بقينـــا
فقـــل للشـــامتين بنـــا افيقـــوا	ســـيلقى الشـــامتون كمـــا لقينـــا

زينب في خضم المعركة :

عقيلـة بـني هاشـم وحـدها دون النسـاء والبنـات تـدور مـن خبـاء الى خبـاء ، تتفقد العليل تارة والصغير اخرى .

books.rafed.net

يتعلقن بها بين صبي يئن من العطش ، ووالهة أذهلها المصاب ، وطفلة مذعورة خائفة تطلب الأمن ، وأخرى تنشد الماء .

حرائر بيت العصمة ، وودائع الرسالة ، اللواتي لا يعرفن إلا سجف العز والمجد والسؤدد . . . ورداء الجلال والدلال . حائرات ذاهلات .

وزينب واقفة بوسط هذا الخضم الهائج ، حائرة قلقة تراقب المعركة التي دارت رحاها في جنون لا مثيل له . . . ومنجل الموت يحصد في أحبابها ، بني هاشم الصفوة الأبرار . . .

يقول السيد المقرم « أما عقيلة بني هاشم زينب الكبرى » فإنها تبصر هذا وذاك ، فتجد عروة الدين الوثقى عرضة للانفصام وحبل النبوة آيلاً الى الانصرام ، ومنار الشريعة الى الخمود ، وشجرة الإمامة الى الذبول [1] .

تنعي ليوث البأس من فتيانها
وغيوثها إن عمت البأساء
تبكيهم بدم فقل بالمهجة الحرا
تسيل العبرة الحمراء
حنت ولكن الحنين بكاً وقد
ناحت ، ولكن نوحها ايماء [2]

وبعد مقتل الحسين (ع) حملت النساء اسارى على الأقتاب ، وبلغت بهم القسوة والجفاء ، فمروا بهن على جثث القتلى زيادة في التنكيل .

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام : عبد الرزاق المقرم . ص . ٣٣٨ .

(٢) الابيات من قصيدة للشيخ كاشف الغطاء .

books.rafed.net

وما حال ام المصائب زينب ؟ عندما رأت هذا المشهد الفظيع . .

بكل صبر وتجلد وإيمان ، رفعت كلتا يديها الى السماء وقالت : « اللهم تقبل منا هذا القربان » .

وجاء في كتاب مقتل الحسين (ع) عن أمالي الصدوق [1] :

« روى أبو عبد الله الصادق عليه السلام أن الحسين (ع) دخل على أخيه الحسن (ع) في مرضه الذي استشهد فيه فلما رأى ما به بكى ، فقال له الحسن : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ قال : أبكي لما صنع بك . . .

قال الحسن عليه السلام : إن الذي اوتي إلي سم اقتل به ، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله . وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفاً يدَّعون أنهم من امة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينتحلون دين الإسلام ، فيجتمعون على قتلك ، وسفك دمك ، وانتهاك حرمتك ، وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك .

فعندها تحل ببني امية اللعنة ، وتمطر السماء دماً ورماداً ، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات ، والحيتان في البحار .

ورحم الله السيد حيدر الحلي حيث يقول :

حشدت كتائبها على ابن محمد ... بالطف حيث تذكرت آباءها

الله اكبر يا رواسي هذه الا ... رض البسيطة زايلي ارجاءها

يلقى ابن منتجع الصلاح كتائبا ... عقد ابن منتجع السفاح لواءها

ما كان اوقحها صبيحة قابلت ... بالبيض جبهته تريق دماءها

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام عبد الرزاق المقرم .

books.rafed.net

مـــن أيـــن تخجـــل أوجـــه أمويـــة سـكبت بلـذات الفجـور حياءهـا

قهـــرت بـــني الزهـــراء في ســـلطانها واستأصـــلت بصـــفاحها امراءهـــا

ملكـــت عليهـــا الأمـــر حـــتى حرمـــت

في الأرض مطـــــرح جنبهـــــا وثوائهـــــا

ضـــاقت بهـــا الـــدنيا فحيـــث توجهـــت

رأت الحتـــــوف أمامهـــــا ووراءهـــــا

الى أن يقول :

وقلـــوب أبنـــاء النـــبي تفطـــرت عطشـــا بقفـــر أرمضـــت أشـــلاءها

هتـــك الطغـــاة علـــى بنـــات محمـــد حجـــب النبـــوة خـــدرها وخباءهـــا

فتنازعـــــت أحشـــــاءها حـــــرق الجـــــوى

وتجاذبـــــت أيـــــدي العـــــدو رداءهـــــا

مـــــا كـــــان أوجعهـــــا لمهجـــــة (أحمـــــد)

وأمـــــض في كبـــــد (البتولـــــة) داءهـــــا

عقيلة بني هاشم بالكوفة :

ســـار موكـــب الاســـرى يحـــث الســـير نحـــو الكوفـــة ، وكـــان أبشـــع موكـــب ، وأفظـــع حدث شهده التاريخ .

رؤوس الصـــفوة الأطهـــار مـــن بـــني هاشـــم ، يتـــبعهم النســـاء المفجوعـــات والأيـــامى والأيتام . . .

وصـــل الموكـــب الكوفـــة ، وســـط الجمـــوع المحتشـــدة لمشـــاهدة اســـارى بيـــت الرســـول

books.rafed.net

العظيم في طريقهم الى عبيد الله بن زياد .

صاحت نساء الكوفة باكيات على حال حرائر الرسول الذليلات .

لكن زينب ابنة علي مثال الإباء صاحت بهم زاجرة ثم قالت : كما ذكر الرواة [1] .

« أما بعد يا أهل الكوفة ، أتبكون ؟ فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة . . إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا ساء ما تزرون .

أي والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً ، فقد ذهبتم بعارها وشنارها ، فلن ترحضوها بغسل ابداً . وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومدار حجتكم ومنار محجتكم ، وهو سيد شباب أهل الجنة ؟ . .

لقد أتيتم بها خرقاء شوهاء . . !

أتعجبون لو أمطرت السماء دماً ؟ ! ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون .

أتدرون أي كبد فريتم ، وأي دم سفكتم ، وأي كريمة أبرزتم ؟ !

لقد جئتم شيئاً إدّاً ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً » .

وصل الموكب الرهيب الى دار الإمارة ، فأمسكت « زينب » قلبها المتصدع وهي ترى الدعي « عبيد الله بن زياد » جالساً حيث كان أبوها الإمام « علي »

---

(١) ذكر هذه الخطبة اكثر الرواة : منهم الشيخ الطوسي في اماليه . وابن شهر اشوب ، واحتجاج الطبرسي ، ومقتل الحسين .

books.rafed.net

وأخوها الإمام « الحسن » (ع) أكثر من عشرين سنة في الكوفة .

ذكر الطبري في تاريخه قال : [1] « فلما دخل برأس الحسين وصبيانه ، وأخواته ، ونسائه ، على عبيد الله بن زياد ، لبست « زينب » ابنة فاطمة أرذل ثيابها ، وتنكرت وحفت بها اماؤها .

فلما دخلت جلست فقال عبيد الله بن زياد : من هذه الجالسة ؟ فلم تكلمه . قال ذلك ثلاثاً ، وكل ذلك لا تكلمه . فقال بعض امائها : هذه زينب ابنة فاطمة .

فقال لها عبيد الله : الحمد لله الذي فضحكم ، وقتلكم ، وأكذب احدوثتكم .

فقالت : الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وطهرنا تطهيراً لا كما تقول أنت : إنما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر .

قال : فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ قالت : كتب عليهم القتل ، فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجُّون إليه ، وتخاصمون عنده .

قال : فغضب ابن زياد واستشاط ، قال : فقال له عمرو بن حريث : أصلح الله الامير إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها ! إنها لا تؤاخذ بقول ، ولا تلام على خطل ، فقال لها ابن زياد : قد أشفى الله نفسي من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك ، قال : فبكت ثم قالت : لعمري لقد قتلت كهلي ، وأبرت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت أصلي ، فإن يشفك هذا فقد أشتفيت ، فقال لها عبيد الله :

---

(١) تاريخ الطبري : ج . ٥ . ص . ٤٥٧ .

books.rafed.net

هذه شجاعة ، لقد لعمري كان أبوك شاعراً سجاعاً .

قالت : ما للمرأة والشجاعة إن لي عن الشجاعة لشغلاً . . » .

ثم التفت ابن زياد عليه لعنة الله فرأى علي بن الحسين عليهما السلام وكان مريضاً قد أنهكته العلة فأراد قتله ، عندها تعلقت به عمته زينب سلام الله عليها ، وقالت له : يا ابن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت ، فإذا أردت قتله فاقتلني دونه ، فقال : عجبت للرحم ودت لو أنها تقتل دونه .

وهكذا دافعت بطلة بني هاشم عن سليل النبوة بمنطقها البليغ ، وشجاعتها وإقدامها على المخاطر ، وجرأتها العظيمة التي ورثتها عن جدها وأبيها وامها وأخيها ، فكان الله معها في كل مكان حلت به ، وصارت إليه .

زينب عقيلة بني هاشم في الشام :

خرج موكب الاسارى من الكوفة ، بقيادة شمر بن ذي الجوشن عليه لعائن الله ، يجد السير نحو الشام عاصمة بني امية ، مقر الطاغية يزيد لعنه الله .

ولما أشرف الركب على الشام ترنح يزيد في مقصورته طرباً فقال :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت ... تلك الرؤوس على شفا جيرون

نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح ... فلقد قضيت من الرسول ديوني

وأدخلت الرؤوس والسبايا ، على يزيد وهو في مجلسه يحف به أعوانه ورجال بلاطه .

ووضع رأس الحسين الشريف (ع) بين يدي يزيد لعنه الله فالتفت الى أصحابه وقال لهم : هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام :

books.rafed.net

أبى قومنـــــــا أن ينصـــــــفونا فانصـــــــفت

قواضـــــــب في أيماننـــــا تقطـــــر الـــــدما

يفلقـــــن هامـــــاً مـــــن رجـــــال أعـــــزة

علينـــــا وهـــــم كـــــانوا أعـــــق وأظلمـــــا

تقـول المرويـات : « نظـر رجـل شـامي الى فاطمـة بنـت علـي [1] فطلـب مـن يزيـد أن يهبهـا لـه لتخدمـه ، ففزعـت ابنـة أمـير ألمـؤمنين وتعلقـت باختهـا العقيلـة زينـب وقالت لها : كيف أخدم ؟

قالت زينب : لا عليك إنه لن يكون هذا ابداً .

فقال يزيد : لو أردت لفعلت . . .

فقالت له : إلا أن تخرج عن ديننا ، فرد عليها بتهكم :

إنما خرج عن الدين أبوك وأخوك . . .

قالـت زينـب : بـدين الله وديـن جـدي وأبي وأخـي اهتـديت أنـت وأبـوك إن كنت مسلماً .

قال : كذبت يا عدوة الله !

فرقـت عليهـا السـلام وقالـت : أنـت أمـير مسـلط ، تشـتم ظالمـاً وتقهـر بسلطانك » [2] .

لقـد توقعـت النـاس يومئـذٍ ، أن تحـني الكارثـة المؤلمـة جبهـة زينـب سـلام الله عليها وتصدع أركانها . وتنقاد لعاطفتها فتطأطىء رأسها .

---

(١) وفي بعض الروايات . . . انها فاطمة بنت الحسين (ع) وليست فاطمة بنت علي . . .

(٢) مقتل الحسين . للسيد عبد الرزاق المقرم . تاريخ الطبري . تاريخ ابن الأثير .

books.rafed.net

ولكنها حفيدة الرسول . . . وابنة علي . . . وسليلة بيت المجد والكرامة والإباء والأنفة فلا مجال للعاطفة ، والانكسار والذل .

إنها البطلة الصامدة ، والمؤمنة الصابرة ، لم تخلق للنياحة ، ولم تتهيأ للبكاء والعويل .

إنها تحمل وصية امها الزهراء ، وأخيها الحسين سيد الشهداء ، فهي صاحبة رسالة ، يجب عليها أن تتحمل في سبيلها المتاعب والمصاعب .

وعن ابن طيفور في بلاغات النساء قال :

« لما كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام الذي كان ، وانصرف عمر بن سعد لعنه الله بالنسوة ، والبقية من آل محمد (ص) ووجههن الى ابن زياد لعنه الله فوجههن هذا الى يزيد لعنه الله وغضب عليه .

فلما مثلوا بين يديه ، أمر برأس الحسين عليه السلام فأبرز في طست ، فجعل ينكث ثناياه بقضيب في يده وهو يقول :

يا غراب البين أسمعت فقل ... إنما تذكر شيئاً قد حصل

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حكت بقباء بركها ... واستمر القتل في عبد الأشل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيداً لا تشل

فجزيناهم ببدر مثلها ... وأقمنا ميل بدر فاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل [1]

---

(١) بلاغات النساء . لابن طيفور .

books.rafed.net

خطبة السيدة زينب (ع) في مجلس يزيد في الشام :

يذكر المؤرخون وجميع أهل السير أن السيدة زينب وقفت في مجلس يزيد والإباء والأنفة يملآن نفسها ، ثم توجهت (ع) إليه تسمعه من التقريع والتوبيخ بل تعدت للتهديد والتنديد غير هيابة ولا وجلة ، مستصغرة قدره وسلطانه ، ومستعظمه ومستنكرة لفعلته النكراء وجريمته الشنعاء .

قالت عليها السلام : [1]

« صدق الله ورسوله يا يزيد . « **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ** [2] **أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ** » [3] .

أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض ، وأكناف السماء ، فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى ، ان بنا على الله هواناً ، وبك عليه كرامة .

وان هذا العظيم خطرك ! فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك جذلاناً فرحاً حين رأيت الدنية مستوسقة لك ، والامور متسقة عليك ، وقد امهلت ونفست ، وهو قول الله تبارك وتعالى :

« **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** » .

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك نسائك وإمائك ؛ وسوقك بنات رسول الله ﷺ ؛ وقد هتكت ستورهن وأصحلت أصواتهن ، مكتئبات تجري بهن الأباعر ،

---

(١) عن بلاغات النساء لابن طيفور .

(٢) السوآى : تأنيث . او مصدر وصف به . تفسير القرآن للسيد عبد الله شبر .

(٣) سورة الروم . آية . ١٠ .

books.rafed.net

ويحـــدو بهـــن الاعـــادي مـــن بلـــد الى بلـــد ، لا يـــراقبن ولا يـــؤوين ، يتشـــوفهن القريـــب والبعيـــد ، لـــيس معهـــن ولي مـــن رجـــالهن ! وكيـــف يســـتبطأ في بغضـــتنا مـــن نظـــر الينـــا بالشنف والشنآن والاحن والاضغان . . . ؟

أتقـــول « ليـــت أشـــياخي ببـــدر شـــهدوا » ؟ اغـــير متـــأثم ولا مســـتعظم وانـــت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك ! !

ولم لا تكـــون كـــذلك ، وقـــد نكـــأت القرحـــة ، واستأصـــلت الشـــأفة ، باهراقـــك دمـــاء ذريـــة رســـول الله ﷺ ونجـــوم الأرض مـــن آل عبـــد المطلـــب ، ولـــتردن علـــى الله وشـــيكاً مـــوردهم ، ولتـــودن انـــك عميـــت وبكمـــت وانـــك لم تقـــل : « فـــاهلوا واستهلوا فرحاً » .

. . . اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا . ثم قالت :

والله مـــا فريـــت إلا في جلـــدك ، ولا حـــززت إلا في لحمـــك وســـترد علـــى رســـول الله (ص) برغمـــك ، وعترتـــه ولحمتـــه في حظـــيرة القـــدس ، يـــوم يجمـــع الله شملهـــم ملمـــومين من الشعث ، وهو قول الله تبارك وتعالى :

« وَلَا تَحْسَـــبَنَّ الَّـــذِينَ قُتِلُـــوا فِـــي سَـــبِيلِ اللَّـــهِ أَمْوَاتًـــا بَـــلْ أَحْيَـــاءٌ عِنـــدَ رَبِّهِـــمْ يُرْزَقُونَ . »

وســـيعلم مـــن بـــوأك ، ومكنـــك مـــن رقـــاب المـــؤمنين ، إذا كـــان الحكـــم الله . . والخصم محمد (ص) ، وجوارحك شاهدة عليك .

فبئس للظالمين بدلاً ايكم شر مكاناً واضعف جنداً .

مـــع اني والله يـــا عـــدو الله وابـــن عـــدوه استصـــغر قـــدرك واســـتعظم تقريعـــك ، غـــير

books.rafed.net

ان العيون عبرى والصدور حرى وما يجزى ذلك او يغني وقد قتل الحسين عليه السلام ، وحزب الشيطان يقربنا الى حزب السفهاء ليعطوهم اموال الله ، على انتهاك محارم الله .

فهذي الأيدي تنظف من دمائنا ، وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات .

فلئن اتخذتنا مغنماً ، لتجدنا مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك .

تستصرخ يا ابن مرجانة ! ! . . ويستصرخ بك ، وتتعاوى وأتباعك عند الميزان ، وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية قتلك ذرية محمد (ص) .

فوالله ما اتقيت غير الله . . ولا شكواي إلا إلى الله . . . فكد كيدك ، واسعى سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا يرحض عنك عار ما اتيت الينا أبداً .

والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة ، لسادات شبان الجنان فأوجب لهم الجنة ، اسأل الله أن يرفع لهم الدرجات ، وان يوجب لهم المزيد من فضله فإنه ولي قدير . »

وسكتت زينب بعد ان اضرمت النار في القلوب ، وهزت المشاعر وايقظت النفوس المتخدرة ، فأفاقت على الحقيقة التي اوضحتها العقلية في خطبتها التي اعجزت البلغاء ، ودقت أجراس الثورة والفداء ضد الظلم والفساد .

وحسبنا اقتناعاً ان خطبة زينب كانت البداية في إيقاظ المشاعر فإن الشام برغم انها كانت عاصمة الامويين ومقر خلافة يزيد لعنه الله . فقد سرت البلبلة بين الناس وكثر اللغط وساد الهرج .

books.rafed.net

ففي بعض المرويات : قيل ان « هند ابنة عبد الله بن عامر زوجة يزيد » سمعت ما يدور في مجلس زوجها ، وخطاب السيدة زينب . فتقنعت بثوبها وخرجت اليه فقالت :

يا يزيد أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ؟

قال : نعم ، فاعولي عليه . . . لقد عجل عليه ابن زياد فقتله . . .

فقالت : ابنات رسول الله سبايا فاطرق برأسه لان صوت زينب لا يزال يدوي في اذنيه .

فقالت له زوجته : غداً يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك . . . ويجيء الحسين وجده رسول الله شفيعه ! . » .

زينب وحدها التي لم تغب لحظة عن مسرح المأساة والفاجعة الأليمة ، وهي التي سجلها التاريخ على صفحاته .

وهي وحدها التي سمعت الصيحة الأولى ، ولم تفارق الحسين لحظة واحدة منذ بدأ القتال حتى انتهى .

وهي وحدها كانت الى جانب المريض العليل « زين العابدين » (ع) تمرضه وتحافظ عليه . ومع المحتضر تواسيه والشهيد تبكيه .

وقال بعض الشعراء عندما مر على أرض المعركة قبل دفن الجثث :

وقفت على أجداثهم ومجالهم

فكاد الحشا ينفض والعين ساجمة

لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى

سراعاً الى الهيجا حماة خضارمة

books.rafed.net

تأسسوا على نصر ابن بنت نبيهم

بأسيافهم آساد غيل ضراغمه

وما أن رأى الراؤون أفضل منهم

لدى الموت سادات وزهر قماقمه

عقيلة بني هاشم في مدينة جدها الرسول (ص) :

عاد موكب السبايا الى مدينة جدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، تحدوهم الحسرات ، ويلفهم رداء الحزن والكآبة .

وكان منظرهم مؤلماً يتصدع له الصخر الأصم .

فقد هرع الناس لاستقبال الركب الحزين بمآتم مفجعة تبللها دموع البواكي ونوح الثكالى .

لكن العقيلة زينب لم تلتفت لشيء او تفوه بكلمة ، ولم تتوقف عن السير رغم تهافت الناس عليها . بل مضت في طريقها صامتة ، حتى وصلت المسجد النبوي الشريف فأخذت بعضادتي الباب وصاحت من قلب جريح :

يا جداه يا رسول الله . . . جئت ناعية اليك أخي الحسين والاقمار من أهل بيته . . . وخنقتها العبرة وماتت الكلمات على شفتيها . . .

ثم كانت المآتم في بيوت بني هاشم ولم تبقى مخدرة في المدينة إلا خرجت نائحة تبكي .

وخرجت زينب بنت عقيل « اخت مسلم » ومعها نساؤها نادبة تلوي بثوبها وهي تقول :

books.rafed.net

مـــــاذا تقولـــــون إن قـــــال النـــــبي لكـــــم

مـــــاذا فعلـــــتم ، وأنـــــتم آخـــــر الأمـــــم

بعـــــترتي وبـــــأهلي بعـــــد مفتقـــــدي

مـــــنهم اســـــارى ومـــــنهم ضـــــرجوا بـــــدم

مـــــا كـــــان هـــــذا جزائـــــي إذ نصـــــحت لكـــــم

أن تخلفـــــوني بســـــوء في ذوي رحمـــــي

وتقول بعض المرويات : وسمع صوت من بعيد يقول :

أيهـــــا القـــــاتلون جهـــــلاً حســـــيناً

أبشـــــروا بالعـــــذاب والتنكيـــــل

رجعـــت زينـــب عليهـــا الســـلام الى بيتهـــا ومـــرت بـــديار أهلهـــا فرأتهـــا موحشـــة باكيـــة تنعي أهلها وتندب سكانها . كما قال الشاعر :

مـــــررت علـــــى أبيـــــات آل محمـــــد

فلـــــم أرهـــــا أمثالهـــــا يـــــوم حلـــــت

فـــــلا يبعـــــد الله الـــــديار وأهلهـــــا

وإن أصـــــبحت مـــــنهم برغمـــــي تخلـــــت

وكـــان عمـــرو بـــن ســـعيد الامـــوي [1] واليـــاً علـــى المدينـــة ، وتـــذكر الأخبـــار أنـــه لمـــا

---

(١) لقـــد لاقـــى عمـــرو بـــن ســـعيد الامـــوي جـــزاء شماتتـــه بقتلـــى بـــني هاشـــم ، إذ قتلـــه عبـــد الملـــك بـــن مروان الاموي بالشام .

تقـــول بعـــض المرويـــات ، انـــه حينمـــا دخـــل عمـــرو بـــن ســـعيد علـــى عبـــد الملـــك بـــن مـــروان بالشـــام تنازعـــا

⇦

books.rafed.net

سمع واعية بني هاشم وبكائهن على الحسين ضحك وابتهج وقال : يوم بيوم يا عثمان . . . وناعية بناعية عثمان . . . ثم تمثل بقول عمرو بن معديكرب :

عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

شخصية السيدة زينب وأثرها على المجتمع :

يمضي التاريخ ليسجل بطولة سيدة عظيمة ، هي السيدة زينب بنت علي ، عقيلة بني هاشم الثائرة على الظلم ، المتمردة على الطغيان .

تلك السيدة الأبية ، التي أتمت مسيرة نهضة أخيها الحسين (ع) . وإيقظت

⇨

وكان نزاعهما حول الملك . او الخلافة بالشام ، فأمر عبد الملك صاحب حرسه (أبا الزيزعة) بضرب عنق عمرو بن سعيد الاموي .

وجاء في كتاب مروج الذهب للمسعودي . . . ما ملخصه ، قال : ان عمرو بن سعيد خرج من منزله يريد عبد الملك ، فعثر بالبساط ، فقالت له امرأته نائلة : انشدك الله لا تأتيه .

فقال لها : دعيني عنك فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني .

ودخل على عبد الملك وهو مكفر بالدرع ، فقال له : يا أبا امية أجئت للقتال ؟ وبعد كلام طويل بينهما قال له : اني كنت قد حلفت إن ملكتك لأشدنك في الجامعة (أي القيد) . فلما وضع الجامعة في عنق عمرو بن سعيد أيقن عمرو بالهلاك . قال لعبد الملك : تخرجني الى الناس وأنا في جامعة ؟ فقال له عبد الملك : أتريد أن اخرجك الى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدي ؟ . . . (أتماكرني وأنا أمكر منك ؟) ثم أضجعه وذبحه ولم يراع له عهداً ولا حرمة .

لقد أظهر عمرو بن سعيد الشماتة حين مقتل بني هاشم بعد موقعة كربلاء . . . وما أحسن قول الشاعر :

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

مشاعر الناس ببلاغتها وصمودها وجهادها ، فهيجت فيهم شعوراً لاذعاً ممضاً بالحسرة والندم تارة ، وبالخزي والعار طوراً .

توافد الناس على عقيلة بني هاشم ، فكانت تتكلم لتجلي الضباب عن البصائر ، ويبقى كلامها يدوي في آذانهم ليخترق الضمائر مذكراً بالجريمة النكراء ، والفعلة الشنعاء قتل الحسين وأهل بيته وأصحابه الأبرياء .

يتكهرب جو المدينة . . . ويلتهب . . . تلهبة الثائرة المطالبة بدم الشهداء الأبرار .

تلهبه شعلة الثائر وعنوان البطولة ، التي كانت المعول الأول في هدم عرش بني امية وأمثالهم من الطغاة المستبدين .

« زينب » تلك التي أعطت البشرية درساً في الصمود ، والإباء والشرف ، والوقوف بوجه الجور والتعسف والطغيان تتناقله الأجيال .

يمضي الوالي عمرو بن سعيد الأموي ، فيرسل الى يزيد أن أهل المدينة في هياج . ثم يقول : « إن كان لك بالمدينة شغل فأخرج بنت علي منها فإنها ألّبت الناس عليك » .

ويأتي الفصل الأخير من حياة المجاهدة البطلة ، عندما يطلب منها الوالي عمرو بن سعيد الأموي ، مغادرة المدينة ، بل الحجاز .

فتجيب عليها السلام قائلة : ويلكم أمن حرم جدنا تخرجوني ؟ . . . لك الويل يا ابن سعيد . . . الله أعلم بما صارت إليه حالنا بعد سيد الشهداء . .

صبرنا على قتل خيرنا . . . وحملنا على الأقتاب ، وساقونا كما تساق الأنعام ، فلست بخارجة من مدينة جدي . . . فافعل ما أنت فاعل .

books.rafed.net

واشتد الموقف بين الوالي . . . وبين عقيلة بني هاشم « زينب » وهي لا تبالي ، ماضية في أداء رسالتها التي كلفها بها سيد الشهداء الحسين (ع) بالنهوض والمحافظة على رسالة جدها الرسول الاعظم (ص) .

والوالي عمرو بن سعيد ماض في تركيز دعائم ملك بني أمية ، وتنفيذ أوامر الطاغية يزيد .

ويأتي الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) ليقنع عمته « زينب » بالخروج كي لا تتجدد المأساة على أهل بيت الرسول .

إن الأمويين لا يتورعون عن ارتكاب أفظع الجرائم في سبيل توطيد حكمهم .

وينساب صوت الإمام زين العابدين (ع) :

« عمتي يا زينب . . . لقد صدقنا الله وعده ، وسيجزي الله الظالمين . . . إرحلي الى بلد آخر . . . والله حسبنا ونعم الوكيل » .

ولم تتمكن السيدة زينب إلا الأخذ برأي الإمام زين العابدين فقررت السفر لعل خوف الأمويين من وجودها بالمدينة يهدأ قليلاً .

وقف موكب السيدة زينب عند مسجد الرسول الأعظم (ص) . ومن حوله بنو هاشم ، الرجال والنساء والبقية الصالحة من أهل المدينة المؤمنين .

وكان المشهد مؤثراً ، والوداع حاراً ، فقد صاحت زينب (ع) بصوت ملتاع يتصدع له الصخر الأصم :

يا جداه . . . يا رسول الله . . . ها أنا تاركة المدينة منفية ، كأني قد أتيت أمراً نكرا ، ثم تأوهت متحسرة . . . وكما يقول الشاعر :

books.rafed.net

مشـــــردون نفـــــوا عـــــن عقـــــر دارهـــــم

كـــــأنهم قـــــد جنـــــوا مـــــا لـــــيس يغتفـــــر

وســـجل التـــاريخ علـــى صـــفحاته ، موقـــف الســـيدة زينـــب الرائـــع المـــؤثر ، الـــذي تتجلى فيه العزة والإباء مع الاحزان ، والشجن الدامي والأسى العميق .

ومـــن ذا الـــذي لا يهـــزه موقـــف زينـــب ، وقـــد تـــذكرت امهـــا الزهـــراء (ع) ومـــا لاقته من المتاعب والمصاعب ، وكما قيل :

عرفـــت الليـــالي قبـــل مـــا صـــنعت بنـــا

فلمـــا دهتـــني لم تـــزدني بهـــا علمـــا

أحـــن الى الكـــأس الـــذي شـــربت بـــه

وأهـــوى لمثواهـــا الـــتراب ومـــا ضـــما

وقـــد اختلـــف أهـــل التـــاريخ والســـير ، فمـــنهم مـــن قـــال : انهـــا ذهبـــت الى مصـــر ، ولها مقام مقدس وعظيم يؤمه الناس .

ومـــنهم مـــن قـــال : انهـــا في الشـــام ومقامهـــا ايضـــاً معـــروف هنـــاك يقصـــده الـــزوار ، من جميع الأقطار . وهو القول المشهور .

وعلـــى كـــل حـــال ســـواء كـــان مثـــوى الســـيدة زينـــب عليهـــا الســـلام في الشـــام . . . أم في مصـــر . . . فقـــد هيجـــت الاحســـاس ، وأوقـــدت نـــيران الثـــورة علـــى أنظمـــة الظلـــم والطغيان وشلت عرش الأمويين المستبدين في وقت قصير .

لم تخـــب تلـــك الشـــعلة الملتهبـــة ، بـــل ظـــل كلامهـــا يتجـــاوب صـــداه في ابـــواق التـــاريخ ، يرن في الآذان وهي تخاطب الطاغية يزيد بقولها :

« فوالله لا تمحو ذكرنا . . . ولا تميت وحينا . . . ولا تدرك أمدنا . . . » .

books.rafed.net

لقد عجز الطغاة عن طمس ذكر أبطال الحق ، وشهداء العدل ، ذكر زينب وآلها الكرام . . . المشعل الذي يضيء الطريق أمام الهداة ، وأصحاب الضمائر الحرة . والنبراس الذي يهتدي به كل من ثار من أجل العقيدة ، والدين والكرامة ، والانسانية ، والإباء .

books.rafed.net

السيدة سكينة بنت الحسين (ع)

ما عساني أن أكتب عن حفيدة الزهراء السيدة سكينة بنت الحسين (ع) بعد أن جال ابطال اهل التاريخ وأصحاب السير في أفكارهم وأقلامهم ، كلٌّ في مجاله ، وحسب ميله وهواه .

وما عساني أن أقول فيمن ولدت في حجر الإيمان ، وترعرعت في كنف معدن القداسة ، وعجنت طينتها بالعفة والنزاهة . فنشأت متأثرة بحسن التربية ، وكرم الأخلاق ، وعنوان المجد والسؤدد .

جللها كرم الأصل بجلباب الشرف ، وألبسها مطارف الحياء والمعرفة والأدب .

ومما لا ريب فيه فقد بلغت حفيدة الزهراء ، وسليلة البيت النبوي الشريف ، الذروة العليا في الجمال والكمال ، والتقى والورع ، وسلكت السبيل الواضح في مجاهدة النفس ، والطريق الذي لا يشوبه أي انحراف أو ميل نحو ملذات الدنيا .

لقد كانت السيدة سكينة سابحة بين امواج العبادة والزهد والقداسة ، ترشف العلم من معينه ، وتجني الأدب من مستقاه ، حتى انعكست في مرآة نفسها ملامح الجلال والمهابة ، وفازت بشهادة الإمام الحسين (ع) حيث قال :

« الغالب عليها الاستغراق مع الله » .

books.rafed.net

ذكر السيد عبد الرزاق الموسوي : أن الحسن المثنى بن الحسن بن أمير المؤمنين (ع) أتى عمه ابا عبد الله الحسين (ع) يخطب إحدى ابنتيه « فاطمة او سكينة » فقال له أبو عبد الله (ع) :

اختار لك فاطمة ، فهي أكثرهما شبهاً بامي فاطمة بنت رسول الله (ص) أما في الدين ، فتقوم الليل كله ، وتصوم النهار ، وفي الجمال . . تشبه الحور العين .

وأما سكينة : فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح للرجل [1] .

اجل لقد ذهبت السيدة سكينة بحب أبيها واعزازه لها ، وفازت بتلك المكانة العالية ، والعطف الفياض ، لذلك نراه عليه السلام يردد قائلاً :

لعمرك انني لاحب داراً ... تحل بها سكينة والرباب

احبهما وابذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب

إلى ان يقول :

ولست لهم وان عتبوا مطيعاً ... حياتي أو يغيبني التراب

يمضي الزمن وتدور الأيام ، والسيدة سكينة تبز نساء عصرها علماً وتقى وورعاً وزهادة .

صحبت والدها الإمام (ع) إلى كربلاء ، وشاهدت تلك المجزرة العظيمة ، ومصرع أهلها الميامين .

---

(١) السيدة سكينة . للسيد عبد الرزاق الموسوي المقرم ص . ٣٣ .

books.rafed.net

وقفت بجانب عمتها العقيلة زينب ، تتلقى المصائب صابرة محتسبة . وتكويها الأحزان بنار ملتهبة . وتذوق مرارة فقد الاحبة ، فلا تزيدها كل هذه الآلام إلا عزوفاً عن ملذات الدنيا ، ويصفها والدها الحسين (ع) « خيرة النسوان » .

في ساعة الوداع يوم « طف كربلاء » افتقد الحسين ابنته الحبيبة سكينة فوجدها منحازة عن النساء ، باكية العين ، كسيرة الفؤاد .

اكب عليها يقبلها في لهفة وحنان ، ثم رفع رأسه وقال في شجاعة واشفاق .

« هلا ادخرت البكاء ليوم غد ؟ تجلدي يا حبيبتي واصبري ان الله مع الصابرين » .

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فانت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

ها هي السيدة سكينة ، واقفه على أرض كربلاء ، بجانب جثة ابيها الإمام (ع) مهيضة الجناح ، حزينة القلب ، تتزاحم الدموع في مقلتيها في حين تطوي الألم والحسرات بين أضلعها وتردد :

ان الحسين غداة الطف يرشقه ... ريب المنون فما ان يخطىء الحدقه
بكف شر عباد الله كلهم ... نسل البغايا وجيش المرق الفسقه
أأمة السوء هاتوا ما احتجاجكم ... وجلكم بالسيف قد صفقه
الويل حل بكم إلا بمن لحقه ... صيرتموه لا رماح العدى درقه
يا عين فاحتفلي طول الحياة دماً ... لا تبك ولداً ولا أهلاً ولا رفقه

books.rafed.net

لكـــن علـــى ابـــن رســـول الله فانســـكبي قيحـــــاً ودمـــــاً وفي اثريهمـــــا العلقـــــه

ويختـــلط صـــوت ســـكينة مـــع صـــوت أمهـــا الربـــاب ، الثكلـــى الوالهـــة . تلـــك الـــتي صـــغرت الـــدنيا في عينيهـــا ، وكـــبرت المصـــيبة عليهـــا ، فلـــم تقـــو علـــى حملهـــا لا تعـــرف غـــير البكاء والعويل . ونسمعها تردد وتقول :

وا حســـــيناً فـــــلا نســـــيت حســـــيناً اقصـــــــــدته اســـــــنة الأعـــــــداء

غـــــــادروه بكـــــــربلاء صـــــــريعاً لاســـــقى الله جـــــانبي كـــــربلاء [1]

اجـــل : الربـــاب الزوجـــة الوفيـــة المخلصـــة الـــتي ترعـــى العهـــد والـــذمام فقـــد ذكـــرت الأخبـــار انهـــا اســـتغرقت في حزنهـــا علـــى الحســـين ، نادبـــة حزينـــة ، لا يظللهـــا ســـقف . وقد خطبها الكثير من الوجهاء والأشراف ، ولكنها رفضت باصرار وقالت :

ما كنت لاتخذ حماً بعد رسول الله (ص) .

ثم تشرق بدمعها وتقول نادبة :

ان الـــذي كـــان نـــوراً يستضـــاء بـــه بكـــــربلاء قتيـــــل غـــــير مـــــدفون

ســـبط النـــبي جـــزاك الله صـــالحة عنـــا وجنبـــت خســـران المـــوازين

قـــد كنـــت لي جـــبلاً صـــعباً ألـــوذ بـــه وكنـــت تصـــحبنا بـــالرحم والـــدين

مـــن لليتـــامى ومـــن للســـائلين ومـــن يغـــني ويـــاوي اليـــه كـــل مســـكين

والله لا ابتغـــــي صـــــهراً بصـــــهركم حـــتى اغيـــب بـــين الرمـــل والطـــين

---

(١) والربـــاب هـــي زوجـــة الحســـين (ع) ووالـــدة ســـكينة ، وهـــي الـــتي طلبـــت رأس الحســـين مـــن ابن زياد ، فلما رأته أخذته ووضعته في حجرها وقالت هذه الأبيات .

books.rafed.net

شخصية السيدة سكينة الاجتماعية :

لقد استطاعت السيدة سكينة ان تنفرد بمكانة اجتماعية مرموقة ، لم ترق اليها سيدة سواها في ذلك العصر ، فكانت الشخصية الاولى في المجتمع الحجازي . . . بل الاسلامي من حيث التقى والزهد والورع والمعرفة والأدب .

على أن السيدة سكينة كانت مشغولة البال ، تراعي حركات الوالد الشفوق في معركته الجبارة ضد الظلم .

إن الأحداث العنيفة التي جذبت سكينة الى دوامة الاعصار ، وشغلتها عن كل ملذات الحياة وبهارجها . هي التي صنعت منها الزهد والاستغراق في العبادة ، كما فعلت الأحداث بعمتها العقيلة زينب التي عاشت في صميم المعركة وألهتها الفجيعة بأخيها الحسين عليه السلام عن ولديها اللذين استشهدا في الدفاع عن الحق .

وكذلك كان حال الرباب والدة سكينة لم نسمع من المؤرخين أنها كانت تذكر ولدها عبد الله بل كانت تبكي الحسين وترثيه ، حتى ماتت حزناً وكمداً . . . بعد وقعة كربلاء بعام واحد .

وبعدما ذكرنا لمحة موجزة من سيرة السيدة سكينة لا بد لنا من ذكر بعض من كتب عنها وأغرق في كتابته ، ونسب إليها اموراً لم تكن بها ، كأبي الفرج الأصبهاني مثلاً قال :

« اجتمع نسوة من أهل المدينة ، من أهل الشرف ، فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه ، فتشوقن إليه وتمنينه ، فقالت سكينة بنت الحسين (ع) أنالكنَّ به .

books.rafed.net

فأرسلت إليه رسولاً وواعدته « الصورين » وسمت له الليلة والوقت ، وواعدت صواحباتها فوافاهن عمر على راحلته ، فحدثهن حتى أضاء الفجر وحان انصرافهن فقال لهن : والله إني لمحتاج لزيارة قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً .

ثم انصرف الى مكة وقال :

قالت سكينة والدموع ذوارف ... منها على الخدين والجلباب

ليت المغيري الذي لم أجزه ... فيما أطال تصيدي وطلابي

كانت ترد لنا المنى أيامنا ... إذ لا نلام على هوى وتصابي

خبرت ما قالت فبت كأنما ... ترمي الحشا بنوافذ النشاب

أسكين ما ماء الفرات وطيبه ... مني على ظمأ وطيب شراب

بالذِّ منك وإن نأيت وقلما ... ترعى النساء امانة الغياب [1]

وما رواه صاحب الأغاني ، البارع في وضع القصص والكثير من المفتريات وخصوصاً على البيت الهاشمي ، فشأنه معروف لأنه أموي النسب « والعداء بين البيت الهاشمي النبيل والبيت الأموي متغلغل في النفوس » .

إن كل عاقل ومنصف يكاد يقطع أن المراد من سكينة في الأبيات التي قالها عمر بن ابي ربيعة . . . هي في سكينة بنت خالد بن مصعب .

والظاهر أن صاحب الأغاني الأموي ، أراد أن يبرىء ساحة سكينة بنت

---

(١) الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني .

books.rafed.net

خالد مما كانت عليه من الاستهتار والمجون ، فوجد من اسم سكينة بنت الحسين (ع) باباً واسعاً للتورية وتضليل البسطاء .

عند ذلك نسب أفعال سكينة بنت خالد بن مصعب الى سكينة بنت الحسين .

جاء بعد ذلك بعض المؤرخين والكتاب ، فأخذوا عن ابي الفرج الأصبهاني من دون أي انتباه . . . أو روية . . . الى الأسباب التي حملت الأصبهاني على المواربة والتحريف والتورية .

على أن قول عمر بن ابي ربيعة في شعره : « أسكين ما ماء فرات » الخ .

ليس من الضروري أن يكون المراد سكينة بنت الحسين . بالاضافة الى ذلك نرى أغلب الرواة يروون الشعر على النحو التالي :

قالت « سعيدة » والدموع ذوارف

منها على الخدين والجلباب

إلى أن يقول :

« أسعيد » ما ماء الفرات وطيبه

مني على ظمأ وفقد شباب

تقول الدكتورة بنت الشاطىء :

« قال ابو الفرج : وسعيدة . . . هي سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف ، كان عمر قد تعرض لها بعد طوافه فقالت له :

ويحك يا ابن أبي ربيعة ، ما تزال سادراً في حرم الله متهتكاً ! تتناول بلسانك ربات الجمال من قريش ! . . .

المرأة في ظل الإسلام (٢١)

books.rafed.net

آمرك بتقوى الله وترك ما أنت عليه ؟

قال أبو الفرج : وإنما غيَّره المغنون ، فقالوا : « سكينة » .

وقال أبو إسحاق الحصري (ت ٤١٣ هـ) بعد أن أورد هذه الأبيات كرواية القالي : (كذب من روى هذا الشعر في سكينة رضي الله عنها) [1] .

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة . الدكتورة بنت الشاطىء .

books.rafed.net

عرض وتحليل

إن السيدة سكينة سليلة بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ومهبط الوحي والتنزيل ، من الاسرة الهاشمية العريقة التي ضربت المثل الأعلى بالإباء والشمم والعزة والكرامة ، حتى صارت مناراً لكل من أراد أن يدفع الضيم عن نفسه ويموت عزيزاً كريماً .

والدليل على ذلك ما فعله مصعب بن الزبير حينما أراد الخروج لحرب عبد الملك ابن مروان بعدما انفضَّ عنه أصحابه .

جاء مودعاً زوجته السيدة سكينة فقالت له :

لا تفجعني بك . . . وا حزناه عليك يا مصعب . . .

فالتفت إليها وقال لها : أو كل هذا لي في قلبك ! ؟

ثم قال : لو كنت اعلم ان هذا كله لي عندك ، لكانت لي ولك حال ، ولكن أباك لم يترك لحر عذراً ، وأنشد :

وإن الاولى بالطف من آل هاشم

تأسوا فسنوا للكرام ، التأسيا

لا أجافي الحق إذا قلت أن بني هاشم الكرام ، الذين وصفهم الفرزدق

books.rafed.net

بقصيدته المشهورة التي منها :

ولكـــن إلى أهـــل الفضـــائل والنهـــى وخـــير بـــني حـــواء والخـــير يطلـــب

أقـــول : كيـــف يـــروق لبـــني هاشـــم ، أهـــل الفضـــائل والنهـــى تـــرك كـــريمتهم وابنـــة ســـيدهم الإمـــام الحســـين (ع) تســـرح وتمـــرح وتعقـــد مجـــالس اللهـــو والســـمر ، وتســـاجل الشعراء ، وفي بني هاشم الغيرة والحمية والأنفة ؟

علـــى أن الســـيدة ســـكينة عاشـــت جـــل حياتهـــا في بيـــت أخيهـــا علـــي بـــن الحســـين زيـــن العابدين (ع) .

أجـــل زيـــن العابـــدين الـــذي كـــان يواصـــل الليـــل بالنهـــار بـــاكي العـــين حزنـــاً علـــى والـــده الحسين (ع) سيد شباب أهل الجنة .

كان يقول لمن يطلب منه تخفيف البكاء والتصبر :

« إني مـــا نظـــرت إلى عمـــاتي وأخـــواتي إلا تـــذكرت فـــرارهن مـــن خيمـــة إلى خيمة . . . » .

في هـــذا الجـــو المفعـــم بـــالحزن والبكـــاء كانـــت الســـيدة ســـكينة مـــع اخيهـــا الســـجاد وأهـــل بيتهـــا الثكـــالى ، فكيـــف والحالـــة هـــذه أن يصـــدر منهـــا مـــا يشـــين كرامتهـــا وينافي الامور المتبعة في البيت الهاشمي الشريف .

عـــلاوة علـــى ذلـــك ، كيـــف يـــترك الإمـــام زيـــن العابـــدين (ع) وهـــو الآمـــر بـــالمعروف والنـــاهي عـــن المنكـــر ، شـــقيقته ســـكينة الـــتي رافقتـــه في مراحـــل المحنـــة القاســـية ، مـــن المدينة . . . إلى كربلاء . . . وإلى الشام سبايا . . . ثم إلى المدينة .

ألم يكـــن بإمكانـــه (ع) وعظهـــا ؟ . . وإرشـــادها إلى جـــادة الصـــواب ، وحملهـــا علـــى العمل بسيرة السلف الصالح من الامهات . . . والجدات .

books.rafed.net

حاشا الإمام زين العابدين أن يرضى بذلك . . . وحاشا السيدة سكينة من مقالة السوء . . . ومن كل افتراء .

جاء في كتاب الأغاني : « ان إسحاق الموصلي غنى الرشيد بشعر عمر بن أبي ربيعة :

قالت سكينة والدموع ذوارف

منها على الخدين والجلباب

فغضب الرشيد حتى سقط القدح من يده . . . ونهره وقال :

لعن الله الفاسق ، ولعنك معه ! . . فسقط في يد إسحاق ، فعرف الرشيد ما به .

فسكن الرشيد ثم قال : ويحك أتغني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بنت عمي ، وبنت رسول الله ؟ . .

إلا تتحفظ في غنائك ؟ . . أو تدري ما يخرج من رأسك ؟ » .

ألا ترى معي أيها القارىء ، كيف غضب الرشيد على إسحاق الموصلي وأخذته حمية النسب لأنه هاشمي ؟ . . مع العلم أن العباسيين كانوا أعداء العلويين ، آل ابي طالب في زمانهم .

فكيف يسكت . . . أو يرضى آل علي الكرام بما نسب للسيدة سكينة ؟ . .

وعلى الأخص الإمام المعصوم زين العابدين (ع) ؟

وحاشا السيدة سكينة بنت الإمام من هذه المفتريات . فهي أجل . . . وأنقى . . . وأطهر . . . سليلة المقدسين الأطهار .

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا

books.rafed.net

وقبل ان ننتهي من حديث السيدة سكينة ، لا بد لنا من الاشارة إلى بعض الأقوال من كتّاب سامحهم الله وهداهم .

يقول الدكتور زكي مبارك في كتابه « حب ابن أبي ربيعة ، وشعره . ص . ١٨١ . . » [1] .

« لا يغضب قوم إن ذكرنا انها كانت (يعني سكينة) في عفافها نزقة طائشة ، تؤثر الخفة على الوقار ، وتهوى ان يخلد حسنها في قصائد الشعراء . . .

وما اظن هذه السيدة سلمت في صلتها بابن ابي ربيعة من متورع يرميها على طهرها بالخلاعة والمجون » .

إلى آخر ما هنالك من المفتريات التي لم يعفّ قلم الدكتور زكي مبارك عنها .

اقول وبمنتهى الأسف ، لم يكن من المنتظر ان يأتي (في الزمن الأخير) بعد الأصبهاني ، امثال الدكتور زكي مبارك فيجعل من السيدة الجليلة ، حفيدة الرسول ، الزاهدة الورعة جليسة للشاعر الماجن المستهتر عمر بن ابي ربيعة .

ثم يجرد قلمه فيصف السيدة سكينة بأوصاف لا تتصف بها امثالها من جليلات القدر ، والمكانة المرموقة .

وبعدها يجعل من دار سكينة بنت الحسين مرتعاً للمجون وملاذاً للشعراء .

إن الدكتور زكي مبارك لم يستند لدليل على أقواله ، بل راح يكتب عن خيال ، وكأنه في حفلة ساهرة . . .

لعله يظن أنه حين يكتب تصدَّق اقواله . . . لماذا ؟ . . . لأنه دكتور ، وعلى

---

(١) حب ابن أبي ربيعة وشعره . الدكتور زكي المبارك .

books.rafed.net

هـــذا ســـقطت كتابتـــه وأقوالـــه عـــن الموضـــوعية . وكـــان مـــن جـــراء أقوالـــه الســـخيفة ، نـــرى أن كـــل مـــن قـــرأ كتابتـــه وتخيلاتـــه بخصـــوص الســـيدة ســـكينة قـــد انتقـــده ، لأن الكاتـــب قبـــل أن يكتـــب يجـــب عليـــه أن يعـــي مـــا يقـــول ، ويعرضـــه علـــى عقلـــه ، ويتثبت من صحة الرواية وثقة الراوي .

وتقول الدكتورة بنت الشاطىء ، أيضاً :

« لكـــن المأســـاة أن اكثرنـــا قـــد صـــدقوا كـــل مـــا قـــال عمـــر ، وصـــدقوا اولئـــك القصاصـــين الـــذين راحـــوا ينســـجون الحكايـــات حـــول هـــذه القصـــيدة او تلـــك مـــن غزلياتـــه . وهـــي قصـــص لا شـــك في أنهـــا اخترعـــت بـــأُجرة ، كمـــا قـــال الـــدكتور طـــه حسين بحق » .

ثم تقول :

« علـــى حـــين اخـــذ الـــدكتور زكـــي مبـــارك كـــل هاتيـــك الأخبـــار والقصـــص والمغامرات اخذاً لها ، وصدقها غير مرتاب فيها ولا متظنن » [1] .

---

(١) تراجم بيت النبوة . الدكتورة بنت الشاطىء . ص . ٩٢٩ .

books.rafed.net

جهاد المرأة المسلمة ووضعها الاجتماعي

لقد انتزعت المرأة المسلمة المؤمنة ، المزيد من المنزلة الاجتماعية بمساهمتها في جميع المجالات السياسية والثقافية ونافست الرجال في شتى الميادين .

شقت طريقها بفضل الاسلام وتعاليمه ، وأنارت حياتها بنور العلم والإيمان ، فأصبحت داعية للقرآن ، راوية للحديث ، سابقة إلى الإجادة في ضروب الشعر ، خطيبة تأخذ بأعنة النفوس ، محافظة على نشاطها الاجتماعي الذي بعثه فيها الدين الإسلامي العظيم .

ففي الصراع الدامي بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ومعاوية بن ابي سفيان في صفين ، ظهرت كثيرات من النساء اللواتي أبلين بلاء حسناً في نصرة الحق . . . أهل بيت الرسول .

وأكثر من ذلك كله فإنهن على جانب من الشجاعة وحرية الرأي ، لا يعرفن المواربة ولا التملق ، ولا يخفين إلا الله سبحانه . وتتجلى جرأة المرأة الأدبية عندما تحضر المعارك الحربية وتلقي الخطب المثيرة ، تنشد الأشعار الحماسية التي تدفع المقاتلين على الاستبسال .

وعلى سبيل المثال لا بد من ذكر بعض النساء اللواتي جاهدن في سبيل الحق منهن سودة بنت عمارة رحمها الله . لقد كان ثاقبة الرأي في السياسة . نافذة البصيرة في الزعامة ، تمثل قومها في الخطوب ، وتنوب عنهم في المحافل على الرغم

books.rafed.net

مما عرف عن قومها (بني همدان) من نبل السلوك وبأس عند اللقاء . حتى قال فيهم الإمام علي عليه السلام :

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

سودة بنت عمارة بن الاشتر الهمدانية :

جاء في بلاغات النساء : استأذنت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان ، فأذن لها ، فلما دخلت عليه قال :

هيه يا بنت الأشتر ؟ ألست القائلة يوم صفين :

شمَّر كفعل ابيك يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان

إن الإمام أخو النبي محمد علم الهدى ومنارة الإيمان

فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت : اي والله ما مثلي من رغب عن الحق ، او اعتذر بالكذب .

قال لها : فما حملك على ذلك ؟

قالت : حب علي عليه السلام ، واتباع الحق . قال : فوالله ما أرى عليك من أثر علي شيئاً .

قالت : انشدك الله يا أمير ، وإعادة ما مضى ، وتذكار ما قد نسي . قال : هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى ، وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك .

books.rafed.net

قالت : صدق فوك ، لم يكن اخي ذميم المقام ، ولا خفي المكان كان والله كقول الخنساء :

وان صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

قال : صدقت لقد كان كذلك . فقالت : مات الرأس ، وبتر الذنب وبالله اسألك يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه . قال : قد فعلت فما حاجتك ؟

قال : إنك أصبحت للناس سيداً ، ولأمرهم متقلداً ، والله سائلك من أمرنا ، وما افترض عليك من حقنا ، ولا يزال يقدم علينا من ينوه بعزك ، ويبطش بسلطانك ، فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ، ويسومنا الخسيسة ، ويسلبنا الجليلة ، هذا بسر بن ارطاة ، قدم علينا من قبلك فقتل رجالي وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فإما عزلته عنا فشكرناك ، وإما لا فعرفناك .

فقال معاوية : أتهدديني بقومك ؟ لقد هممت أن احملك على قتب أشرس ، فأردك إليه ، ينفذ فيك حكمه . فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول :

صلى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن ابي طالب عليه السلام . قال : وما صنع حتى صار عندك كذلك ؟ قالت : قدمت عليه في رجل ولاه صدقاتنا ، فكان بيني وبينه وما بين الغث والسمين ؛ فأتيت علياً عليه السلام ، لأشكو إليه ما صنع ، فوجدته قائماً يصلي . فلما نظر إلي انفتل من صلاته ، ثم قال برقة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته الخبر . فبكى ثم قال : اللهم إنك أنت الشاهد

books.rafed.net

علـيَّ وعلـيهم ، إني لم آمـرهم بظلـم خلقـك ، ولا بـترك حقـك ، ثم أخـرج مـن جيبـه قطعـة كهيئـة طـرف الجـراب . فكتـب فيهـا : بسـم الله الـرحمن الـرحيم « قـد جـاءتكم بيِّنـة مـن ربكـم فـأوفوا الكيـل والميـزان بالقسـط ، ولا تبخسـوا النـاس أشـياءهم ولا تعثـوا في الأرض مفسـدين بقيـة الله خـير لكـم إن كنـتم مـؤمنين ومـا أنـا علـيكم بحفيظ » .

إذا قـرأت كتـابي فـاحتفظ بمـا في يـديك مـن عملنـا حـتى يقـدم عليـك مـن يقبضـه منك والسلام .

فأخذته منه والله ما ختمه بطين ، ولا خزمه بخزام .

فقـال معاويـة : اكتبـوا لهـا بالإنصـاف والعـدل عليهـا ، فقالـت : إليَّ خاصـة أم لقومي ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟

قالـت : هـي والله الفحشـاء واللـؤم . . . إن لم يكـن عـدلاً شـاملاً وإلا فأنـا كسائر قومي . قال : هيهات لمظكم ابن أبي طالب الجرأة وغركم قوله : [1]

فلـو كنـت بوابـاً علـى بـاب جنـة لقلـت لهمـدان أدخلـي بسـلام

لقـد كانـت السـيدة سـودة تتمتـع بمزايـا عظيمـة مـن قـوة الحجـة علـى الـدعوى وعمـق الاحساس بالقضية الملقاة إليها . مع قدر كاف من حسن التعبير ودقة التصوير .

ومـن أبـرز الصـفات للـوعي الاجتمـاعي عنـد المـرأة في صـدر الإسـلام هـو ذلـك الصـمود الـذي لا تفلّـه الغلبـة وذلـك الثبـات الـذي لا تزعزعـه الحـوادث والكـوارث . والصـبر مـع الإيمـان الـذي لا ينفـذ عنـد اسـتبطاء النصـر . ولا يتلاشـى عند مجابهة الأعداء .

---

(١) اعـلام النسـاء لعمـر رضـا كحالـة . بلاغـات النسـاء لابـن طيفـور . والعقـد الفريـد لابـن عبـد ربه الاندلسي .

books.rafed.net

الزرقاء بنت عدي

هـــذه المـــرأة مـــن المســـلمات الأول اللـــواتي لا يعـــرفن التملـــق والحيـــل والخـــداع ، كانـــت مـــن ربـــات الفصـــاحة والبلاغـــة والعقـــل والـــرأي ، ناصـــرت علـــي بـــن ابي طالـــب (ع) يـــوم صـــفين [1] ولمـــا تم الأمـــر لمعاويـــة قـــال لأصـــحابه : ايكـــم يحفـــظ كـــلام الزرقاء ؟

فقـــال القـــوم : كلنـــا نحفظـــه يـــا امـــير المـــؤمنين . قـــال : فمـــا تشـــيرون علـــيَّ فيهـــا ؟ قـــالوا : نشـــير عليـــك بقتلهـــا . قـــال بـــئس مـــا اشـــرتم علـــيَّ بـــه . . . ايحســـن بمثلـــي ان يتحـــدث النـــاس اني قتلـــت امـــرأة بعـــدما ملكـــت ، ثم دعـــا كاتبـــه ، فكتـــب الى عامله بالكوفة ان اوفد اليَّ الزرقاء بنت عدي .

فلمـــا قـــدمت علـــى معاويـــة قـــال لهـــا : مرحبـــاً واهـــلاً ، هـــل تعلمـــين لمـــا بعثـــت اليـــك ؟ قالـــت : ســـبحان الله أنى لي بعلـــم مـــا لم أعلـــم ، وهـــل يعلـــم مـــا في القلـــوب إلا الله . قـــال : بعثت اليك ان اسألك ؟

« الســـت راكبـــة الجمـــل الأحمـــر يـــوم (صـــفين) بـــين الصـــفين ، توقـــدين الحـــرب

---

(١) صـــفين : موضـــع بقـــرب الرقـــة علـــى شـــاطىء الفـــرات مـــن الجانـــب الغـــربي بـــين الرقـــة وبالس .

books.rafed.net

وتحرضين على القتال ، فما حملك على ذلك ؟ » .

قالت : يا أمير المؤمنين انه قد مات الرأس ، وبتر الذنب ، والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر .

قال لها : صدقت ، فهل تحفظين كلامك يوم صفين ؟ فقالت : ما أحفظه . قال : ولكنني أحفظه لله أبوك لقد سمعتك تقولين : « أيها الناس أنكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن المحجة فيا لها من فتنة عمياء صماء تسمع لنا عقها ، ولا تسلس لقائدها ، ان المصباح لا يضيء في الشمس ، وأن الكواكب لا تنير مع القمر ، وأن البغل لا يسبق الفرس ، وأن الزف لا يوازن الحجر ولا يقطع الحديد إلا الحديد .

إلا من استرشدنا أرشدناه ، ومن استخبرنا أخبرناه ، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها .

فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، فكأن قد اندمل شعب الشتات ، والتأمت كلمة العدل ، وغلب الحق باطله ، فلا يعجلن أحد فيقول كيف العدل وأنّى ؟ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

« إلا أن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء والصبر خير عواقب الأمور . أيهاً إلى الحرب قدماً غير ناكصين ولا متشاكسين فهذا يوم له ما بعده .

ثم قال معاوية : والله يا زرقاء لقد شركت علياً في كل دم سفكه فقالت : أحسن الله بشارتك يا أمير ، وأدام سلامتك مثلك من بشر بخير وسر جليسه .

books.rafed.net

قال لها : وقد سرك ذلك ؟ قالت : نعم . والله لقد سرني قولك فأتى لي بتصديق الفعل .

فقال معاوية : والله لوفاؤكم له بعد موته ، أعجب الي من حبكم له في حياته ، أذكري حاجتك ، قالت : يا أمير أني قد آليت على نفسي ان لا أسأل أميراً أعنت عليه شيئاً [1] .

(١) بلاغات النساء لابن طيفور . العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي . اعلام النساء .

books.rafed.net

بكارة الهلالية

لنقف أيها القارىء الكريم ، ونلقي نظرة خاطفة على بكارة الهلالية تلك المرأة المؤمنة ، التي كانت تحمل بين جنبيها قلباً حافظاً ، وإيماناً راسخاً وعقيدة ثابتة .

كانت من النساء المسلمات المؤمنات ، الموصوفات بالشجاعة والاقدام والفصاحة ، والشعر والنثر والخطابة .

حضرت حرب صفين وكانت من أنصار الحق وبجانب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

دخلت على معاوية بن أبي سفيان بعد ان كبرت سنها ودق عظمها ، ومعها خادمان لها وهي متكئة عليهما وبيدها عكاز ، وكان عنده مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فابتدأ مروان فقال :

أما تعرف هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ومن هي ؟

قال : هي التي كانت تعين علينا يوم صفين ، وهي القائلة :

يا زيد دونك فاستتر من دارنا ... سيفاً حساماً في التراب دفينا

قد كنت أدخره ليوم كريهة ... فاليوم أبرزه الزمان مصونا

فقال عمرو بن العاص ، وهي القائلة :

أترى ابن هند للخلافة مالكاً ... هيهات ذاك وما أراد بعيد

books.rafed.net

منتـــك نفســـك في الخـــلاء ضـــلالة اغـــراك عمـــرو للشـــقاء وســـعيد

فـــارجع بانكـــد طـــائر بنحوســـها لاقـــت عليـــاً أســـعد وســـعود

فقال سعيد : يا أمير المؤمنين وهي القائلة :

قـــد كنـــت آمـــل ان أمـــوت ولا أرى فـــوق المنـــابر مـــن أميـــة خاطبـــا

فـــالله أخـــر مـــدَّتي فتطاولـــت حـــتى رأيـــت مـــن الزمـــان عجائبـــا

في كـــل يـــوم لا يـــزال خطيـــبهم وســـط الجمـــوع لآل أحمـــد عائبـــا

ثم سكت القوم فقالت بكارة :

نبحتـــني كلابـــك يـــا معاويـــة . . . واعتـــورتني ، فقصـــر محجـــتي وكثـــر عجـــبي ، وعشي بصري !

أنـــا والله قائلـــة مـــا قـــالوا : لا أدفـــع ذلـــك بتكـــذيب ، فـــامض لشـــأنك ، فـــلا خـــير في العيش بعد أمير المؤمنين علي .

فقـــال معاويـــة : لا يضـــعك شـــيء ، فـــاذكري حاجتـــك ؟ قالـــت : الآن . . فلا . . . [1] .

---

(١) العقـــد الفريـــد لابـــن عبـــد ربـــه الاندلســـي . بلاغـــات النســـاء لابـــن طيفـــور . اعـــلام النســـاء لعمر رضا كحالة .

أم الخير بنت الحريش البارقية

سيدة جليلة ، لا تقل شجاعة واقداماً عن اللواتي ناصرن الحق ، وحرية الرأي هي أم الخير بنت الحريش ، مثال المرأة المسلمة المؤمنة الصالحة ، وهي من ربات الفصاحة والبلاغة .

وقد ذكر أهل التاريخ ان معاوية بن أبي سفيان كتب الى واليه بالكوفة : ان أوفد عليّ أم الخير بنت الحريش .

فلما ورد الكتاب ركب الوالي اليها وأبلغها . فقالت له : أما أنا فغير راغبة عن طاعة ولا معتلة بكذب :

ولما قدمت على معاوية ، انزلها مع الحرم ثلاثة أيام ، ثم أذن لها في اليوم الرابع وجمع الناس .

فدخلت عليه فقال : بحسن نيتي ظفرت بكم وأعنت عليكم .

قالت : مه . . . يا هذا لك والله من دحض المقال ما تردى عاقبته .

قال : ليس لهذا أردناك .

قالت : إنما أجري في ميدانك ، إذا أجريت شيئاً فاسأل عما بدا لك .

قال : كيف كان كلامك يوم قتل عمار ابن ياسر ؟

المرأة في ظل الاسلام (٢٢)

books.rafed.net

قالت : لم أكن والله رويته من قبل ، ولا زورته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة ، فإن شئت ان أحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت .

قال : لا أشاء ذلك ، ثم التفت الى اصحابه فقال : أيكم يحفظ كلام أم الخير ؟

قال رجل من القوم : أنا أحفظه يا أمير .

كأني بها وعليها برد زبيدي كثيف الحاشية ، وهي على جمل أرمك ، وقد أحيط حولها ، وبيدها سوط منتشر الضفر وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول :

أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم . ان الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، ونور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم في عمياء مبهمة ، ولا سوداء مدلهمة ، فالى اين تريدون رحمكم الله ؟ أفراراً من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سمعتم الله عز وجل يقول : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) .

ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين ، وانتشر الرعب ، وبيدك يا رب أزمة القلوب . فاجمع الكلمة على التقوى ، وألّف القلوب على الهدى ، ورد الحق الى أهله .

هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والوصي الوفي والصديق الأكبر .

انها والله إحن بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية ، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بني عبد شمس .

ثم قالت : (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ) صبراً معاشر

المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم ، وكأني بكم غداً قد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة ، فرت من قسورة لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصيرة بالعمى وعما قليل يصبحن نادمين حتى تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ! انه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنة نزل النار .

أيها الناس : ان الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستبطأوا مدة الآخرة ، فسعوا لها . والله أيها الناس : لولا ان تبطل الحقوق وتعطل الحدود ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ، لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه ، فإلى أين تريدون رحمكم الله ؟ عن ابن عم رسول الله (ص) وزوج ابنته وأبي ابنيه ، خلق من طينته ، وتفرع من نبعته وخصه بسره ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين ، فلم يزل كذلك يؤيده الله عز وجل بمعونته ، ويمضي على سنن استقامته ، لا يعرج لراحة اللذات ، وهو مفلق الهام ومكسر الأصنام إذ صلى والناس مشركون وأطاع والناس مرتابون ، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر ، وأفنى أهل أحد ، وفرق جمع هوازن ، فيا لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً وردة وشقاقاً ، وقد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال معاوية : يا أم الخير ما اردت بهذا إلا قتلي ؛ والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك ؟ قالت : والله ما يسوءني يا ابن هند ان يجري الله ذلك على يد من يسعدني الله بشقائه .

books.rafed.net

أم وهب زوجة عبد الله بن عمر الكلبي

ان الكثيرات من النساء الصالحات ، هن افضل من الكثير من الرجال ، بعقلهن وإيمانهن وتدينهن وشجاعتهن ، وكانت الدنيا في اعينهن لا تعادل شيئاً في سبيل الله سبحانه ، والدفاع عن الكرامة والدين .

ذكر السيد عبد الرزاق المقرم في كتابه (حديث كربلاء) ، قال : حينما قتل عبد الله بن عمر الكلبي في واقعة كربلاء الشهيرة وكان من اصحاب الحسين عليه السلام ، مشت اليه زوجته أم وهب ، وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول :

« هنيئاً لك الجنة ، اسأل الله الذي رزقك الجنة ان يصحبني معك » ، فقال الشمر لغلامه رستم : اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها ، وهي أول امرأة قتلت من اصحاب الحسين (ع) .

وقطع رستم رأسه ورمى به الى جهة اصحاب الحسين ، فأخذته امه ومسحت الدم عنه ، ثم أخذت عمود خيمة وبرزت الى الاعداء ، فردها الحسين وقال : ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد [1] .

---

(١) حديث كربلاء او مقتل الحسين ذكره السيد عبد الرزاق المقرم وغيره كثير امثال الطبري . وابن شهراشوب . وابن الأثير وغيرهم .

books.rafed.net

فرجعت امتثالاً لأمر الحسين عليه السلام .

وهـــذه هـــي حـــال المـــرأة الصـــالحة المســـلمة ، الـــتي لم تتوقـــف عـــن خـــوض المعـــارك والـــدفاع عـــن الـــدين والعقيـــدة ، ولم تعوزهـــا الشـــجاعة والأقـــدام لـــو سمـــح لهـــا الامـــام الحسين عليه السلام بالجهاد .

books.rafed.net

عكرشة بنت الاطرش

مـــن ربـــات الفصـــاحة والبلاغـــة والبيـــان وقـــوة الحجـــة وحريـــة الـــرأي ، دخلـــت على معاوية فسلمت فقال لها :

يـــا عكرشـــة الان صـــرت امـــير المـــؤمنين ؟ . . . قالـــت : نعـــم اذ لا علـــي حـــي . . . قـــال الســـت صـــاحبة الكـــور المســـدول والوســـيط المشـــدود ، والمتقلـــدة بحمائـــل الســـيف ، وانت واقفة بين الصفين يوم (صفين) تقولين :

يـــا ايهـــا النـــاس علـــيكم بأنفاســـكم لا يضـــركم مـــن ضـــل اذ اهتـــديتم ، ان الجنـــة دار لا يرحـــل عنهـــا مـــن قطنهـــا ، ولا يحـــزن مـــن ســـكنها فابتاعوهـــا بـــدار لا يـــدوم نعيمهـــا ولا تنصـــرم همومهـــا . كونـــوا قومـــاً متبصـــرين . ان معاويـــة دلـــف الـــيكم بعجـــم العـــرب غلـــف القلـــوب لا يفقهـــون الايمـــان ، ولا يـــدرون مـــا الحكمـــة ، دعـــاهم بالدنيا فاجابوه واستدعاهم الى الباطل فلبوه .

فـــالله الله عبـــاد الله في ديـــن الله ، وإيـــاكم والتواكـــل فـــان في ذلـــك نقـــض عـــروة الاســـلام ، واطفـــاء نـــور الإيمـــان ، وذهـــاب الســـنة . . . واظهـــار الباطـــل ، هـــذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى .

قـــاتلوا يـــا معشـــر الانصـــار والمهـــاجرين علـــى بصـــيرة مـــن ديـــنكم واصـــبروا علـــى عـــزيمتكم ، فكـــأني بكـــم غـــداً وقـــد لقيـــتم أهـــل الشـــام كـــالحمر الناهقـــة والبغـــال الشحاجة تضفع ضفع البقر ، وتروث روث العتاق . . . الخ .

books.rafed.net

دارمية الحجونية

لا يخفى ان قوة العقيدة ، وعزة النفس ، يسجلان للانسان اسمى الفضائل ، ويجعلان منه مثلاً ساميا وقدوة صالحة ، فلا تزيده مر الليالي والأيام الا رفعة واعظاماً .

لقد سجل التاريخ على صفحاته موقف دراميه الحجونية ، فسجل الصراع بين الحق والباطل وبين قوة السلاح وقوة العقيدة .

حج معاوية بن ابي سفيان ، فسأل عن امرأة من بني كنانة ، كانت تنزل بالحجون ، يقال لها دراميه الحجونية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها ، فبعث اليها فجيء بها .

فقال : ما حالك يا بنة حام ؟ فقالت : لست لحام ان عبتني ، انا امرأة من كنانة . قال صدقت ، اتدرين لم بعثت اليك .

قالت لا يعلم الغيب الا الله . قال : بعثت اليك لأسألك علام احببت علياً وابغضتني وواليته وعاديتني ؟

قالت : او تعفيني يا امير . قال : لا اعفيك . قالت : اما اذا أبيت فاني احببت علياً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية وابغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك ما ليس لك بحق ، وواليت علياً على ما عقد له

books.rafed.net

رسول الله (ص) من الولاء وحبه للمساكين واعظامه لأهل الدين .

وعاديتك على سفك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك .

قالت : يا هذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك . لا . بي .

قال معاوية : يا هذه اربعي ، فانا لم نقل الا خيرا ، انه اذا انتفخ بطن المرأة ثم خلق ولدها ، واذا عظم ثدياها تروي رضيعها ، واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها ، فرجعت وسكنت .

قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت : أي والله .

قال : فكيف رأيته ! قالت : رأيته والله لم يغتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك ، قال : فهل سمعت كلامه ؟

قالت : نعم : والله كان يجلو القلب من العمى ، كما يجلو الزيت صدأ الطست . قال : صدقت . فهل لك من حاجة ؟

قالت : او تفعل اذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء ، فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟

قالت : اغذوا بالبانها الصغار ، واستحيي بها الكبار واكتسب بها المكارم ، واصلح بها بين العشائر ، قال : فان اعطيتك ذلك ، فهل احل محل علي بن ابي طالب ؟

قالت : (ماء لا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان وفتى ولا

books.rafed.net

كمالك [1] .

ثم قال : أما والله لو كان علي حياً ، ما اعطاك منها شيئاً .

قالت : لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين [2] .

---

(١) صداء : عين لم يكن عندهم ماء اعذب من مائها . والسعدان ، نبت ذو شوك ، وهو افضل مراعي الابل ولا تحسن على نبت حسنها عليه . ومالك : هو ابن نويرة ، وقد قال اخوه متمم هذا فيه لما قتله خالد بن الوليد .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي .

books.rafed.net

ام البراء بنت صفوان بن هلال

ما اعظم الاسلام ، وما أجل قدره ، لقد بعث في قلوب المسلمين الجرأة والاقدام ، والتفاني في سبيل الله وعدم الاكتراث بأي تهديد او وعيد ، حتى لترى المرأة المسلمة الصالحة ليثا هصورا ، اتخذت من الايمان والعقيدة سلاحاً ماضياً ينحط عنده كل سلاح .

« وأم البراء ، شاعرة ذات لسان فصيح ، ومنطق مبين ، وهي ممن دخلن على معاوية بن ابي سفيان ، فأستأذنت عليه فاذن لها ، فدخلت في ثلاثة دروع ، تسحبها ، قد كارت على رأسها كوراً ، كهيئة المنسف فسلمت ثم جلست . فقال : كيف حالك يا بنت صفوان ؟

قالت : بخير يا امير ، ضعفت بعد جلد ، وكسلت بعد نشاط .

قال : سيان بينك اليوم وحين تقولين :

يا عمرو دونك صارماً ذا رونق ... عضب المهزة ليس بالخوار

اسرج جوادك مسرعاً ومشمراً ... للحرب غير معرد لفرار

اجب الامام ودب تحت لوائه ... وافر العدو بصارم بتار

يا ليتني اصبحت ليس بعورة ... فاذب عنه عساكر الفجار

قالت : قد كان ذلك يا امير ، ومثلك عفا والله تعالى يقول عفا الله عما سلف .

books.rafed.net

قال : هيهات اما انه لو عاد لعدت ، ولكن اخترم دونك ، فكيف قولك حين قتل ؟ قالت ، نسيته يا امير . فقال بعض جلسائه هو والله حين تقول :

يا للرجال لعظم هول مصيبة

فدحت فليس مصابها بالهازل

الشمس كاسف لفقد امامنا

خير الخلائق والامام العادل

يا خير من ركب المطي ومن مشى

فوق التراب لمحتف او ناعل

حاشا النبي لقد هددت قواءنا

فالحق اصبح خاضعاً للباطل

فقال معاوية : قاتلك الله يا بنت صفوان ، ما تركت لقائل مقالاً ، اذكري حاجتك .

قالت : هيهات بعد هذا والله لا سألتك شيئاً ثم قامت فعثرت ، فقالت : تعس شأنيء علي [1] . . .

رحمك الله يا ام البراء ، هيهات ان تباع الضمائر الحرة . . . ويسيطر القوي الغاشم على الاحرار الاوفياء اصحاب العقيدة والإيمان .

لا تخضعن لمخلوق على طمع

فان ذلك وهن منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه

فانما الأمر بين الكاف والنون [2]

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور . اعلام النساء عمر رضا كحاله وغيرهما .

(٢) هذان البيتان من الديوان المنسوب للامام علي عليه السلام .

books.rafed.net

آمنة بنت الشريد

هـي زوجـة عمـرو بـن الحمـق الخزاعـي ، امـرأة شـجاعة ذات عقـل وديـن عزيـزة الجانب فصيحة اللسان عظيمة الشأن ، ومن ذوات الشرف والمروءة .

لقـد جاهـدت عـن عقيـدتها ورأيهـا مـا اسـتطاعت ، ولا فـرق بالجهـاد بـين اللسـان والسنان .

قتـل معاويـة بـن ابي سـفيان زوجهـا عمـرو بـن الحمـق ، لأنـه كـان مـن أصـحاب علـي بـن ابي طالـب عليـه السـلام وذلـك حينمـا ظفـر بـه بواسـطة واليـه عبـد الـرحمن بـن الحكـم . ولمـا قتلـه بعـث براسـه الى معاويـة (وهـو اول راس حمـل في الاسـلام) . وكـان معاويـة قـد أخـذ بالتنكيـل مـن اصـحاب علـي عليـه السـلام : امثـال : (حجـر بـن عـدي الكندي وأصحابه (رض)) .

« فلمـا اتـى معاويـة الرسـول بـالرأس ، بعـث بـه الى آمنـة بالسـجن وقـال للحرسي : احفظ ما تتكلم به حتى تؤديه الي ، واطرح الرأس في حجرها .

ففعـل هـذا ، فارتاعـت لـه سـاعة . ثم وضـعت يـدها علـى رأسـها وقالـت : وا حزنـاه لصـغره في دار هـوان ، وضـيق مـن ضـيمه سـلطان ، نغيتمـوه عـني طـويلاً ، واهـديتموه الي قتـيلاً ، فـاهلاً وسـهلا ، بمـن كنـت لـه غـير قاليـة ، وانـا اليـوم لـه غـير ناسية ، ارجع به ايها الرسول الى معاوية وقل له ولا تطوه دونه .

« ايـتم الله ولـدك ، واوحـش منـك اهلـك ، ولا غفـر الله ذنبـك » فرجـع الرسـول الى معاويـة فـأخبره بمـا قالـت : فارسـل اليهـا ، فاتتـه وعنـده نفـر فـيهم

اياس بن حسل اخو مالك بن حسل وكان في شدقيه نتؤعن فيه لعظم كان في لسانه ، وثقل اذا تكلم . فقال لها معاوية :

أأنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني به ؟

قالت : نعم غير نازعة عنه ولا معتذرة منه ولا منكرة له ، فلعمري اجتهدت في الدعاء ان نفع الاجتهاد ، وان الحق لمن وراء العباد ، وما بلغت شيئاً من جزائك ، وان الله بالنقمة من ورائك .

فاعرض عنها معاوية ، فقال اياس : اقتل هذه يا امير المؤمنين ؟ فوالله ما كان زوجها احق بالقتل منها ، فالتفت اليه ، فلما رأته ناتئ الشدقين ، ثقيل اللسان ، قالت : تباً لك ويلك ، بين لحييك كجثمان الضفدع ثم انت تدعوه الى قتلي ، كما قتل زوجي بالأمس ، ان تريد الا ان تكون جباراً في الأرض وما تريد ان تكون من المصلحين ؟

فضحك معاوية ثم قال : لله درك اخرجي ثم لا اسمع بك في شيء من الشام .

قالت : وأبي لاخرجن ، ثم لا تسمع لي في شيء من الشام فما الشام لي بحبيب ولا أعرج فيها على حميم وما هي لي بوطن ، ولا احن فيها إلى سكن ، ولقد عظم فيها ديني ، وما قرت بها عيني ، وما أنا فيها إليك بعائدة ، ولا حيث كنت بحامدة .

فاشار اليها ببنانه اخرجي . . . فخرجت وهي تقول : واعجبي لمعاوية يكف عني لسانه ، ويشير إلى الخروج ببنانه ، أما والله ليعارضنه عمرو بكلام مؤيد شديد أوجع من نوافذ الحديد أو ما أنا بابنة الشريد من

books.rafed.net

كلام طويل [1] .

خرجت آمنة بنت الشريد من الشام ، بعد ما لاقت من الذل والهوان ما يعجز عنه البيان ، في زنزانة معاوية بن أبي سفيان وجلاوزته ، وذلك طيلة عامين كاملين ، وليس لها من ذنب إلا العقيدة الراسخة والإيمان القوي وحرية الرأي الذي بعثه فيها الدين الإسلامي العظيم .

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور . اعلام النساء عمر رضا كحالة .

books.rafed.net

عمرة بنت النعمان الانصارية

ان التاريخ يحدثنا عن مسلمات صالحات ، كمن مرَّ ذكرهن ، اذ أن المرأة المسلمة العربية المؤمنة ، الصادقة بعقيدتها قد قامت بدور عظيم في مجال التوجيه الاجتماعي والديني والأخلاقي والسياسي .

ان حادثة عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية من أروع الحوادث التي تدلنا على تمسك المرأة المؤمنة بالعقيدة والوقوف بجانب الحق مما جعلها تسير في صف أعاظم الرجال .

كانت عمرة بنت النعمان زوجة المختار الثقفي [1] الذي قتله مصعب بن الزبير بعد انتصاره عليه في الحرب التي دارت بينهما .

وبعد مقتل المختار أرسل مصعب وأحضر عمرة بنت النعمان زوجة المختار وطلب منها أن تتبرأ من زوجها أمام الناس وتطعن في دينه .

---

(١) المختار الثقفي هو الذي قام بأخذ ثأر الحسين عليه السلام . ممن قتله ، او أشرك بدمه وكان شعاره : يا لثارات الحسين : ولما قتل المختار عبيد الله بن زياد واتباعه لعنهم الله . . . استتب الامر للمختار . وبعث عبد الله بن الزبير اخاه مصعباً الى العراق واليا . فدارت بين المختار وبين مصعب معارك كثيرة كانت الغلبة فيها لمصعب على المختار فقتله وقتل زوجته عمرة . فرحم الله المختار وزوجته شهداء العقيدة والمبدأ .

books.rafed.net

ولكن عمرة وقفت مواقف الاشراف الأباة ، وهيهات أن تذل الحرة ، وتبيع عقيدتها ، أمر مصعب بقتلها لعلها تنهار أمام التهديد والخوف . واستعمل جميع وسائل الإغراء من بذل المال وأطماعها بالجاه ، وغير ذلك .

لكنه وقف أمام عقيدتها الراسخة ووفائها وصمودها الجبار عاجزاً مقهوراً . فباء بالفشل والخيبة ، ولم تنفعه الحيل .

بعد ذلك أمر أن توضع (عمرة بنت النعمان) في حفرة وأمر السياف أن يقف على رأسها ووقف مصعب بجانبها يتوعدها تارة ويتهددها اخرى .

لكن عمرة لم تكترث بالموت ، ولم تبالي بما يحيط بها من دواعي الشر بل انطلقت تقول بصوت ملؤه الإيمان بالله ، تصرخ في وجوه الظالمين : كيف اتبرأ من رجل يقول ربي الله ! ؟ اني اعهده صائماً نهاره ، قائماً ليله ، وقد بذل دمه في سبيل الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم « شهادة أرزقها ثم اتركها ! الله اشهد اني متبعة لنبيك وابن بنته . . . وأهل بيته . . . وشيعته .

وحينما ابت عمرة الانصياع لمصعب وراعه صمودها أمام السياف فضربها ثلاث ضربات على رأسها حتى ماتت ، وهي باقية على عقيدتها .

وفي مقتل عمرة بنت النعمان الانصارية ، قال عمر بن ابي ربيعة :

ان من أعجب الاعاجيب عندي ... قتل بيضاء حرة عطبول

قتلوها ظلماً ومن غير جرم ... ان لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول [1]

---

(١) حادثة عمرة بنت النعمان الانصارية . ذكرت بعدة اوجه :

ذكرها الطبري في تاريخه ، وابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد . والسيد علي فضل الله الحسني في الاخلاق الاسلامية وغيرهم .

books.rafed.net

ولا ننسى ان نذكر (اروى بنت عبد المطلب) تلك المرأة الجليلة صاحبة المراثي من الشعر الجيد .

وكذلك أم هاني بنت ابي طالب التي اجارت من استجار بها يوم فتح مكة فقال لها الرسول ﷺ (لقد اجرنا من اجرت وامنا من امنت) .

وعندما مات زوجها هبيرة المخزومي خطبها رسول الله (ص) فقالت له : يا رسول الله لأنت أحب إلي من سمعي وبصري ، وحق الزوج عظيم ، فاخشى ان اقبلت على زوجي ، ان اضيع بعض شأني وولدي ، وان اقبلت على ولدي ان اضيع حق الزوج . .

فقال رسول الله (ص) : ان خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، احناهن على ولد في صغره ، وارعاهن على بعل في ذات يده .

وكانت رواية من راويات الحديث .

وكذلك اسماء بنت عميس التي اسلمت قبل دخول رسول الله (ص) دار الأرقم بمكة ، وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جعفر إلى الحبشة ، وروت عن النبي ﷺ وروى عنها الكثير من اجلاء الصحابة كعبد الله بن العباس ، وعمر بن خطاب ، وحفيدها القاسم بن محمد بن ابي بكر وابناها عبد الله وعون ابناء جعفر بن ابي طالب وحفيدتها أم عون بنت محمد بن جعفر وعروة بن الزبير وغيرهم .

وعائشة أم الدرداء التي برعت في الفقه والدراية وهي القائلة « لقد طلبت العبادة في كل شيء فما أصبت لنفسي أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم » .

ولو سلكن المسلمات اليوم طريق المسلمات الأول وانتهجن المنهج الصحيح الذي كانت تسيطر عليه المبادىء الاسلامية العظيمة من قوة العزيمة ، وطهارة

books.rafed.net

القلـــوب ، وبـــراءة النفـــوس ، وصـــدق النيـــة والأخـــلاص في العمـــل في ســـبيل العقيـــدة والشـــرف ، لأصـــبحت المـــرأة المســـلمة في عصـــرنا الحاضـــر القـــدوة الصـــالحة لجميـــع نســـاء العالم .

ولكـــن هيهـــات . . . ان يســـجل التـــاريخ أمثـــال المســـلمات الاوائـــل ، إلا اذا رجعن نساء اليوم الى حظيرة الدين والايمان .

لأن الـــدين هـــو النـــور الـــذي يرينـــا خفايـــا أســـرار الوجـــود ، والأمـــل الوضـــاء الـــذي ينعش انفسنا ويضيء أمامنا الطريق نحو الحرية والكرامة .

books.rafed.net

بعض نوابغ النساء المسلمات

في القرن الثاني والثالث وما بعدهما

أمـــا في العهـــد العباســـي وذلـــك عنـــدما أصـــبحت بغـــداد مقـــر الأمبراطوريـــة الإسلامية ، وازدهرت دور العلم ، وتوافد اليها العلماء والأدباء .

لقـــد كـــان الخليفـــة العباســـي « المـــأمون » عالمـــاً فيلســـوفاً يعقـــد مجـــالس العلـــم ويناظر فيها ، ويبذل الأموال الطائلة في سبيل الترجمة والتأليف .

أمـــا وقـــد أصـــبح النـــاس في ذلـــك العهـــد يقـــدرون الأشـــخاص بمقـــدار نصـــيبهم مـــن العلـــم والآدب فمـــن الطبيعـــي ان تلـــتمس المـــرأة طريقهـــا في هـــذا المضـــمار ، وتأخـــذ منـــه مقداراً يحمل القوم على حبها واحترامها .

مـــنهن الســـيدة زبيـــدة زوجـــة الرشـــيد ، لم تقتصـــر علـــى مشـــاريعها الخيريـــة الـــتي لا تزال باقية حتى الان ، فإنها كانت على جانب من الأدب .

قالت تخاطب ابنها الأمين في قصيدة طويلة منها :

نفســـي فـــداؤك لا يـــذهب بـــك التلـــف

ففـــي بقـــاءك ممـــن قـــد مضـــى خلـــف

ولهـــا أشـــعار كثـــيرة في رثـــاء ولـــدها الأمـــين ، ومـــدح المـــأمون والشـــكاية مـــن طـــاهر بن الحسين قاتل ولدها .

وكـــان لـــبعض النســـاء في العهـــد العباســـي مســـاهمة فعالـــة ، فشـــاركن في العلـــوم

books.rafed.net

الدينية ، واللسانية ، والأدبية ، وفي التأليف والترجمة .

وتصدر بعضهن للدرس والتدريس ، ومنح بعضهن اجازات من علماء أماثل .

ومن النساء المشتغلات في حقل العلم بنت الشريف المرتضى ، كانت عالمة فاضلة روت كتاب « نهج البلاغة » عن عمها السيد الشريف الرضي رحمة الله عليه . وروى عنها الكثير من العلماء [1] .

---

(١) اعلام النساء . عمر رضا كحالة .

books.rafed.net

السيدة نفيسة بنت الحسن

ومن النساء المجاهدات اللواتي يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) .

عالمة جليلة ، وعابدة ورعة ، وتقية زاهدة ، حفظت القرآن وتفسيره ، وقد حضر اليها الامام الشافعي ، وسمع عليها الحديث .

وكان بشر بن الحارث يعودها لشؤون علمه ، واستجار بها لتقواها الامام احمد بن حنبل في ان تدعو له بالمغفرة ، وقد سألها الامام الشافعي يوماً من وراء حجاب لتدعو له ، وصلت على جنازته يوم وفاته .

ذهبت الى مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق « المؤتمن » وقيل انه لما ظلم احمد بن طولون ، استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها . فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : في غدٍ .

فكتبت رقعة : ووقفت بها في طريقه وقالت : يا احمد بن طولون . . . فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها :

ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم فعسفتم ، وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة ، غير مخطئة لا سيما من قلوب اوجعتموها ، واكباد جوعتموها ، واجساد عريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم .

books.rafed.net

اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون ، واظلموا فانا الى الله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

قصة امرأة تطلب الانصاف عند المأمون

« جلس المأمون يوماً للمظالم ، فكان آخر من تقدم إليه . . . وقد همَّ بالقيام ، امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فنظر المأمون الى يحيى بن اكثم ، فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله تكلمي بحاجتك ، قالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد ... ويا اماماً به قد اشرق البلد

تشكو اليك عميد القوم ارملة ... عدَّ عليها فلم يترك لها سبد [1]

وابتز مني ضياعي بعد منعتها ... لما تفرَّق عنها الأهل والولد

فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد ... عني واقرح مني القلب والكبد

هذا اذان صلاة العصر فانصرفي ... واحضري الخصم في اليوم الذي أعد

فالمجلس السبت ان يقضى الجلوس لنا ... ننصفك منه وإلا المجلس الأحد

---

(١) السبد : الشعر ، ويكنى به عن الابل ، كما يكني بالوبر عن الغنم ، فيقال : ما له سبد ولا لبد ، اي ذو وبر ، ولا صوف متلبد ؛ يريد ابلا ، وغنماً .

books.rafed.net

فلما كان يوم الأحد جلس ، فكان اول من تقدم اليه تلك المرأة .

فقالت : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال : عليك السلام ، ثم قال : اين الخصم ؟

فقالت : الواقف على رأسك يا امير المؤمنين . . . واومأت الى ابنه العباس . . .

فقال : يا احمد بن ابي خالد ، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم .

فجعل كلامها يعلو كلام العباس . فقال لها احمد بن ابي خالد : يا أمة الله انك بين يدي امير المؤمنين ، وانك تكلمين الأمير فاخفضي من صوتك .

فقال المأمون : دعها يا احمد فان الحق انطقها ، والباطل اخرسه ثم قضى لها برد ضيعتها اليها (وظلم العباس بظلمه لها) وأمر بالكتاب لها الى العامل الذي ببلدها ، ان يوغر لها ضيعتها [1] ويحسن معونتها ، وأمر لها بنفقة » [2] .

بوران زوجة المأمون

كانت النساء المسلمات يعقدن مجالس العلم والأدب للمناظرة والمساجلة .

فمن النساء اللواتي برزن في ميدان العلم السيدة بوران زوجة المأمون (الخليفة العباسي) كانت فارسية الأصل جمعت بين الكرامة الاسلامية

---

(١) يوغر لها ضيعتها . اي يسقط عنها خراجها .

(٢) عن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي . . . والاخلاق الاسلامية للسيد علي فضل الله الحسني .

books.rafed.net

والكياسة الفارسية .

عرفت بالذكاء والفطنة والفهم والأدب وحسن التصرف ، وأقامت في بغداد المدارس والمستشفيات .

قطر الندى زوجة المعتضد بالله

ومن النساء الشهيرات المعروفات بالذكاء والفطنة والمقدرة قطر الندى زوجة المعتضد بالله العباسي وأم المكتفي ، كانت عالمة فذة ، خبيرة بالشريعة الإسلامية والقضاء .

قامت بالوصاية على ابنها قبل ان يبلغ سن الرشد ، وادارت الأحكام ، وقضت بنفسها بين الناس .

أحاط بها كثيرون ، وكثيرات من الشعراء والشاعرات ، والأدباء والأديبات ، وأهل الرأي والحزم .

ولا ننسى شهدة الملقبة بفخر النساء في القرن الخامس الهجري كانت تلقي دروساً في الأدب والتاريخ في جامع بغداد على الجمهور .

وكان لها منزلة علمية كبيرة في التاريخ الاسلامي ، ولهذا كان يحضر دروسها كثير من العلماء والفضلاء .

ولبنى وهي الكاتبة في ديوان الخليفة الحكم بن عبد الرحمان ، المجيدة للكتابة ، الشاعرة العالمة في النحو ، المتينة في الحساب وفنونه وقد توفيت سنة (٣٩٢) هجرية [1] .

---

(١) عظمة الرسول . محمد عطية الابراشي .

books.rafed.net

ودهماء بنت يحيى بن المرتضى المتوفاة سنة (٨٣٧) هجرية وهي عالمة جليلة ، برعت بعلوم عصرها كالنحو والمنطق والحديث والأصول والفقه والفلك والشعر ، ولها مؤلفات كثيرة ، وقد أخذ عنها طلبة العلم وحضروا عليها .

وقد أشار ابن ابي أصيبعة في كتاب « طبقات الأطباء » إلى طبيبتين مسلمتين ، درستا الطب واشتغلتا به ، منهما الطبيبة « زينب » طبيبة بني أود التي برعت بعلاج امراض العيون .

ومن الطبيبات المسلمات ايضاً : الطبيبة « أم الحسن » بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي ، وقد كانت طبيبة مبرزة شهيرة في الطب ، كثيرة الاطلاع ، وأجادت علوماً كثيرة مع الطب .

وأخت الحفيد بن زهر ، وابنتها كانتا عالمتين بالطب والمداواة ولهما خبرة كبيرة بعلاج أمراض النساء .

إذا قلبنا صفحات التاريخ نجد ان المرأة المسلمة كانت لها المكانة السامية في العصور الاسلامية الأولى ، عصور العظمة . . . عصور المجد عند المسلمين المتمسكين بمبادىء الإيمان والعقيدة ، وأصول الشرع القويم .

ولكن بعد أن تفككت عرى الدين والإيمان من النفوس ولم يبال الناس إلى أوامر القرآن ونواهيه ، أنهارت الأخلاق وعدنا القهقرى في العصور الاستعمارية المظلمة .

وهناك رجعت المرأة إلى الوراء ، إلى الذل والحرمان لأن المستعمر قد حكم عليها بالجهل ، والأمية مدة طويلة ، وحرمها من العلم والتعلم والتهذيب والرقي .

فالمستعمر ظالم يتحكم في مصير الناس على هواه ، كما كان ذلك في

books.rafed.net

القرون الوسطى .

وصحيح أن المرأة في هذا العصر أخذت تنهض من كبوتها . . . لكن نهضتها هذه غير مشكورة ، لأنها لم تنهض على مقتضى القواعد الدينية والنبل والشرف .

فهي نهضة وقتية على غير أساس متين ترجع عليها بالخسران اذا لم تتدارك المرأة عزتها وكرامتها قبل فوات الأوان واعود فاكرر قول الشاعر :

تداركوها وفي اغصانها رمق

فلا يعود اخضرار العود ان يبسا

ونحن نهيب بالمرأة المسلمة ، وندعوها الى اجتناب الخلاعة والميوعة والانحراف عن الطريق السوي والمجون .

كما ندعوها الى كل فضيلة ، حتى تتمكن من حماية الاسرة ، تلك الخلية الأولى التي يتألف منها المجتمع .

حماية الاسرة . اقتصادياً . . . واجتماعياً . . . واخلاقياً وتشريعياً ضمن نطاق القوانين الاسلامية .

فالمرأة صنو الرجل عليها ما عليه من الجهاد في سبيل الوطن الصغير (الأسرة) والوطن الكبير (المجتمع) .

وبذلك تكون المرأة قد سبقت الرجل في مضامير الجهاد ، وقامت بواجبها على الوجه الاكمل ، ونالت ما يناله من رفعة وسؤدد .

books.rafed.net

ولا ننسى قول نابلون بونابرت : « ان المرأة التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسارها » .

فاكرم بالمرأة الصالحة التي تقوم بأعباء مسؤوليتها وحسب فطرتها في جميع الميادين وعلى جميع الاصعدة بالطهارة والعفاف والعزة والشرف والكرامة .

books.rafed.net

الخاتمة

ان المـــرأة اصـــبحت في زماننـــا هـــذا تعـــاني مـــن ازمـــات ناتجـــة عـــن الافكـــار الـــتي يبثها أصحاب العقائد الهدامة ، وكل من يريد الشر لهذا المخلوق البريء .

ازمـــات كثـــيرة في عـــالم الســـلوك والاخـــلاق والتربيـــة وفي جميـــع المجـــالات وهـــذا ناشيء عن انعدام الرادع الديني في النفوس كما اسلفنا .

يصـــعب علـــى المـــرأة المســـلمة في عصـــرنا الحاضـــر الـــذي أصـــبح بـــؤرة فســـاد أن تنجـــو مـــن محنتهـــا وشـــقائها ، وتـــتخلص ممـــا هـــي فيـــه مـــن واقـــع مريـــر ينـــذر بـــالويلات والـــدمار ، إلا اذا ســـارت علـــى هـــدى الاســـلام ونـــور تعاليمـــه الصـــادقة النازلـــة مـــن لدن عزيز حكيم .

وممـــا لا ريـــب فيـــه أن مـــن لـــيس عنـــده رادع ديـــني ، نـــراه دائمـــاً مـــع اصـــحاب النزعـــات الشـــريرة ، فمـــن لا يـــؤمن بـــالله واليـــوم الآخـــر لا يمنعـــه شـــيء مـــن ارتكـــاب الجـــرائم ، والظلـــم ، وهتـــك الحرمـــات ، يجـــري وراء شـــهواته وميولـــه بغـــير هوادة .

فالاســـلام هـــو المدرســـة العظيمـــة والاصـــلاح الشـــامل الـــذي يفـــيض بالعطـــاء والتوجيـــه لجميـــع الشـــعوب ، وهـــل يجـــد الانســـان في جميـــع مراحـــل حياتـــه مثـــل التشـــريع الاســـلامي ؟ تلـــك العدالـــة الاجتماعيـــة المشـــرقة الـــتي تهـــدف الى صـــيانة حقـــوق المرأة وإزالة جميع فنون الظلم والاضطهاد ومحو ضروب الغبن والاستعباد .

books.rafed.net

لقد حقق الاسلام للمرأة أعظم الانتصارات وقادها الى شاطىء الامن والاستقرار .

ومما لا شك فيه ان النساء العهود السابقة ، كن اكثر اطلاعاً وأشمل اتساعاً ، للاحاطة بتعاليم الاسلام وهديه ، والعمل على طبقه .

وكان لبعضهن نصيب وافر من الورع والتقوى والعلم والمعرفة المقرونة بالايمان والعقيدة .

فالنساء اللواتي برزن في حظيرة الاسلام كثيرات ، لا يمكن أحصائهن أو الالمام بسيرهن على اختلاف الاجناس والطبقات ، وفي جميع المجالات .

فمنهن من برعت بعلم الفقه وعلم الاصول ورواية الحديث . ومنهن من تفوقت بالأدب فكانت الشاعرة المبدعة والأديبة الكاتبة .

ومنهن من حازت السبق في مجال الفن والسياسة فكانت من بينهن الاميرات الصالحات والمجاهدات ذوات الأخلاص والوفاء .

والآن فالواجب على كل امرأة مسلمة عاقلة تؤمن بالله واليوم الآخر في عصرنا الحاضر ، ان لا تتأثر باقوال المغرضين ، ولا تنصاع لأهواء المفسدين بل تأخذ جانب الخير فتعمل به ، وتتجنب الشر فتبتعد عنه ، وتقتبس من الاعمال والصفات ما تحمد عليه ليرجع عليها بالفائدة الروحية والمعنوية .

وختاماً اتوسل الى المولى العلي القدير أن يأخذ بيد جميع المصلحين من المسلمين المؤمنين لما فيه خير الدنيا والآخرة . انه ولي الاجابة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بيروت ١٢ رجب سنة ١٣٨٩ الموافق ١٨ حزيران ١٩٧٨

مريم نور الدين فضل الله

books.rafed.net

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

مجمع البيان في تفسير القرآن . للطبرسي

نهج البلاغة . شرح ابن ابي الحديد

مجمع البحرين . للطريحي

وسائل الشيعة . للحر العاملي

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . الدكتور جواد علي

تفسير الطبري

حضارات العالم في العصور القديمة والوسطى . الطبعة الثانية

الحجاب . ابو الاعلى المودودي

تاريخ التربية . الاستاذ عبد الله المشنوق

مجلة العربي

نظرات في السفور والحجاب . الشيخ مصطفى الغلاييني

مجلة الازهر

تاج العروس . للزبيدي

مستمسك العروة الوثقى . السيد محسن الطباطبائي الحكيم

منهاج الصالحين . للسيد محسن الطباطبائي الحكيم

منهاج الصالحين . السيد ابو القاسم الخوئي

الترغيب والترهيب . للمنذري

books.rafed.net

مجلة الوعي الاسلامي . الكويت

السيرة الحلبية . علي بن برهان الدين الحلبي

تاريخ الطبري . ابن جرير الطبري

الدر المنثور في طبقات ربات الخدور . زينب فواز

مجلة العرفان

مباني تكملة المنهاج . حجة الاسلام السيد الخوئي

تفسير المنار . الشيخ محمد عبده

تراجم سيدات بيت النبوة . الدكتورة بنت الشاطىء

الاغاني . لأبي الفرج الاصفهاني

عيون الأخبار . لابن قتيبة

نهاية الأرب في فنون الأدب . للنويري

السيرة النبوية . لابن هشام

طبقات ابن سعد الكبرى

مروج الذهب . للمسعودي

تاريخ اليعقوبي

الميزان في تفسير القرآن . للطباطبائي

اعلام النساء . عمر رضا كحالة

ملحمة أهل البيت . الشيخ عبد المنعم الفرطوسي

الكامل في التاريخ . لابن الأثير

بلاغات النساء . لابن طيفور

ينابيع المودة . للقندوزي الحنفي

حلية الاولياء . للحافظ الاصبهاني

ظلال الوحي . السيد علي فضل الله الحسني

مرآة الجنان . لليافعي المكي

الغدير . للشيخ الاميني

books.rafed.net

اعيان الشيعة . السيد محسن الامين

العقد الفريد . لابن عبد ربه الاندلسي

الاصابة . لابن حجر

الاستيعاب . لابن عبد البر

الاخلاق الاسلامية . السيد علي فضل الله الحسني

مقتل الحسين (ع) . السيد عبد الرزاق المقرم

حب ابن ابي ربيعة وشعره . الدكتور زكي مبارك

حديث كربلاء . السيد عبد الرزاق المقرم

عظمة الرسول . محمد عطيه الابراشي

books.rafed.net

محتويات الكتاب

المقدمة ٥

تمهيد ١١

المرأة قبل الاسلام

المرأة عند العرب في الجاهلية ١٣

وأد البنات ١٥

قصة رجل وأد إبنته وقد اظهر ندمه عند النبي (ص) ١٩

المرأة في بلاد الفرس ٢١

المرأة في البلاد الصينية ٢٢

المرأة في البلاد المصرية ٢٢

المرأة في بلاد ما بين النهرين ٢٣

المرأة السومرية ٢٣

المرأة الاشورية ٢٤

المرأة عند اليونان ٢٤

المرأة عند الرومان ٢٥

المرأة في بلاد الهند ٢٧

المرأة في نظر بعض الفلاسفة ٢٨

مقارنة وتحليل ٣٠

حول حرية المرأة في الاسلام ٣٦

books.rafed.net

الحرية . . . والمساواة ٣٨
المساواة في العبادات ٤٣
في محيط المرأة . باب المساواة ٤٨
نزول المرأة الى ميدان العمل ٥٣
المرأة وتقدمها في العصر الحاضر ٥٤
متى تنزل المرأة الى ميدان العمل وكيف ؟ ٥٧
مدى صلاحيات المرأة في تحمل المسؤولية ٥٩
الحجاب ٦١
بعض الاخبار الواردة في الحجاب ٦٣
دعاة السفور . . . واثرهم السيء على الاخلاق ٦٦
الحرية المزعومة ٦٩
المصافحة . . . أو السلام بالكف ٧١
مبايعة النساء للنبي (ص) يوم فتح مكة ٧٢
التقليد للاجانب . . . انتكاس وتراجع ٧٤
الموضة . . . أو الزي الجديد ٧٥
من صميم الواقع ٧٨
الحجاب وأثره في المجتمع ٨٢
المرأة في رحاب العلم ٨٥
تأثير العلم على المرأة ٨٦
الحجاب والعلم ٨٨
لمحة من واقع الحياة في عصرنا الحاضر ٩٢
نظرة الشباب الطائش الى العلم ٩٤
التوعية الدينية ٩٦
الزواج . . . الرابطة للأسرة ٩٨
حول استقرار المرأة في بيتها ١٠٠

books.rafed.net

الرجال قوامون على النساء ١٠٢
نظام الأسرة في الإسلام ١٠٧
صفات الزوجة الصالحة ١٠٩
واجبات الزوجة الصالحة ١١٠
إلى أين المصير ١١٦
المرأة في بدء الدعوة الاسلامية ١٢٠
أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها ١٢٣
قصة زواج الرسول (ص) من خديجة ١٢٤
خطبة أبو طالب يوم زواج الرسول (ص) ١٢٥
نبذة من حياة السيدة خديجة مع الرسول الأعظم (ص) ١٢٩
نزول الوحي . . . ومبعث الرسول ١٣٠
صلاة النبي (ص) وخديجة وعلي (ع) ١٣٥
حصار قريش للمسلمين ١٣٨
قصة حكيم بن حزام مع أبي جهل ١٤٠
شخصية أم المؤمنين خديجة ١٤١
وفاة خديجة أم المؤمنين (رض) ١٤٢
عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم ١٤٤
سمية أم عمار بن ياسر ١٤٥
موقف المرأة المسلمة في بدء الدعوة ١٤٧
إشارة الرسول الأعظم (ص) على أصحابه بالهجرة ١٤٩
الهجرة الثانية ١٥٠
حزن الرسول (ص) على فراق خديجة ١٥١
هجرة الرسول (ص) إلى يثرب ١٥٣
عائشة أم المؤمنين ١٥٥
أم المؤمنين أم سلمة ١٦١

books.rafed.net

حديث أم سلمة (رض) ١٦٣
زواج رسول الله (ص) من أم سلمة ١٦٨
نصيحة أم سلمة للخليفة عثمان ١٦٩
حديث أم سلمة مع عائشة ١٧٠
فاطمة بنت الرسول (ص) ١٧٥
الهجرة إلى المدينة (يثرب) ١٧٧
زواج فاطمة من علي (ع) ١٨٠
بيت الزوجية ١٨٣
حب الرسول (ص) لإبنته فاطمة ١٨٥
فاطمة الزهراء مع أبيها يوم فتح مكة ١٨٧
قريش تنتدب أبا سفيان لمفاوضة النبي (ص) ١٨٩
دخول جيش المسلمين مكة ١٩٢
أحلام . . . وتصورات . . . وذكريات ١٩٧
عتب الأنصار على الرسول (ص) ١٩٩
الزهراء (ع) واليقظة المروّعة ٢٠٣
الزهراء (ع) يوم وفاة النبي (ص) ٢٠٥
بيت الأحزان ٢٠٨
كلام الزهراء لنساء المهاجرين والأنصار ٢١٢
خطبة الزهراء (ع) في المسجد النبوي الشريف ٢١٤
وفاة الزهراء (ع) ٢٢٢
وصية الزهراء (ع) ٢٢٣
الذكريات ٢٢٨
حزن علي على فراق زوجته الزهراء (ع) ٢٣١
المرأة في صدر الاسلام ٢٣٣
اخلاق المرأة المسلمة في صدر الاسلام ٢٣٤
جهاد المرأة في الاسلام ٢٣٤

books.rafed.net

جهاد الهاشميات ٢٣٥
صفية بنت عبد المطلب ٢٣٦
فاطمة بنت أسد بن هاشم ٢٤٠
اروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ٢٤١
حديث اروى بنت الحارث بن عبد المطلب مع معاوية ٢٤٢
مساهمة المرأة في نصرة الاسلام ٢٤٦
أم رعلة القشيرية ٢٤٦
أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الانصارية ٢٤٧
سبيعة بنت الحرث الاسلمية ٢٤٧
أم كلثوم بنت عقبة ٢٤٨
زينب بنت رسول الله (ص) ٢٤٩
أم رميثة بنت عمر بن هاشم بن عبد المطلب ٢٤٩
أم حكيم بنت الحارث المخزومية ٢٥٠
أم حبيب بنت العاص القرشية ٢٥٠
بركة بنت ثعلبة ام ايمن ٢٥١
حمنة بنت جحش ٢٥١
ليلى الغفارية ٢٥٢
أم ذر الغفاري ٢٥٢
انتعاش المرأة اجتماعياً في صدر الاسلام ٢٥٤
قيلة بنت مخرمة ٢٥٥
عقيلة الهاشميين زينب بنت علي (ع) ٢٥٩
المصاب الاليم . . . والبناء العظيم ٢٦١
دور الزهراء تمثله زينب ٢٦٤
الزواج المبارك ٢٦٧
بداية الاحداث ٢٧٠

books.rafed.net

العاصفة الهوجاء والاحداث المؤلمة ٢٧٥
وصية الامام علي بن ابي طالب (ع) ٢٧٧
وفاة امير المؤمنين عليه السلام ٢٨٠
عقيلة بني هاشم مع اخيها الامام الحسن (ع) ٢٨٢
في خضم الأحداث ٢٨٤
نذر المأساة ٢٨٨
السيدة زينب في يوم الطف ٢٩٢
زينب في خضم المعركة ٢٩٥
عقيلة بني هاشم بالكوفة ٢٩٨
زينب عقيلة بني هاشم في الشام ٣٠١
خطبة السيدة زينب (ع) في مجلس يزيد في الشام ٣٠٤
عقيلة بني هاشم في مدينة جدها الرسول (ص) ٣٠٨
شخصية السيدة زينب وأثرها على المجتمع ٣١٠
السيدة سكينة بنت الحسين (ع) ٣١٥
شخصية السيدة سكينة الاجتماعية ٣١٩
عرض وتحليل ٣٢٣
جهاد المرأة المسلمة ووضعها الاجتماعي ٣٢٨
سودة بنت عمارة بن الاشتر الهمدانية ٣٢٩
الزرقاء بنت عدي ٣٣٢
بكارة الهلالية ٣٣٥
ام الخير بنت الحريش البارقية ٣٣٧
أم وهب زوجة عبد الله بن عمر الكلبي ٣٤٠
عكرشة بنت الأطرش ٣٤٢
دارمية الحجونية ٣٤٣
أم البراء بنت صفوان بن هلال ٣٤٦

books.rafed.net

آمنة بنت الشريد ٣٤٨
عمرة بنت النعمان الانصارية ٣٥١
بعض نوابغ النساء المسلمات في القرن الثاني والثالث وما بعدهما ٣٥٥
السيدة نفيسة بنت الحسن ٣٥٧
قصة امرأة تطلب الانصاف عند المأمون ٣٥٨
بوران زوجة المأمون ٣٥٩
قطر الندى زوجة المعتضد بالله ٣٦٠
الخاتمة ٣٦٤
مصادر الكتاب ٣٦٦
محتويات الكتاب ٣٦٩

books.rafed.net

طبع على مطابع

دار الزهراء

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان

ص.ب ٩٣٧٠ ت. م : ٣٠٣٠٧٥

Books.Rafed.net

books.rafed.net